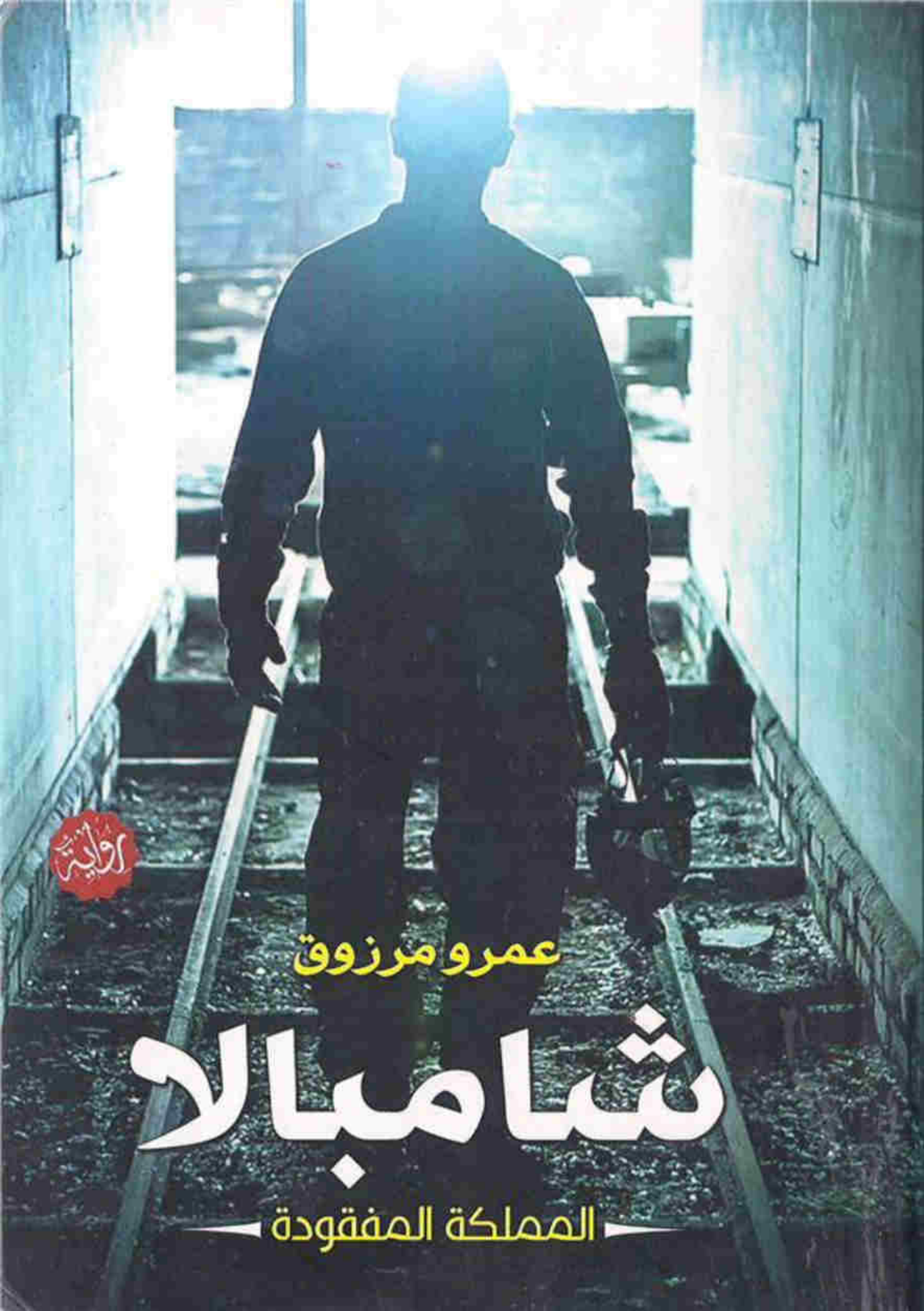

رواية
عمرو مرزوق
شامبالا
المملكة المفقودة

إهداء

وكأننا لم نأت إلى هذه الحياة إلا
لنتجرع مرارة فراق من نحب..

الآن وبعد روايتى السابقة "ميدوم"، أعود إليكم بعمل جديد.. وكالعادة من نوعٍ آخر.. ففى القصة التى بين أيديكم اليوم سعيت لإبراز موضوع هام جدًا لم يلتفت إليه الكثيرون..

هل نحن فعلًا من نسكن الأرض بمفردنا.؟

لا أقصد عالم الجن وما يوازيه من عوالم أخرى.

ولكنى أقصد هؤلاء..الموجودين فى مكانٍ ما..لا نعلمه.. ولكنهم موجودين..

فى الديانات السماوية تَأَكَّدَ وجودهم..

فى مفاهيم الشرق الأدنى تَأَكَّدَ وجودهم..

هم فى مكانٍ ما فى انتظار الإشارة لغزو الأرض..

أود الإشارة أن كل المعلومات والأشخاص والمواقف التى وردت فى الروايه صحيحة ومثبته بالمراجع فى نهايتها..وفيما يتعلق بالشق الدرامى فمن خيال المؤلف.

لن أطيل عليكم..ولكن أعدكم هذه المرة بعملٍ مختلف..

لقارئٍ مختلف..

تمامًا..

فأرجو أن ينال إعجابكم..

الفصل الأول

(كُلٌّ مِنَّا مُقَدَّرٌ لِمَا خُلِقَ له)

(نينغشيا أحد المقاطعات فى شمال غرب الصين فى نهايه عام 1932)

كانت السيارة تصعد على طريق جبلى غير ممهد بجوار ذلك النهر الأصفر الذى يجرى داخل أراضى تلك المنطقة الصحراوية من أرض الصين وبداخل السيارة كان هناك رجلان أحدهما ذلك الشاب الجالس على يمين السائق والذى ينظر خلفه باستمرار ليراقب إن كان هناك من يتبعهم فى ذلك الوقت المتأخر من الليل بالرغم من ندرة السيارات فى ذلك الوقت..وعندما اطمئن من عدم وجود من يتبعهم اعتدل فى كرسيه وبدأ ينفث دخان سيجارته قائلًا فى توتر واضح بلغة إنجليزية موجهًا حديثه الى العجوز قائد السيارة :

- ادوارد..أنا لا استطيع أن أتمالك نفسى عما نحن مُقْدِمُوْنَ عليه..هل أنت واثقٌ من تلك العواقب ؟
- اسمعنى جيدًا يا نور هذه فرصتنا الأخيرة إن كنا سننفذ ما نوينا عليه لقد أخبرتك من فترة أنى تأكدت من سوء ما نفعله..لقد تم الإيقاع بنا يا عزيزى ولا مفر من هروبنا منهم..لقد تسلل القلق إلىَّ منذ لاحظت بعض الشبهات حول نتائج أبحاثنا وتدخلهم المستمر حتى علمت أن كل ما نقوم به لخدمتهم وخدمه مصالحهم فقط..إننا لم نُفْنِى عمرنا فى العلم حتى نقدم لأعدائنا ما لم نقدمه لبريطانيا العظمى.
- ولكن يا ادوارد أنا لست ...
- (مقاطعًا) يانور..بالله عليك هذه آخر فرصة لنا لقد وضعت هذه الخطة وراجعتها فى رأسى عشرات المرات..أنت الشخص الوحيد الذى أثق به فى ذلك المعسكر..وهذه الثقة لم تأتِ هباءً بل بعد صداقة عمل لأكثر من خمس سنوات.
- يا ادوارد أعلم ذلك ولكنى أذكرك هل نستطيع الهروب منهم حقًا.؟

- نعم يا نور سنهرب ولكن بعد أن نطمس كل أثرٍ لنا..ونقوم بما خططنا له..والآن تمالك نفسك فها هو المعسكر على مرمى البصر..فليحفظنا الله..وتذكر سألاقيك غدًا السادسة والنصف فى محطة القطار فى البلدة المجاورة وإن لم يحضر أحدنا حتى السابعة فلينصرف الاخر..سوف نهرب من تلك البلاد ولتعد إلى بلادك..وتنس تلك الأيام المريرة التى قضيناها فى المعامل كفئران التجارب.
- أبَعْدَ كل ذلك الجهد يا ادوارد.؟ لقد كدنا أن نحقق أسطورة فلم يكن ينقصنا على إنتاج تلك..
- قلت لك أن ما نقوم به ليس فى سبيل العلم بتاتًا بل أصبحنا مكرسين لخدمه أعدائنا ولذلك علينا الهروب من كل ذلك..وأنا على تمام الثقة بمجرد انتهائنا من تلك الأبحاث سوف يكون مصيرنا الموت المؤكد..
- يا إلهى لا أدرى كيف وضعنا انفسنا فى تلك الحماقة.؟
- لم نشعر يا ولدى فنحن لم ندرك أننا نعمل لديهم إلا فى الآونة الأخيرة كما أخبرتك..إنهم يحصون أنفاسى..أشعر أنهم قريبون منى فى كل الأوقات.
- ولماذا لم نهرب اليوم عندما سنحت لنا الفرصة يا ادوارد التى ربما لن تتكرر مرة اخرى.؟
- إننا مراقبون أغلب الأوقات ولا تظن أنهم عندما سمحوا لنا بالتريض يومًا فى الأسبوع أننا بذلك لسنا تحت أعينهم طوال الوقت..ولأن كل ما نمتلكه من أبحاث داخل تلك القلعة..فلن أسمح لهم باستكمال عملنا والليلة سوف أنهى كل ما بدأته معهم خلال السنوات الماضية..
- سأعمل ماخططنا له وسأهرب من المخرج الذى أعددناه المرة السابقة..كن على حذر سأخرج فى منتصف الليل تمامًا مرتجلًا أسفل المنحدر الاخر من جهة النهر..فليحفظنا الله يا ادوارد.

توقفت السيارة بجوار بوابة حديدية أمام قلعة صينية قديمة بنيت فى القرون الوسطى ليخرج منها حارس يرتدى زى أزرق اللون لينظر إلى الشخصين اللذان هبطا من السيارة قائلًا فى صرامة:

- لقد تأخرت اليوم كثيرًا يا بروفيسور ادوارد.
- كأن لدىَّ الكثير من الأعمال يا مارك طوال الأسبوع مما أجهدنى وكان لزامًا علىَّ أن أقضى اليوم بطوله فى تلك البحيرة فى آخر المقاطعة..لقد اصطدنا أنا وبرفيسور نور العديد من الأسماك معى فى حقيبةالسيارة فلتستدع إيفانز و جوبلز لنقل الحقيبتأن إلى الداخل .

اندهش نور من حديث ادوارد ووجود تلك الحقيبتين التى لم يعلم عنهم شىء ولكنه تمالك نفسه وأخرج سيجارة ليشعلها وعلى ضوء الثقاب الباهت توجه ادوارد سمنر إلى حقيبة السيارة ليخرج منها صندوقان ثقيلان مع حقيبة أخرى متوسطة الحجم ويضعهما بجوار البوابة مما جعل مارك ينظر إليه فى دهشة.

- ما هذا يا برفيسور لقد منيت فعلًا كميه هائلة من الأسماك ولكن لا يجب أن تدخل بكل هذه الكمية وأنت تعلم.
- (مقاطعًا) مارك دعك من التعليمات..بالإضافه إلى أنى سوف ادرس بعض التأثيرات المناخية على تلك الأسماك وهناك تجربة أخرى بها من الأسرار ما لن أستطيع البوح لك بها كما تعلم..هذا بالإضافة أنى قد جئت لك من سوق القرية بزجاجة من المشروب الغريب الصينى..ذلك الشاى المخلوط بالجنسنج والذى تطلبه دائمًا (ومد يده ليخرج من الحقيبة المتوسطة التى يحملها زجاجة بها سائل داكن اللون نفاذ الرائحة وما أن رأها مارك حتى انفرجت اساريره قائلًا):

- أنت لا تنسانى ابدًا فى كل مرة تكون فى القرية..وتستطيع دائمًا أن تهزمنى بها يا هر سمنر.

ابتسم ادوارد رغمًا عنه وناوله الزجاجة قائلًا فى عصبية واضحة ناظرًا إلى نور الذى كأن مستندًا إلى الباب الحديدى:

- بروفيسور نور لماذا لا زلت هنا.؟أليس لديك عملٌ تقوم به؟ هيا حتى لا تتأخر عن التجربة التى طلبتها منك.

تذكر نور سيريك - ذلك العالم الفيزقستانى - ما عليه من مهمة أخيرة ينبغى القيام بها..فألقى ما تبقى من سيجارته وقبل أن ينصرف اقترب منه ادوارد فى هدوء وهو يشد على عضده واضعًا ورقة مطوية بداخل جيب الجاكت العلوى لنور قائلًا بصوتٍ هامس محاولًا إلا يسمعه مارك الذى كان مهتمًا ذلك الوقت بالإشراف على الحارسين اللذان خرجا ليحملا الحقيبتان على عربة صغيرة تدفع باليد:

- نور إن لم يقدر لى النجاة أعلم أنك الشخص الوحيد الذى علىَّ أن أشكره فى تلك البقعة الملعونة من الأرض..ادعُ ربك أن يكتب لنا أن نلتقى مرة أخرى..لقد كنت مساعدى وولدى الذى لم أنجبه وكم ساعدتنى كثيرًا فى أمور الحياة فى زنزانتنا هذه..شكرًا لك يا بنى.

واقترب منه مرة أخرى قائلًا بصوتٍ يقارب صوت الفحيح:

- هذه الورقة التى وضعتها فى جيبك لا تفتحها إلا فى حالة تأكدك من موتى وأننا لن نلتقى أبدًا..وإن كنت سأدعو الله ألا يكون هذا أخر عهدى بك وعند قرائتها عليك إيصالها لمن يهمه الأمر..سر فقط صوب حدثك وستعلم..وثق أن روحى ستظل بجوارك دائمًا.

لم يرد نور ولكنه نظر إلى ادوارد نظرة مليئة بالأسى والحزن..فقد كأن يشعر من داخله أن تلك المرة هى الأخيرة التى سيرى فيها صديقه العزيز

*****

كان ادوارد سمنر يسير خلف الحارسان اللذان وضعا الصناديق داخل المعمل الذى كان مظلمًا فى ذلك الوقت باستثناء غرفة ينبعث منها ضوءٌ خافت فى نهاية الرواق وانتظرا حتى يفرغ ادوارد من عمله ويعود معهم إلى مقر إقامته فى المبنى المقابل للمعمل ولكنه أخبرهم أنه سيفرغ تلك الصناديق فى أماكنها وسينصرف خلال العشر دقائق فهو يعلم أنه محظورٌ عليه التواجد فى تلك الساعة المتأخرة ولكن لإلحاحه الشديد عليهما انصرفا وهما ينظران فى شكٍ لبعضهما البعض.

أغلق الباب خلفهما ونظر إلى ساعته..كانت تقترب من العاشرة مساءً مما يعنى أن لديه أقل من ساعتين ليحقق ما كان يخطط له طوال الشهر الماضى إلى أن اختار تلك الأمسية بعناية..نظرًا لمناسبة قومية خاصة لألمانيا والتى سيتم الإحتفال بها داخل تلك القلعة حيث سيقيم الجميع فى قاعه الإحتفالات حتى تباشير الصباح وسيكونوا بالطبع تحت تأثير الخمر.لذلك كان عليه أن ينصرف سريعًا ليهرب خارج تلك القلعة ولكن بعد أن يتمم نور مهمته هو الآخر حتى لا يكون هناك أىّ خطر.

جلس إلى مكتبه وبدأ فى إفراغ محتويات المكتب مراجعًا جميع الأوراق والنتائج التى كان يحتفظ بُها فى مكتبه..واستغرق دقائق طويلة حتى شعر ببرودة تسرى فى أطرافه وبتلقائية نظر إلى تلك المدفأة القديمة التى تعمل بالحطب فى غرفة مكتبه والتى تم الغاؤها الشتاء الماضى بعد تركيب

التدفئة المركزية فى كل القلعة..تذكر ما قام به الأسبوع الماضى بخصوص تلك المدفأة القديمة وتبسم فى صمت.

جلس على مكتبه ناظرًا فى ساعته للمرة الرابعة بعد أن انتهى من تمزيق كل أوراقه الهامه..وطافت به العديد من الذكريات.

تذكر أول مرة وطأت أقدامه هذا المكان منذ عدة سنوات..سنوات من الجهد المضنى دون أن يعلم من يستخدمه..وقبلها سنوات أخرى قضاها فى الجبال وشتى أنحاء الأرض ليبحث عن أصول تلك الجماعات حتى وصل إلى مراده أخيرًا ولكن للأسف اكتشف أنه يعمل لدى ألمانيا ألد أعداء بريطانيا العظمى..ولو علم فى بداية الأمر لرفض المُضِىُ قُدُمًا فى أبحاثه..وبمجرد علمه حاول فى الفترة الأخيرة طمس كل الدلائل والأبحاث التى قد تفيد الدولة الألمانية حتى أصبح الشخص الوحيد دون فريقه الذى يعلم أدق تفاصيل نتائج أبحاثه..لم يظهر على تصرفاته أنه قد علم بحقيقتهم الأصلية..ولم يطمئن إلا لعالم من الشرق الأدنى وأصبح هو ساعده الأيمن فى كل شىء.

كانت غرفته فى أول الرواق وبجوارها عدة غرف أخرى توجد بها العديد من الأجهزة والمعدات..وأمام غرفته كانت تقبع غرفة مدير المعامل البحثية دكتور فراند هانزر والذى كان يحمل رتبة عسكرية عليا فى الجيش الألمانى إبان الحرب العالمية السابقة..حيث كان من أبطال معركه كابوريتو والتى انتصرت فيها القوات الألمانية على الحلفاء باستخدام الأسلحة الكيماوية..وبعد ذلك تم تعيينه مشرفًا فى إحدى مشاريع الأبحاث السرية الألمانية..وبجوار غرفته توجد ثلاث غرف إحداهما للطاقم المساعد وبقية المشاركين فى الأبحاث أما فى أخر الرواق فتقبع تلك الغرفة السرية والتى

يوجد بها آخر ما توصل إليه الباحثون الألمان وعلى رأسهم العالم الانجليزى ادوارد سمنر ومساعديه.

كانت الغرفة مغلقة من الداخل برتاج معين متصل بالتيار الكهربائى بالقلعة ككل ولا يستطيع أحد فتح هذا الرتاج إلا بمفتاح لا يوجد إلا مع قائد القلعة هانزر ولأن الخطة تعتمد بشكل أساسى على الولوج إلى داخل الغرفة فكان عليه أن يستعين بمساعده نور..والتى كانت كل مهمته أن يتلصص فى غفلة من الحراس ليقطع التيار الكهربى لمدة دقيقة عن القلعة بأكملها..قبل أن تبدأ المحولات الاحتيطاطيه فى العمل..وكل ما أراده ادوارد هى تلك الدقيقه فقط حتى يدخل الغرفة ويكمل ما شرع فى تخطيطه والذى لا يعلمه إلا هو فقط.

****

فى تلك الأثناء كان نور يسير على أطراف أصابعه حتى وصل إلى أسفل السلم للمقر السكنى للعلماء وهو عبارة عن مبنى من طابقين..وفى الأسفل تقع غرفة الهاتف الرئيسية التى يجلس بها دائمًا هذا الحارس السمين والذى بدا عدم اهتمامه بما يجرى فى قاعة الإحتفالات فى تلك الأمسية..فقد كان يستمع إلى المذياع وبجواره شطيرة من اللحم وزجاجة من الجعة منصتًا إلى إذاعه ألمانيا الحرة والتى كانت تبث خطاب نارى لأحد زعماء حزب العمال الإشتراكى القومى الألمانى أو ما يطلق عليهم النازيون الجدد الذين كانوا يسعون فى ذلك الوقت إلى الوصول للحكم.. وقتها كان الرجل يصرخ قائلًا:

(يجب أن نتوحد لتحقيق أحلام المانيا..معا لتحقيق أهداف الحزب النازى..معًا للقضاء على الشيوعية المتمثلة فى الإتحاد السوفيتى..معًا للقضاء على اليهود فهم بعدم وطنيتهم قد طعنونا فى مقتل وكانوا من ضمن

أسباب هزيمتنا..معًا لاسترداد الأراضى الألمانية التى تم تسليمها بسبب معاهدة فرساى الملعونة..معًا لوضع العرق الآرى فى مكانه العظيم الذى يستحقه)

تذكر هذه المحطة منذ عدة أسابيع بعد أن أعلنت نهايه هتلر والحزب النازى وانتخاب هيندينبرج ليكون رئيسًا لألمانيا مرة أخرى..وقتها ظن أن السلام قد أتى على ألمانيا أخيرًا ولكن خالفت الظنون كل توقعاته.أفاق من تأملاته على صرخة من الداخل..كان يبدوأن الحارس قد امتلأ بالحماس وأخذ يهتف كما كان يصرخ الرجل فى المذياع مما جعل نور ينكمش فى مكانه فى ذلك الركن المظلم أكثر فأكثر.

كان الطريق إلى الغرفة الرئيسية التى تمد القلعة بالتيار الكهربى تقع خارج المبنى السكنى للباحثين من الجهة الخلفية ولذلك عليه أن يتخفى من الحارس فلو كانت فى نفس اتجاه قاعة الإحتفالات لأصبح من السهل التحجج أنه فى طريقه لقضاء السهرة مع زملائه و لذلك كان عليه المكوث طويلً الانتهاز فرصة ما.

انتظر حتى يدير الحارس وجهه ولو مجرد ثانية واحدة حتى ينطلق إلى مهمته..لا يدرى لماذا وضع نفسه فى ذلك المأزق ولكن كان لزامًا عليه أن يطيع أستاذه الأكبر ادوارد سمنر والذى يعتبرة والده الذى لم يره..وعندما علم أن هناك من يقوم بتجنيد كافة العلماء المساعدين للبروفيسور ادوارد حتى ينقلوا جميع أفكار ونتائج أبحاث العالم البريطانى إلى القيادة الألمانية..أخذ على نفسه عهدًا إلا يخونه أبدًا.

كان من داخله متأكدًا أن قائد القلعة ذلك الألمانى السادى ينتمى إلى تلك الحركة النازية الجديدة التى تعتمد على أن الجنس الآرى هو سيد هذا

الكون ولذلك فقد نشأت عداوة بينهما منذ أول مرة وقعت عيني القائد على هذا العالم المسلم القزغستانى..لذلك لم يحاول تجنيده أو حتى الإقتراب منه بل على العكس من ذلك فقد أراد تنحيته عن تلك الأبحاث لولا تمسك العالم البريطانى به..وكنتيجة لاحتياج الألمان له لم يستطع أن يرفض له طلبًا.

وضع نور سيريك يديه فى جيوبه من شدة إحساسه بالبرد فوجد تلك الورقة الصغيرة والتى وضعها ادوارد فى جيبه..قاوم نور رغبة قاتلة فى فتح الورقة ومعرفه ما بها ولكن الظلام الذى أحاط به منعه من ذلك..ولكن كان هناك ضوئًا خافتًا منبعث من الغرفة الصغيرة التى يوجد بها الحارس الألمانى فأخرج الورقة سريعًا من جيبه وبدأ فى فتحها وفى هذه اللحظة حدث ما كان ينتظره فقد قام الحارس بعيدًا عن النافذه ليحضر زجاجة أخرى من الصندوق الموجود فى أخر الغرفة بعد أن فرغ من تناول زجاجته.

وضع نور الورقة سريعًا فى جيبه وبخفةٍ هائلة قفز الأمتار الثلاثة التى تفصله عن غرفة الهاتف ليعدوا فى اتجاه الغرفة الرئيسية للتيار الكهربى..وحمد الله أنه لن يمر مرة أخرى إلى ذلك المكان فى طريق عودته لغرفته فقد قطع عهدًا أن تكون تلك الليلة هى أخر عهده بهذا المكان.

كانت الغرفة فى أخر الحديقه الصغيرة التى تقع فى الفناء الخلفى للقلعة وكان الممشى المؤدى لها يقع فى وسط أشجار عالية تناثرت فى ترتيب متناسق بالتوازى حتى سور القلعة..والممشى مكون من حجارة أسمنتية الشكل بطول حوالى مئة متر.. وأمام الغرفة كان يوجد حارسان يتناوبان الجلوس على بابها مما جعل الدخول من هذا الطريق مستحيلًا.

دار نور فى خفة حول غابة الأشجار والتى حجبت رؤيه الحارسان له حتى وصل إلى السور وكانت الجهة الخلفية للغرفة يفصل بينها وبين السور الخارجى مسافة ليست بالقليلة وفى ذلك الجدار لمح نورنافذة يستطيع الدخول منها ولكن بصعوبة بالغة..فعليه أولًا أن يتسلق سور القلعة عن طريق الأشجار ويسير على ذلك السور المرتفع حتى يصل إلى سطح الغرفة ويقفز من ارتفاع السور حتى سطحها البعيد عنه بقرابة المتر ونصف..وعليه ألا يصدر صوتًا حتى وإن كسرت رقبته لكى لا يلفت انتباه الحارسان فى الجهة الأمامية.

قاربت الساعة العاشرة والنصف وكان عليه أن يتحرك سريعًا..ردد عدة آيات قرآنية وبدأ فى تسلق الشجرة القريبةمن السور.

كانت المهمة شاقة جدًا فهو تدرب على أن يكون عالم أبحاث وليس بهلوانًا فى سيرك وعلى الرغم من أن الشجرة لم يكن بها العديد من الأفرع التى تساعده على التسلق لكنه اندهش من قدرته العجيبة حتى وصل إلى طرف سور القلعة..كان السور بعرض قرابة العشرون سنتيمتر ويبعد عن الأرض بحوالى خمسة أمتار وكان عليه أن يسير على ذلك السور حتى يصل إلى سطح الغرفة وفعلًا بدا فى الجلوس عليه فقد قرر أن يزحف عليه بدلًا من السير فى هذا الظلام المحيط به وبدأ فى التحرك ببطء.

دقائق مرت كأنها الدهر..وعقارب الساعة تتسارع وهو يعلم أن أستاذه فى الأعلى ينتظر قطع التيار الكهربى بفارغ الصبر لينهى ما خطط له..فنجاح الخطه يعتمد عليه بشكل أساسى..دفعته تلك الأفكار خطوة بعد خطوة حتى وصل أخيرًا أمام سطح الغرفة..وقف ببطء شديد حتى لا يقع فى خارج القلعة من الجهة الأخرى للسور..فالمسافة التى عليه أن يقفزها تبعد حوالى متر ونصف ولكن لا يدرى كيف.

بدأت الأفكار تتدافع فى رأسه..فها هو السطح وأمامة مباشرة توجد النافذة والتى تكاد تتسع لمروره..كانت النافذة بارتفاع متران من على سطح الأرض وتقترب من سطح الغرفة بنصف متر ولذلك كان عليه أن يدخلها من السقف.

أغمض عينيه وتمالك نفسه وألقى بنفسه ليصل إلى السطح ولكن لسوء حظه لم تكن القفزة مباشرة بل فلتت قدمه وهو يقفز وكاد أن يهوى من ارتفاع الخمسةأمتار..لولا أن أمسك بإطار النافذة الخشبى مما سبب له آلامًا هائلة فى قدمه التى التوت من القفزة ويديه التى أمسكت بكل ما أوتى من قوة بالنافذة.

كان الألم لا يحتمل ولكنه كتم تلك الآلام فى نفسه وحاول أن يستعيد قوته ليرفع نفسه ليصل إلى داخل الغرفة.

بذل جهدًا خارقًا حتى استطاع أن يستند بكلتا يديه على النافذة ثم يرفع نصفه السفلى..وآلام قدمه التى اصبحت لا تطاق حتى قفز أخيرًا إلى داخل الغرفة.

ولسوء حظه المستمر كانت قفزته إلى الداخل مصحوبة بارتطامه بكرسى لم يراه مما أصدر صوتًا جعل أحد الحارسين ينتفض ويخرج مفتاحه ليدخل إلى الغرفة المعتمة صارخًا فى زميله:

- شتانبرج..لقد أخبرتك عشرات المرات عليك بغلق تلك النافذة لكى لا تدخل تلك القطط الغبيه لتحتمى من البرد اذهب عليك اللعنة ولتاتى ببطارية من ايفانز ولتبحث عن تلك الحيوانات بدلًا من أن تسبب عطل كهربى كما حدث الأسبوع الماضى.

خرج الحارس مسرعًا بينما خطا الأخرإلى داخل الغرفة باحثًا بعينيه فى الظلام ولكنه لم يرى شيئًا بينما كتم نور أنفاسه..خطا الحارس أكثر إلى الغرفة وكانت قدمه على بعد سنتيمرات قليلة من نور الذى كان عليه أن يتصرف فى أقرب فرصة فلو انتظر لمجىء شتانبرج لفشلت الخطه ولو تحرك الآن وهرب للمحه الحارس وقبض عليه ولا يدرى ما عاقبة ذلك لو تم تسليمه لقائد المعسكر الذى يكرهه من بداية عمله.

كان عقله يعمل بسرعة البرق وبدأت ردود أفعاله تخرج عن سيطرته.. اقترب الحارس من الخيال الموجود الملاصق للجدار وكأنه يلمح شبحًا ما ومد يده بهدوء إلى مسدسه المعلق فى حزامه ولكن نور قفز فجأة ليضع يديه على يد الحارس الممتدة إلى المسدس..فزع الحارس ولكن نور باغته أكثر عندما لطم رأسه بكل قوة فى الدولاب المعدنى الذى يحوى محولات التيار الكهربائى..لم يتمالك الحارس نفسه فخرَّ سريعًا والدماء تنزف من رأسه..هوى نور إليه ليرى حجم اصابته ولكنه فزع عندما وجد جمجمه الحارس قد شجت وتنزف بغزاره.

هَبَّ نور واقفًا فجأة ولم يدرى ماذا حدث أو ما الذى اقترفته يداه..إن ذلك ضد مبادئه..ولكنه لم يكن ليلوم نفسه الآن..عليه أن ينفذ مهمته فى أقل من دقيقة قبل مجىء الحارس الأخر ثم ليقضى بعد ذلك بقية حياته فى الندم على ما اقترفه.

أشعل عود ثقاب وفتح الدولاب الذى يحتوى على كابلات تغذيةالقلعة..كان هناك المئات من الأسلاك..أما السلك الرئيسى فبداخل الدولاب المعدنى وبجواره سكين يفصل الكهرباء عنه..ومد يده بهدوء إلى السكين وأداره إلى الجهة الأخرى..دوت صافرة متقطعة ثم انفصل التيار الكهربى تمامًا عن القلعة بأكملها.

نظر نور يمينًا ويسارًا وهو يتطلع برأسه خارج الغرفة فلمح شتانبرج يأتى مهرولًا من بعيد ناحية الممشى فخرج سريعًا إلى الجهةالمقابلة وهو يكاد يزحف على قدمه.

كان عليه أن يختفى سريعًا فى أقرب مكان لأن القلعة سيتم إعاده التيار لها فى غضون دقيقة عن طريق المحولات الإحتياطية.

****

وفى الأعلى داخل المعمل الرئيسى كان ادوارد يروح جيئة وذهابًا فى توتر ملحوظ وبمجرد انقطاع التيار الكهربى أشعل قداحته وعلى ضوئها هرول سريعًا إلى أخر الرواق حيث الغرفة المغلقة دائمًا..امتدت يده داعيًا الله من قلبه أن تفتح الغرفة وإلا فشل كل ما خطط له..ولكن صوت فتح الرتاج الداخلى من تاثير قبضته جعل قلبه يتراقص فرحًا.

خطى سريعًا إلى الداخل واضعًا كرسى بجوار الباب حتى لا يغلق أثناء نقله للحقائب عند عودة التيار ورجع سريعًا مرة أخرى إلى غرفته وتناول الحقيبتين وشرع فى جذبهما بصعوبة حتى وصل إلى الغرفة ووضعهما خلف الباب الخشبى وبينما كانت الصافرة تدق إعلانًا لعوده التيار رفع الكرسى ليعود الباب إلى وضعه الأصلى.

كانت غرفة كبيرة الحجم جدًا تسرى البرودة فى كافة أنحائها نتيجة لذلك المبرد الكبير المربع الشكل الموجود فى طرف الغرفة ليحفظ العينات والنماذج البحثية..بينما تراصت فى كل ناحية فى الغرفة المناضد التى تحوى أعداد لا حصر لها من أنابيب التحاليل وبجوار الباب مكتب معدنى عليه عينات داخل علب زجاجية بينما ظهر على الأرفف الموجودة على الجدران

نماذج لكفوف أيدى وأقدام محفوظة داخل تلك العلب وإن كانت أكبر حجمًا من حجم الإنسان العادى..وفى جانب الغرفة غرفة زجاجية أخرى مربعة الشكل مظلمة بستائر ثقيلة على جدرانها..اقترب منها ادوارد فى سكون ليزيح أحد الستائر لينتفض المخلوق المقيد على المنضدة.

كان هذا المخلوق يبلغ المتران والربع طولًا وكانت أقدامه مقيدة بقيد حديدى إلى تلك المنضدة الخشبية التى يرقد عليها حيث برزت عروق ساقيه..أما يديه فقد قيدت أيضًا وإن كانت طويلة بصورة واضحة حتى تكاد تقترب من ركبتيه وكانت مفتولة العضلات بصورة مدهشة وبها العديد من آثار الحقن..أما رأسه فتشبه إلى حدٍّ كبير جمجمةالإنسان لكنها أكبر حجمًا وقد برز جبينه للخارج بصورة واضحة مع أنف أفطس ذو فتحتين كبيرتين وعيناه قد قاربتا أن تكونا جانبيتين وكلما تنفس ذلك المخلوق يموج صدره بصوت حشرجة داخلية من الألم الذى يحيط به.

بدأ الكائن فى الزمجرة عندما اقترب منه ادوارد ولكن ذلك القيد الجلدى فى فمه كان يمنعه من الصراخ..اخرج ادوارد حقنه زجاجية من أحد الأدراج ليدسها فى يد المخلوق ساحبًا عينة من دمائه وما أن انتهى حتى ربت على كتفه قائلًا له فى صوت متهدج:

للأسف كلانا ضحية أيها المخلوق التعس..ولكن كل منا مقدر لما خلق له كما يقول صديقى المسلم ربما كنت أنا السبب فى مجيئك إلى هنا منذ أكثر من عدة أشهر لنمارس عليك آلاف من التجارب المؤلمة ولكن اطمئن فسوف نرتاح سويًا قريبًا.

نظر ادوارد إلى ساعته وكانت قد تعدت الحادية عشر باثنتى عشرة دقيقة فشرع فى بدء تنفيذ ما خطط له داعيًا الله أن يوفق نور فى الهروب فى هذه

اللحظة بعد أن قام بمهمته..اقترب من الحقيبتين الثقيلتين وبدأ فى إفراغ ما فيهما بترتيب معين.

****

وفى الأسفل بدأ صفير إنذار بالخطر بعد أن دخل شتانبرج إلى الغرفة ووجد زميله مضرجًا فى دمائه فما لبث أن هرول سريعًا إلى مبنى الأمن لإبلاغه وإطلاق صافرة الإنذار..أما نور فقد علم أنه سيتم القبض عليه لا محالة فى أقرب فرصة فتحامل على نفسه مرة أخرى وحاول أن ينصرف سريعًا من القلعة وكان مستحيل أن يخرج من المكان الذى خطط للهروب منه لذلك قرر أن يتسلق أىّ شجرة قريبة منه فمشى سريعًا إلى طرف القلعة فى مكان يكاد يكون بعيدًا عن الأنظار..كانت قدمه بدأت فى النزيف فاستند إلى سور القلعة ليخرج منديلًا لكى يربط به الجرح..مد يده إلى جيبه ولكن يده بحثت بتلقائية عن ورقة ادوارد التى يخفيها ليقرأ ما فيها فربما كانت تلك أوقاته الأخيرة.

ولكن لشدة فزعه لم يجدها..هَبَّ واقفًا على قدميه بحث فى جيوبه وحوله فلم يجدها..لقد وقعت منه فى مكانٍ ما..حاول أن يتذكر أخر مرة رآها فيها أو يتذكر كيف ضاعت ولكنه لم يأتِ بجديد..كان يريد أن يضرب رأسه فى ذلك الحجر الأصم من السور من شدة غبائه..وبدأ فى التفكير هل يهرب من فوق السور أم يعود للبحث عن وصيه ادوارد.

ولكن ضربة هائلة على رأسه من بندقية شتانبرج ألقت به إلى الظلام.

****

وبعد عدة دقائق كان البروفيسور هانزر الضابط السابق فى الجيش الألمانى ورئيس معمل أبحاث القلعة وبجواره العديد من المساعدين يصعدون إلى الطابق العلوى حيث معمل الأبحاث الرئيسى وهو يتأفف من الموقف ككل..بعد أن أبلغه حراسه بالقبض على نور أثناء محاولته الهرب..وأن ادوارد بداخل المعمل..حاول أن يفتح الباب بالمفتاح ولكنه لم يفلح..مما أثار جنونه.

كان هانزر من ابطال الحرب العظمى وبمجرد انتهاء الحرب التى انتهت بهزيمه ألمانيا وكنتيجه لقيام الثورة الألمانية ذلك الوقت وقضائها على الإمبراطورية آثر أن ينسحب من القتال ليعود مرة أخرى إلى أبحاثه فى علم الجينات..حتى اتصل به ذلك العضو البارز فى الحزب النازى وهو من أقنعه بالعودة مرة أخرى لتقديم علمه فى خدمة ألمانيا بعد أن عرض عليه مشروع سرى جدًا جرى الإعداد فيه قرابة العشر سنوات..لم يصدق الأمر فى بدايته عندما قرأ نتيجه الأبحاث وكان يشعر أنها دربًا من الخيال ولكن بعد رؤيته لادوارد وما قام به فى هذا المجال حتى كاد أن يقترب من نهاية الحلم..ذلك الحلم الذى سينهض بالجنس الآرى مرة أخرى..ذلك الحلم الذى لم يراه طوال عمره الذى قارب الستين عامًا ولكنه بدأ يلوح فى الأفق..وكاد فى الفترة الأخيرة على أن يتحقق..ولكن ذلك البريطانى اللعين لم يعط له أىّ فرصه للدخول فى سِرّيّةأبحاثه بل كان لديه دائمًا ما يخفيه لسببٍ ما..ربما لم ينس ذلك الصراع الأبدى بين دولتيهما..وعلى الرغم من دسه عدة مساعدين له لمحاولة الوصول إلى ما لا يعلنه ادوارد فقد كان ذلك البريطانى العجوز أخبث مما يتخيل.

****

توالت الدقات على باب المعمل الخارجى وصوت هانزر فى الخارج يصيح على رجاله لكسر ذلك الباب المغلق من الداخل بينما كان ادوارد فى تلك اللحظات فى أشد لحظات التوتر فهو لم ينه اغلب اعماله.

كان يعلم أن أمامه عدة دقائق فقط ولديه الحل الأخير دائمًا ولكن هل تخونه شجاعته للتخلص من هذا المأزق إلى الأبد؟

تناهى إلى أذنيه صوت الحراس وهم يحاولون تهشيم الباب الحديدى..نظر حوله فى حسره إلى ذلك المكان الذى قضى فيه سنين عمره..ولكن ما سيفعله الآن لعله يكون خدمة للبشرية.

كان ممسكًا فى يده بحبل طويل به عدة تفريعات إلى الغرف التى حوله وينتهى إلى الغرفة الموجود بها المخلوق وفى نهاية هذا الحبل كان يربط العديد من أصابع الديناميت التى نجح فى تهريبها أخيرًا..أغمض عينيه بقوة وهو يقترب بقداحته من الحبل لإشعاله..ترك الحبل على الارض..

وبعد عدة دقائق هَزَّ انفجار عنيف القلعة بأكملها ...

****

بعد عدة دقائق كان هانزر ورجاله واقفين مشدوهين داخل ما تبقى من غرف المعمل الذى أصبح كومة من تراب..فقد تناثرت جميع محتوياته على الأرض واشتعلت فيها النيران..كاد هانزر أن يصاب بأزمة قلبية عندما تسارعت قدماه وهو يخطو فوق الأثاث المشتعل حتى وصل إلى الغرفة الداخلية ليجد كومة من اللحم المهترئ للمخلوق الذى تناثرت أحشائه بصورة مرعبة وتقطعت أوصاله لأكثر من عشرات القطع بينما كانت جثه

ادوارد متفحمة تمامًا وكأنه ظَلّ ممسكًا بالديناميت حتى أخر لحظة من حياته ليشرف على قتل المخلوق.

لم ينبث هانزر ببنت شفة وظل صامتًا عدة دقائق حتى اقترب منه أحد الحراس ليهمس فى أذنه بكلماتٍ ما ممسكًا بورقة صغيرة ويتراجع فى هدوءمناولًا إياها له..وما أن قرأها هانزر حتى التمعت عيناه وصرخ بقوة:

- فلتاتوا لى بهذا المسلم فورًا ولتحاولوا إفاقته حتى لو كان قد مات وضعوه فى القبو حتى أستجوبه بنفسى.

****

بعد عدة ايام كانت البروفيسور هانزريجلس فى ذاك المقعد المكسو بالفرو الثقيل وهو يكاد يغوص به من الخجل أمام الجنرال فيلهلم كايتل قائد وحدة الأبحاث العسكرية فى وزارة الحربية الألمانية الذى ظَلّ على صراخه لأكثر من خمس دقائق متصلة متهمًا هانزر بالفشل الذريع..أما هانزر نفسه فهب واقفًا ليحاول الدفاع عن نفسه قائلًا:

- ولكنى لم أختر ذلك القزغستانى يا سيدى وإذا تذكرت فقد كان لى تحفظات على اختيار البروفيسور نور سيريك منذ أن وقع اختياركم عليه فهو وإن كان من أحد بلدان الإمبراطورية الروسية أشد أعداء دولتنا فى الحرب السابقة كما أنه مسلم وأنا..
- صه يا هانزر ولا تبرر أىّ فشل قمت به فى الفترة الاخيرة..وما شأنه بكل ما حدث.؟لقد كان اختيار نور حتى لا نثير أىّ شك لدى ادوارد..وأنت تعلم أنه فى الفترة الأخيرة بدأت شكوكه تثير مخاوفنا بعد أن علم أن من يقوم بتمويل أبحاثه هى وزارة الحربية الألمانية فكان لابد من غطاء

لنا..أمّا عن فشلك فى تجنيد نور فذلك مرجعه إليك..إنّ لكلٍ منهم نقطه ضعف ولكنك لم تحسن استغلالها.

- أىّ نقطة ضعفٍ يا سيدى.؟لقد قمت بتجنيد كل فريق البحث ولم يتم إجراء أىّ تجربة مسبقه إلا وكنت على علم بها..وحتى لو كان نور لم يتم تجنيده فكل الخطوات البحثيةكانت على مكتبى قبل وبعد إجرائها..وإذا كان للكل نقطة ضعف فلماذا لم تقوموا من الأصل بتجنيد ادوارد سمنر.؟

- عندما قابله الجنرال يواكيم فون باعتباره ممول الأبحاث أخبرنى أنه من المستحيل تعاونه معنا..والآن أنت تخبرنى أن لديك علم بكل الأبحاث؟وماذا بشأن ذلك المخلوق.؟أبعد كل تلك الأسابيع والشهور ولم تحصل على عينه منه تحتفظ بها خارج معملك اللعين؟ ألم تتوقع حدوث يوم أسود مثل هذا.؟وماذا بشأن التجارب التى ننشدها حتى الوصول إلى النتيجة المرجوة أيها التعس..إننا الآن فى المربع صفر وكأننا فى غابة حالكة السواد ولا ندرى من أين نبدأ.

- سيدى لتترك لى فرصة وسأستجوب نور بنفسى على الرغم من فشلى الأسبوع الماضى ولكنى أعدك...

- لا لا فلتنس أمر نور إلى الابد سنجعله يتكلم فلدينا طرقنا الخاصة.

- وماذا بشأن تلك الورقة يا سيدى.؟

- إلى الآن لا نعلم محتواها وإن كنا نعتقد أنها رسالة مشفرة إلى شخصٍ ما..وهو الوحيد من يدرك معناها.

- وما العمل إذا لم يتعاون نور؟

- ليس لك شأن من الآن بتلك الأبحاث..سوف نبدأ المشروع منذ بدايته.. ونصيحتى لك فلتعد إلى ضيعتك الريفية فى هايدنهايم ولتنس أمرالأبحاث وكل ما يتعلق بها منذ خروجك من الجيش..إنى أريدك أن

تنهى حياتك العسكرية بسجلٍ خالٍ من العار يا هانزر..ولولا أننا حاربنا فى مكانٍ واحد لكنت قتلتك بيدى على ما أضعته لنا من وقت.

- ولكن..

- قلت لك اغرب عن وجهى ولتغلق تلك الصفحة من حياتك للأبد ومن الأفضل لك أن تتنامى تلك السنوات..وأنا سأحاول أن أبرر موقفك الفاشل فى مقابلتى مع وزير الحربية مساء اليوم.

وخرج هانزر مطأطئ الرأس وهو لا يدرى أن تلك الصفحة لن تغلق للأبد.

* * *

الفصل الثانى

(فى أوقات السلام الأبناء هم من يقومون بدفن آبائهم أما فى زمن الحرب فإن الآباء يدفنون أبنائهم)

كنيسه كانتربرى ببريطانيا العظمى صيف 1933

وقف القس ألبرت هوك فى بهو كنيسة صغيرة تابعة لكاتدرئية كانتربرى ليلقى عظته الأسبوعية فى نهار يوم الأحد من تلك الأيام التى يكون فيها إقبال على الصلاة والإستماع إلى الدرس الدينى الذى مر عليه أكثر من عشرون دقيقة.

نظر البروفيسور دان واتسون أستاذ علم الوراثة بجامعة أوكسفورد إلى ساعته فى تأفف وهو يستمع إلى زميله القديم الذى اتجه إلى الدراسة الكهنوتية وليهجر الجامعة إلى الأبد منذ أكثر من خمس عشر عامًا..كان لا يزال صوته يتردد فى جوانب البهو الداخلى..وبمجرد أن وقعت عينا القس على دان واتسون حتى اندهش لوجوده فى داخل الكنيسة هذا النهار..ولِمَ لا فقد كان دان واتسون ملحدًا حتى النخاع..وما أن رآه تبسم وسكت عن عظته للحظات وكأنه يتذكر شيئًا ما حتى انتبه إلى درسه الدينى فنظر إلى إنجيله وزاد من حدة صوته قائلًا:

- ونكمل ما جاء فى الإصحاح التاسع عشر من سفر التكوين..وقال الرجلان للوط..من لك أيضًا ها هنا؟أصهارك وبنيك وبناتك وكل من لك فى المدينة..اخرج من المكان..لأننا مهلكان هذا المكان..إذ قد عظم صراخهم أمام الرب..فأرسلنا الرب لنهلكه..فخرج لوط وكلم أصهاره الآخذين بناته وقال: قوموا اخرجوا من هذا المكان..لأن الرب مهلك المدينة..فكان كمازح فى أعين أصهاره..ولما طلع الفجر كان الملاكان يعجلان لوطًا قائلين: قم خذ امرأتك وابنتيك الموجودتين لئلا تهلك بإثم المدينة..

نظر دان واتسون فى ساعته للمرة العاشرة ورفع يده ليشير إلى القس لينهى درسه الدينى ولكن نظرة من الأخير والذى كان يبدو أنه يراقبه هو الأخر قضت على أىّ محاولة من واتسون.

واستطرد القس :

- ولما توانى..أمسك الرجلان بيده وبيد امرأته وبيد ابنتيه لشفقة الرب عليه..وأخرجاه ووضعاه خارج المدينة..وكان لما أخرجاهم إلى خارج أنه قال: اهرب لحياتك..لا تنظر إلى ورائك..ولا تقف فى كل الدائرة..اهرب إلى الجبل لئلا تهلك.

وفى هذه الأثناء قام دان واتسون من مقعده وسط اندهاش الكافة مستئذنا الجميع ليفسحوا له مجالًا للخروج حتى وصل إلى الممر ومنه إلى باب الكنيسة ليشير إلى القس أنه بجوار الباب.

لم يلتفت إليه و أكمل درسه قائلًا فى حنق:

- فقالت الملائكة يا أبنائى..أسرع اهرب إلى هناك لأننا لا نستطيع أن نفعل شيئًا حتى تجىء إلى هناك..لذلك دعى اسم المدينة صوغر..وإذ أشرقت الشمس على الأرض دخل لوط إلى صوغر ..فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتًا ونارًا من عند الرب من السماء..وقلب تلك المدن وكل الدائرة..وجميع سكان المدن..ونبات الأرض..ونظرت امرأته من ورائه فصارت عمود ملح..وبَكَّرَ إبراهيم فى الغد إلى المكان الذى وقف فيه أمام الرب..وتطلع نحو سدوم وعمورة.

والآن اعذرونى يا ابنائى فأنا متعب اليوم ولنكمل ما بدأناه الأحد القادم.

وهكذا أنهى القس ألبرت هوك عظته الأسبوعية وهو يلملم أوراقه وسط الحشد الملتف حوله ليقبل يده لينال البركة من الأب المبجل والذى كانت عيناه ترمق الشخص الموجود فى أخر الممر حيث كان مستندًا إلى باب الكنيسة مشعلًا سيجارة وسط اشمئزاز الجميع..أنهى ألبرت وقفته وتناول إنجيله ليذهب إلى دان واتسون الذى كان قد خرج إلى حديقة الكنيسة..وما أن راى زميله العالم القديم آتيًا إليه ألقى سيجارته وتقدم إليه مادًا يده.

تناول القس يده بابتسامة مصطنعة قائلًا فى بهجة زائفة:

- دان واتسون...أى رياح ألقت بك أيها الملحد داخل كنيستى.؟ لماذا أراك ثانية بعد كل السنوات السابقةأرجو أن تكون قد آمنت أخيرًا لتجلس بين يدى على كرسى الإعتراف.

قهقهه دان واتسون قائلًا ولا زال ممسكًا بيد القس:

- أبى العزيز وأستاذى ألبرت..كن على ثقة انى أخر شخص فى العالم قد أجلس على كرسيك المزعوم يومًا لأعترف لك بخطاياى..أو حتى أدخل كنيسة ما فى وقتٍ ما..بالمناسبة أخبرنى كيف تَحَوَّلَت امرأته إلى عامود من الملح يا أستاذ علم الأنثربولوجى.
- دان..لن نخوض فى حديث الأديان هذا..أنت مقتنع بفكرةٍ ما بلهاء فى رأسك فلتقتنع بها..على الرغم من واجبى إرشادك للطريق المستقيم..أنا مقتنع بوجود رب ورسل وكلام مقدس يخبرنا عن سير الأولين..فإن كنت أتيت كل هذه المسافة لتخبرنى أنك لست مقتنعًا فأنا على عجلة من أمرى ولنكمل حديثنا فى وقتٍ أخر.
- مهلًا يا بروفيسورأنا فعلًا لم أقطع هذه المسافة لمجرد إخبارك بذلك ولكن هناك أمرًا ما حدث بالجامعة وكنت أود إخبارك به.

- عذرًا يا دان لقد هجرت اكسفورد من خمس عشر عامًا لأتفرغ لدراستى الكهنوتية وأظن أنى لست مهتمًا بأىّ حدثٍ لديكم وأود تذكيرك أن أخر لقاء بيننا قد أخبرتك أنى لا شأن لى بأى أبحاث تقوم بها ولا أتذكر أىّ أبحاثٍ قمت أنا بها فى السابق..والآن على الإنصراف.
- ألبرت..لماذا كلما ترانى تخبرنى بتلك الكلمات مرة تلو الاخرى.؟أنا لست هنا لإجبارك على البوح بأىّ شىء كل ما هنالك أن الأمر يتعلق بسمنر.
- سمنر...!!
- نعم.
- البروفيسور ادوارد سمنر عالم الأنثربولوجى الحيوى وزميلك القديم يا مستر هوك..رفيقك فى البعثة إلى جامعة هارفارد منذ أكثر من عشرون عامًا.. وأستاذى فى علم الوراثة.. أيعقل أن تكون نسيته.؟

ضاقت حدقتا ألبرت هوك بمجرد ذكر اسم العالم المختفى واستند إلى مقعد حجرى وهو يتمتم بصوتٍ خافت:

- ادوارد سمنر..كنت أعتقد أنى لن أسمع هذا الإسم مرة اخرى..يا إله السماوات..أخبرنى سريعًا أيها الشاب ما حدث فى الجامعة يتعلق بسمنر.؟ هل ظهر مرة أخرى.؟
- إلى حدٍ ما.
- ما تقصد بـ إلى حدٍ ما؟ سؤالى واضح يا دان.
- أنا لا أدرى تمامًا كل ما هنالك أن هناك شخصًا ما يطلبك بالإسم.
- شخصٌ ما.؟من هو.؟ فلتحدثنى بالموضوع كاملًا..وإلا اقسم انى سانصرف لارعى شئونى داخل الكنيسة.
- يا سيدى كل ما هنالك أن أحد العلماء وصل إلى الجامعة منذ أسبوع وقابلنى على انفراد عندما علم أنى الوحيد الذى يعلم مكانك وكان

مصممًا على رؤيتك لولا أنى أوضحت له انعزالك فى كنيسةٍ ما..ولم أذكر له أىَ شىءٍ أخر حتى أستأذنك..ولكنه أصَرَّ بشدة على معرفة عنوانك فرفضت فأبلغنى أنه يريد رؤيتك لأمرٍ أخطر مما نتخيل..أمهلنى أسبوعًا وكنت قد تناسيت تمامًا هذا الموضوع حتى جاء لمقابلتى أول أمس ليستفسر عما إذا كنت قابلتك ولكن عندما اعتذرت بدافع انشغالى ونسيانى الأمر غضب بشدة وخاصة أنه يبدو عليه مظاهر الجنون..وعندما هممت أن أطرده خارج الغرفة قال لى فلتخبره فقط أنى قادم برسالة ورقيه إليه من البروفيسور ادوراد سمنر لأنى كنت فى فريق بحثه لأكثر من خمس سنوات.

- أى فريق بحث يا دان ؟ أو لم يخبرك عن تلك الرسالة أو فحواها.؟
- لم يخبرنى بحرف أكثر من ذلك ورفض تمامًا الكشف عن فحوى رسالته وقال لى إذا لم تقابله فى عطلة الأسبوع اليوم سيرحل خارج بريطانيا وأننا من سنخسر مجهود عالمين قضيا حياتهما فى تحقيق إعجازٍ ما.؟
- إعجاز.. وجهود.. لست مطمئنا لهذا الرجل يا دان.
- ولا أنا يا ألبرت أيكون هناك بحث يودون إشراكك فيه مرة أخرى.؟
- لا يهمنى ذلك..وأنت تتذكر عندما أتيت المرة السابقة عارضًا رسالة ادوارد التى وصلت إليك منذ سنوات..فلو أنى مهتمًا بالعمل معه لكنت الآن فى هارفارد..كل ما أود معرفته هو حقيقة علاقته بادوارد سمنر..وحتى سمنر لماذا تذكرنى بعد كل هذه السنوات..وهو يعلم أنى قد قضيت نحبى ؟..اللعنة..لقد نجح هذا الرجل فى جذب انتباهى ولا أدرى هل أترك الكنيسة هذا المساء وأحضر هذا اللقاء أم...
- تلك النقطة التى أثارت حيرتى يا ألبرت..الرجل يعلم أنك توفيت فى إحدى الغارات على مساكن الجامعة كما أخبرته من قبل..فلماذا يرسل

إليك برسالةٍ ما بعد هذه السنوات.؟مع شخص يصر على مقابلتك شخصيًا.؟ يا أستاذى العزيز فلتترك الكنيسة إنها لن يحدث لها شىء فإلهك يحرسها بالطبع ولتأت معى لمقابلة ذلك الرجل الذى يرفض الحديث لأكثر من ذلك.

- أين يقيم هذا الرجل.؟
- فندق كوينز خارج لندن..إنه فندق أقل من المتوسط فيبدو أن الرجل مفلس تمامًا يا ألبرت.
- حسنًا أمهلنى ثلاثون دقيقة لأتى معك..وادعو الله أن يكون فى الأمر ما يستحق..آه بالمناسبة ما اسم هذا الرجل؟
- نور... نور سيريك.

بعد حوالى خمسون دقيقة كان ألبرت هوك ودان واتسون يستقلان القطار من محطة أشفورد..قاطعين المسافة بين كانتربرى ولندن التى تقارب الساعتين..وبعد أن تبادل الرجلان الحديث فى عدة مواضيع لقتل الوقت التفت كل منهم للتفكير فى ما يشغله..فأمسك دان جريدة الديلى ميرور ليبدأ قرائة ما قام به رئيس وزراء بريطانيا رامزى ماكدونالد فى موضوع تسوية التعويضات مع ألمانيا بعد الحرب العالمية السابقة..فقد حاول أن يشغل نفسه عن السبب الحقيقى الذى دفعه لقطع تلك المسافة ليقابل هذا العالم المعتزل مرة أخرى.

كانت أول مرة منذ أكثر من عشرون عامًا عندما بدأ دان أبحاثه الخاصة بعلم الانثربوليجى..يتذكر دان هذا التاريخ جيدًا ففى عام 1911بعد تخرجه مباشرة التحق بالعمل فى جامعة اكسفورد كمساعد للبروفيسور ألبرت هوك أستاذ علم الوراثة بالجامعة وسرعان ما أثبت تفوقه حتى التحق وسط فريق بحثى من أساتذته والذين جمعهم هدف واحد..ولم يدرى ما هو

الهدف الحقيقى من أبحاثهم المشتركة كل ما كان عليه فقط هو طاعتهم العمياء حتى ينال ثقتهم جميعًا..وقتها كان الفريق البحثى مكون من ألبرت هوك والبروفيسور ادوارد سمنر والبروفيسور اليزابيث فورد.

ولم يمر وقت كبير حتى أصبح عضو فى الفريق العلمى الذى تبنَّته الجامعة وأعطت لهم اعتمادًا ماليًا لدراسةأصول الإنسان الأول ومعرفة طريقة تعامله مع العالم المحيط به وكيفية تعايشه مع الأحوال الزمنية فى ذلك الحين..كانت الدراسة نظرية بشكلٍ ما لحين البدء فى الأبحاث الميدانية والتى كان ينتظرها بفارغ الصبر..ولكن لقلة الإعتماد المالى للجامعة تم التأجيل لأكثر من مرة..وباقترابه من أستاذه ألبرت علم أن هناك مشروعًا سريًا أخر فى الخفاء وأن تلك المنحة ما هى إلا ستار لدراسة شىء أخطر وأهم ولكن الأيام لم تمهله حتى يقترب أكثر من السر الذى كان وشيكًا على الوصول إليه.

فبعد عام من عمله مع ألبرت تبنت جامعة هارفارد الأمريكية الأبحاث بعدما راسلها ادوارد سمنر لقله الموارد المالية للجامعة الانجليزيه ولخطورة أبحاثه أعطته منحة كاملة بكافة الإعتمادات المالية لكلٍ من ألبرت هوك أستاذ علم الوراثة والأستاذ ادوراد سمنر..وذلك بالتعاون مع جامعة اكسفورد الإنجليزية..وعبثًا حاول العالمان اصطحاب دان معهم أو حتى زميلتهم إلا أن طلبهم قوبل بالرفض من إدارة الجامعة حيث كانت المنحه مخصصة لفردين فقط.

وقتها بدأ دان واتسون العمل وحيدًا فى القشور التى تركها له العالمان وعبثا حاول قبل سفرهم أن يتنازل أيًا منهم ليبوحا له بأى شىء..وحتى العالمة الأخرى التى حاول أن يعمل معها لكنها استقالت بمجرد انتهاء عمل الفريق العلمى ورفضت الإفصاح عن أىّ شىء يتعلق بالأبحاث.

ورحل العالمان إلى أمريكا وانقطعت أخبارهم تمامًا حتى بدأت الحرب العالمية الكبرى وقتها علم دان أن ألبرت قد منىّ هناك بفشل ذريع وأغلقت جامعة هارفارد أىّ منح أو اعتمادات لنشوب الحرب فما كان من ألبرت إلا أن عاد إلى بريطانيا يجر أذيال الخيبة ليعتزل الناس جميعًا تاركًا زميله العالم ادوارد سمنر فى أمريكا..وسرعان ما تعرض منزل ألبرت بالسكن الجامعى للقصف فى إحدى الغارات وكان هناك العديد من الضحايا وتأكد دان من وفاة ألبرت حيث نشرت الجامعة وقتها نعيًا فى الديلى ميرور تنعى أستاذ علم الوراثة بالجامعة.

لم يتأثر دان كثيرًا فحياة الرجل كانت تحتوى على العديد من الأسرار ولكن بالطبع لم يبح بها..فلم يشعر بأىّ ألم لفراق أستاذه..ومرت الأعوام طويلة حتى انتهت لعنة الحرب وما خلفته من آثار ودمار فى كافة الأرجاء...وبعد سنوات من انتهاء الحرب فى عام 1926وصل إلى دان واتسون بريد من العالم ادوراد سمنر والذى كان قد تناساه تمامًا وكان معنونًا باسم ألبرت هوك ولكن بالطبع لم يستلمه أحد وعاد مرة أخرى إلى صاحبه حتى وصل أخيرًا إلى دان خطاب من الرجل يسأله مباشرة عن أحوال البروفيسور ألبرت هوك ولماذا لم تصل خطاباته إليه.؟ والآن بعد أن تحسنت الأحوال فى الولايات المتحدة بعد انتصارها فى الحرب وهل هناك إمكانية للعوده معه إلى أمريكا لأنه قد وجد جامعة تتبنى كافة الأبحاث.

وقتها رد عليه بوفاة ألبرت هوك فى إحدى الغارات وأنه أن كان محتاجًا لأحد المساعدين فهو على أتم استعداد ليرحل إلى أمريكا ولكنه لم يرد عليه وقتها وبعد أن أرسل دان عدة خطابات إلى نفس العنوان..فوجىء بخطاب واحد من ادوارد يأسف فيه على وفاة صديقه دون أن يشير حتى إلى إمكانية سفر دان واتسون إليه.

طوى دان الجريدة واضعًا إياها فى جيبه الداخلى وهو ينظر بتحدٍ إلى ألبرت الذى كان مستغرقًا فى نومٍ هادئ على مقعده الجلدى.

سرح مرة أخرى فى تلك الحقول الخضراء والتى تفصل كانتربرى عن المدن المجاورة لها..عاد مرة أخرى إلى وجه العجوز الذى كان على يقين بموته حتى عامين فقط..عندما أخبره أحد زملائه أنه كان فى مراسم تأبين والد زوجته فى كنيسة كانتربرى ووجد العالم ألبرت هوك هناك وقد درس علم الكهنوت وأصبح من القساوسة فى تلك الكنيسة..لم ينتظر دان سوى ليلة واحدة فقط ثم ركب القطار حتى وصل أخيرًا إلى الكنيسة الصغيرة الملحقة بالكاتدرائية حيث مقر القس ألبرت هوك وكان لقاء مفتعلًا من دان..فكل ما كان يريد معرفته هو لماذا هجر العالم واستقر فى تلك البقعة..وهل هناك إمكانية للعودة للعمل معه فى أبحاثه لمساعدته؟

كان من الصعب عليه أن يدخل إلى الكنيسة فهو لا يؤمن بأىّ أديان ولا رسل ولا أىّ شىء وعندما تطرق الحوار بينهم إلى تلك النقطة حاول ألبرت معه مراتٍ ومرات لإقناعه بالتدين والإعتراف ونبذ الشياطين التى تدور برأسه لكنه رفض.

ولم يقتنع دان نفسه بالحجج الواهية التى جعلت ألبرت يهجر الجامعة والعالم ليعيش هنا فى أواخر أيامه يلقى عظته الأسبوعية على عدة أفراد تعيش فى غيبوبة الدين وعبثًا حاول أن يستخلص منه أىّ سر كنتيجة لأبحاثه السابقة ولكن كان رد ألبرت أنه هجر الدنيا والأبحاث والجامعة و يريد أن يظل هنا تحت ظل الله إلى يوم القيامة.

لماذا خطر بباله الآن أن يلكم العجوز فى أنفه بأقصى ما أوتى من قوة.؟ألأنه يشعر أنه يضمر شيئًا ما.؟بالطبع كان لديه ما يخفيه من نتائج لأبحاث

سرية مع العالم العجوز الأخر..كان ممكن أن يوفر عليه تلك السنوات التى قضاها دان واتسون فى أبحاثه عن علم الإنسان الأول.

ولكن ما أثار اندهاشه لدرجة الجنون هى تلك الرسالة القادمة من أمريكا من العالم ادوارد سمنر عن طريق الشخص المسمى نور سبريك..لماذا.؟ من المفترض أن ادوراد على تمام العلم أن ألبرت توفى فى إحدى الغارات..لانه أبلغه بنفسه مع صورة نعيه التى كانت فى الجريده وقتها.. بل ارسل إليه خطاب تعزية فلماذا الآن يرسل هذا المساعد برسالة ما إلى شخص متوفى.؟ ويصر أن يقابله شخصيًا.؟ فكيف.؟

كان فى الأمر خدعة ما..لا يدرى أيهما يقول الصدق وأيهما يكذب..كان عليه فقط الإنتظار وليس أمامه سوى الإنتظار.

****

وفى إحدى الغرف الضيقة فى فندق كوينز كان يجلس ثلاثة رجال على منضدة يحتسى كل منهم مشروبه الدافىء وكل منهم ينظر إلى الأخرين بريبة..وما أن انتصفت الساعة الخامسة عصرًا انتبه ألبرت هوك إلى الوقت الذى يضيع منه فنظر إلى الرجل الجالس إلى جواره ذو الملامح القاسية والآتى إليه برسالة من صديقه العالم الإنجليزى قائلًا:

- إذن فقد رحل العجوز..رحمة الله عليك يا صديقى ادوارد..والآن بعد أن اطمئننت أنى ألبرت هوك كما رأيت من أوراقى هل لك أن تدخل فى ما جئت به مباشرة بدلًا من الدقائق التى نهدرها ولنكمل حديثنا الذى بدأناه..كلنا أذانٌ مُصغية.

- سيدى فلتلتمس لى العذر فكما أخبرت مستر دان لقد عانيت الكثير حتى أصل إليكم سالمًا وأعتقد أن لدىَّ الكثير الذى لم ولن يعلمه غيركم..ولكن الأمر من الأهميه لدىّ لأتاكد أنك الرجل المنشود.

دان - لقد أخبرنى الرجل يا ألبرت أنه كان نزيلًا لفتره فى السجون الألمانية.

نور- مهما أخبرته يا مستر دان لن تتخيل حجم الآلام التى عانيت منها حتى أخبرهم عن سر تلك الأبحاث..لقد تذوقت أقسى أنواع الألم والجلد يوميًا ونزع الأظافر والكى و..

ألبرت - كفى أنا لا أحب سماع تلك الأحاديث..لقدأخبرتنا من قبل أنك زميل البروفيسور ادوارد سمنر وأخبرتنا أن المسكين قضى نحبه داخل تلك القلعة فما طبيعة تلك الأبحاث وما فحوى تلك الرسالة التى أراد أن يرسلها لنا.

نور –حسنًا..ولكن أود أن أشير لك أنى لن أتخلى عن السير على خطا أستاذى الراحل وسواء كان لديكم القدرة على المساعدة أم لا سوف أسير فى طريقى حتى أرى ما حلمنا به سويًا يتحقق أمامنا.

وقام إلى حقيبته ليخرج من أحد الكتب المكتظه بها أحد الأظرف والذى فتحه بعناية ليخرج منه ورقة مهترئة مما مر بها من أحداث ليضعها أمام ألبرت قائلًا:

- هذه الورقة كادت أن تجعلنى افقد حياتى يا مستر ألبرت..هذه الورقة هى أخر ما دونها أستاذى ادوارد..قرأتها آلاف المرات ولم أفهم منها أي شيء.. قرأها رجال الجيش الألمانى ولم يفهموا منها حرف..مارسوا علىّ أقسى أنواع التعذيب وعقارات الحقيقة ولما تاكدوا أنى لا أعلم أئشىء أطلقواسراحى..كنت متأكدًا أنى مُراقَب بشكلٍ ما..لذا انتظرت شهورًا

أمارس حياتى بالشكل الطبيعى حتى أنى عدت إلى بيتى القديم فى أحد المقاطعات السوفيتية واستقر بى الحال هناك..وعندما يأس المطاردون منى قررت أن أبدأ فى التحرك ولذلك كان علىَّ أن أفهم تلك الكلمات المدونة فى الورقة.

ناول نور الورقة إلى العجوز الذى ارتدى نظارته فى عجلة واقترب منه دان الذى كان فى أشد حالات اللهفة لمعرفة ما فحوى الرسالة وهل تتعلق بطبيعه الأبحاث التى كان يجريها العالمان وكم كان يأمل وقتها أن تكون لدى أحدهم إجابات شافية لأبحاثه هو الآخر..أو يكون بالرسالة أىَ كلمات قد تكشف غموض الموقف باكمله.

قرأ ألبرت الورقة مثبتًا عينيه لمدة دقيقة ليبدو لناظريه أنه ذهب فى عالم أخر بينما لم يصبر دان فمد يده بتلقائية لأخذ الورقة من يد ألبرت الذى كان لا يزال فى شروده ولكن خيبةأمل دان كانت لا حدود لها عندما وجد أن تلك الورقة لا تحتوى إلا على كلمتان :

(هارفارد - أناتون)

- ما هذا العبث..؟ما معنى هارفارد.؟ وأناتون.؟ربما كان يقصد جامعة هارفارد الأمريكية.؟وماذا بشأن أناتون.؟ما هذا الهراء.؟ أهذه الرسالة الحمقاء التى كدت أن تدفع حياتك أمامها يا رجل.؟أىُ عقلٍ تحمله فى رأسك.؟ إن الرسالة خَيَّبَت آمالنا قبل أن تبدأ..وما يدرينا أن تلك الرسالة هى الحقيقية.؟ وما يدرينا..

لكن ألبرت قاطعه قائلًا وهو يزيح نظارته:

- مهلًا يا دان..مهلًا إن الرسالة حقيقية..وأن ادوارد هو من كتبها وهو يقصدنى أنا بهذه الرسالة..أما بخصوص كيف وهو يدرى أنى توفيت فهناك العشرات من الأسئلة التى تتوالد فى رأسى.

دان - هل لك أن توضح أكثر يا ألبرت؟

ألبرت - ليس الان..أنا متعب من السفر وأريد أن أستريح.

دان - ألبرت.. إننا فى عجلة من أمرنا.

نور- يا سيدى أىّ راحة الأن؟ لقد أتيتك من آلاف الأميال لأفهم فحوى هذه الرسالة وزميلك القديم أوصى بإيصالها لك فأرجو..

ألبرت (مقاطعًا)- قلت لكم أنى فى أشد الحاجةإلى الراحة..وأنت أيها الشاب لقد أتيت لى برسالة من أستاذك وليس لك أىّ شأن بعد ذلك.

نور- كيف لا شأن لى.؟يا سيدى أريد أن أوضح لك شـيئًا ما..أن لديك ربع الحقيقة و بداية الفكرة التى بدأتموها سويًا..أما أنا فلقد حضرت أكثر من نصفها وإذا تعاونّا معًا فسنستطيع إكمال ما بدأه أستاذى وزميلك الراحل..ولا أريد منك فقط إلا إيضاح فحوى الرسالة وسأتمكن وحدى فى المُضِىّ فيما قررت فعله إن لم تكن لديكم النيه لمساعدتى.

دان - الرجل على صواب يا ألبرت أن كل منا لديه جزء ما من الحقيقة.. فلماذا حتى هذه اللحظة منذ سنوات ترفض الإفصاح عما يدور بخلدك..أنت فى هذه الحالة تخون تلك الثقة التى وضعها فيك مستر ادوارد سمنر.

ألبرت - أنا لم أخن ثقة أحد كل ما طلبته هو مهلة لنفسى أولًا ومصارحتها بهل أكون على استعداد إلى شيءما.؟فى البداية كان أملنا يتجه إلى البحث

عن نتيجة معينة ولكن بعد أكثر من عشرون عامًا..هل.؟هل بعد كل هذه السنوات يختارنى الرب لهذا العمل.؟

دان- الرب.؟ لا أفهمك يا ألبرت.؟ الرسالة ليست دينية فلم تصبغ كل شىء حولك بالدين؟

ألبرت- يا ولدى إن الدين فى كل شىء وإن..

نور (مقاطعًا)- أيها السادة من فضلكم ليس هذا مكان ولا زمان جدالكم الدينى أريد الآن أن أعرف كم تطلب من المهلة يا مستر ألبرت؟

ألبرت - غدًا..غدًا مساءًا يا مستر نور سوف أخبركم بكل شىء.

****

فى صباح اليوم التالى كان ألبرت فى طريقه إلى الفندق حيث الموعد المحدد مع نور وطوال الطريق ظل يحدث نفسه بما قرره ليلًا..لم يغمض له جفن..يعلم أنها تجربته الأخيرة مع الله.فالله يريد أن يستخدمه بشكلٍ ما..ولم لا أليس هو من أرسل نور إليه برسالة من ادوارد الذى هو فى عداد الأموات الآن.؟

وبعد حوالى ثلاثون دقيقة كان الرجال الثلاثه كما الأمس تمامًا مجتمعون أمام تلك المنضدة الصغيرة وبينما كان ألبرت يسترسل فى الحديث قاطعه دان قائلًا:

- إنى مندهش يا ألبرت..أبعد كل هذه السنوات من غيبوبتك داخل الكنيسة توافق على المساعدة.؟تأتى مهرولًا بمجرد وصول تلك الرسالة الغامضه لتقول نعم أنا معك.؟ألا تتذكر عشرات المرات التى

طلبت مساعدتك فى تلك الأبحاث اللعينة التى تركتموها خلفكم أنت وادوارد.؟ وكان ردك النفى القاطع وكدت أن تطردنى خارج كنيستك.؟

- أنت لا تدرى يا دان.. هى تجربتى الأخيرة وسأحارب حتى النهاية..
- أية تجربة وأى حرب الآن يا ألبرت.؟ أعتقد أن لكلٍ منا جزء من الأحداث التى مرت علينا ولكلٍ منا دوره وإذا كنت تطلب المساعدة فعلًا يا نور فعليك أن تقص علينا كل ما مررتم به فى سبيل هذا البحث.

نور – نعم يا مستر دان هناك العديد من السنوات المفقوده لدى كل منا وسوف أقص عليكم ما حدث ولكنى أرى أن نعود الى بداية الأحداث فهناك العديد من الأسرار التى لم نسمعها من قبل وأعتقد يا مستر ألبرت أن لديك ما يكفى منها.

ألبرت – نعم هو كذلك وسوف أقص عليكم ما حدث وأدعو الله ألا تخوننى ذاكرتى.

أسند ألبرت رأسه على كرسيه رافعًا وجهه إلى السقف ليسرد على مسامع الأخرين القصة منذ البداية..تنهد تنهيدة حارة وبدأ فى الحديث:

فى بداية عام 1911 كنت فى بداية الأربعينات من العمر وقد انتقلت للعمل فى جامعة اكسفورد كأستاذ فى علم الأنثربولجى وقتها تعرفت على العالمان ادوارد واليزابيث فورد أساتذه علم الوراثةبالجامعة..كانا على وشك الزواج..وتوطدت صداقتى بهما وبعد عدة أسابيع علمت أن هناك بحثًا فى الجامعة بقياده الاستاذ ادوراد سمنر حول معرفة أساليب تطور بعض القبائل القديمة من البشر والبحث فى ماضيهم وحاضرهم لكى يفهم تطور هذه الكائنات عبر التاريخ..إلى هنا كان البحث طبيعيًا جدًا ومن أصول علم الأنثربولجى وهو ما أقوم بتدريسه لتطور البشر..لكن ما كان سريًا هو أن

ادوارد كان يخاطب جامعات عدة للحصول على منحة من إحداها لدراسة أماكن القبائل القديمة كما وردت بالنصوص المقدسة سواء كان إنجيل أو توراة أو قرآن أو تعاليم شرق أوسطية..قد تتساءلون وما علاقة ادوارد أستاذ علم الوراثة بذلك سأجيبكم بأن حلم ادوارد القديم هو اكتشاف وجود نسل لبعض تلك القبائل حتى الآن فى أماكن محددة فى العالم..وقتها حضرت أنت يادان..شابًا مُتَّقِد الذكاء..كنت فى بداية عملك فى الجامعة وعملت كمساعد لى فى التدريس..كنت أشعر أن ورائك شغف غير طبيعى ولذلك كان علىَّ أن أضمك إلى فريقنا..لكن ذات صباح فوجئت بادوارد يكاد يطير من فرط سعادته لوصول خطاب له من جامعة هارفارد الأمريكية بعد أن صادف هواها ما يقوم به من أبحاث..حيث جائته موافقة كاملة للبحث عن أماكن تجمع تلك القبائل إن وجدت مع تأمين شامل لمصاريف تلك الرحلة مهما كلفها الأمر على أن يسبق ذلك الدراسات اللازمة لتلك الأماكن..لكن ما اثار خيبتنا بعد ذلك هى أن البعثة كانت لفردين فقط..حاولنا اصطحاب اليزابيث أو اصطحابك يا دان ولكن هارفارد رفضت ذلك ولم يكن لدينا سوى السفر بعد عدة أسابيع..حتى أنه لم يتزوج لإصراره على الرحيل ..وفى بداية عام 1912 كنا قد استقرينا بالجامعة..وقتها تفرغنا بالكامل للدراسة الأكاديمية لتقديم كل ما يخص تلك الرحلة..درسنا عشرات الأماكن على الخريطة..حفظنامئات العهود المقدسة والتعاليم الدينية وتفسيراتها..لم يكن ينقصنا سوى البدء..استغرق الأمر منا تسع وعشرون شهرًا كاملة فى أبحاث نظرية حتى قررنا أخيرًا بداية رحلة البحث عن أصول تلك الجماعات وأماكن وجودها..لكننا أصبنا بخيبة أمل لا حدود لها وقت أن ألغت الجامعة المنحة بالكامل بحجة أن الميزانية لا تسمح بوجود هذا البند الباهظ فى هذا الوقت..كنا سنجن حينها ولم نعلم ما السبب وراء ذلك..وبعد عدة أشهر

علمنا السبب بمجرد نشوب الحرب الكبرى فعلى الرغم من عدم دخول أمريكا الحرب إلا متأخرًا إلا أن الدعم المادى وقتها توجه إلى أسلحة الجيش والدعم اللوجيستى.

وقتها أظلمت الدنيا فى وجوهنا ولم يكن هناك بد سوى الرحيل إلى الديار مرة أخرى وفعلًا حزمت أمرى للرجوع إلى بريطانيا أما ادوارد فلم يستسلم مثلى وقرر المكوث فى أمريكا لحين حصوله على منحة أخرى لاستكمال بحثه..كان يهدف إلى شىء معين فى سعيه المحموم وراء تلك الجماعات..كان ينصب عمله إلى كيفية نقل تلك الصفات المتوارثة فى تلك الجماعات إلى الجيل الحالى وكيفيه إعطاء الإنسان الموجود مناعة تؤهله لمقاومة الأمراض الموجودة ولو نجح فى سعيه لذلك لقضينا على عشرات الأمراض المتوطنة وخاصة فى بلاد العالم الثالث..كانت صدمة ادوارد أضعاف صدمتى الحقيقة لأن الرجل وصل فى أبحاثه إلى مرحلة متقدمة ولم يكن ينقصه سوى البحث عن تلك الجماعات..كان الأمر لابد أن يظل فى طى الكتمان لأقصى درجة ممكنة ولذلك عندما عدت إلى الجامعة وأتيت إلى كانتربرى يا دان كى أساعدك فى أبحاثك التى كنت تسير فيها على نفس نهجنا كان لابد أن أكتم سر الشخص الذى ائتمننى عليه وقتها.. وأقسمت أنى لن أبوح بهذا السر أبدًا.

ودخلت بريطانيا خضم الحرب..حينئذ وصل لى الخطاب الأخير من ادوارد..كان قد يأس من البحث عن مصدر تمويل لرحلته وأنه مصمم على عدم الرجوع مرة أخرى حتى ينتهى من ذلك الإكتشاف الذى سيغير الخريطة الوراثية للإنسان الحالى..وكيف سيحارب الأمراض وما إلى ذلك من أحلام وردية كانت موجودة فقط على الورق..وتفرقت بنا الأحوال..وذات مساء من أيام الحرب الملعونة دُكَّ سكن الجامعة أثناء

غاره..ولحسن حظى كنت خارج المبنى فى هذه الأمسية..كنت أحضر بعض الدروس الدينيه فى منزل أحد الطلاب..وتفتح نور الإيمان داخل قلبى لأول مرة منذ أمدٍ بعيد..حينها علمت أن الرب اختارنى لشىءٍما..وظللت طوال هذه السنوات أظن أن الله اختارنى لإعطاء الدروس والخطب الدينية ولكنى حتى الأمس كنت على خطأ.

هجرت الجامعة..ولم أهتم بخبر وفاتى الذى نشرته الجامعة أو حتى أقوم بتكذيبه.. تطوعت فى إحدى المستشفيات القريبة من ميادين القتال.. رأيت أهوال الحرب..رأيت أجسادًا ورؤوس وأطراف مبتورة..فى ذلك المشفى تعلمت الكثير والكثير مما جعلنى أهجر العالم الآدمى..تعلمت أن فى أوقات السلام الأبناء هم من يقومون بدفن آبائهم أما فى زمن الحرب فإن الآباء يدفنون الأبناء..تعلمت أن الأمهات والأطفال هم الأكثر ضررًا من الحروب فهم من يدفعون ثمنها أنهارًا من الدموع قهرًا على أحبتهم..

استمريت بالتطوع فى المستشفيات العسكرية طوال مدة الحرب وبعد انتهائها كان من المستحيل العودة إلى تلك الدراسة الأكاديمية البحتة فتوجهت إلى الدراسة الكهنوتية..فرحلت إلى كانتربرى واستقر بى المقام هناك وهذا كل ما حدث لى طوال هذه المدة.

شيئًا أخيرًاأود إضافته وهى إجابتى عن سؤالك لماذا الآن.؟ لماذا بعد رفضى طوال هذه السنوات مساعدتك ترانى متحمس لهذا الموضوع..يا ولدى إنها تلك الإشارة التى انتظرتها من الله طوال هذه السنوات ألا وهى التبشير..دورى ليس إلقاء الدروس الدينية أمام العشرات من الأشخاص الذين يأتون إلى كنيستى الصغيرة الملحقة بالكاتدرائية ليستمعوا إلى أحد الدروس الأسبوعية والتى لا تخرج عن كونها قصص من سير الصالحين..ولكن هناك ما هو أبعد..تخيل يا ولدى إذا وجدت تلك القبائل

وكانت هناك طريقة للتفاهم بيننا هل تخيلت إذا نشرت لهم تعاليم المسيحية هناك.؟إذا قمت بالتبشير وسط هؤلاء الوثنيين.؟أىُ مهمه أقدس من تلك التى أختم بها حياتى.؟ ألا تتذكر رسل يسوع.؟إنى على أتم استعداد لأنهى حياتى فى سبيل ذلك.

دان- ألبرت..هاأنت كعادتك لقد غيرت مسار هدفنا إلى مصير دينى بحت..وأعلم أن لا وقت لدىَّ ولا لديك للحديث فى تلك الترهات..لكن ليس هذا سؤالى الوحيد..سؤالى الأخر هو أن هذا البحث كان سريًا ولم يطلع عليه أحد فلماذا تظن أن ما أتى به نور هو ما كنتم تقومون به من الأصل..؟بل غرابة الأمر تجعلنى أظن أن قد تكون هذه رسالة مزيفة..فلتلمس لى العذر يا مستر نور .

نور- وما وجه استفادتى يا مستر دان.؟ كل ما هنالك هو تحقيق رغبة رجل ميت أصَرَّ على وصولى إليكم بهذه الرسالة وقد كنت أظن أن لديكم ما تقدموه إلىَّ بدلًا من تلك الأحاديث والذكريات لمساعدتى للسير فى نهج مستر ادوارد..والبدء من نهاية عمله ولكن عوضًا عن ذلك أرى أننا سوف نبدأ من الصفر بل من تحت الصفر.

ألبرت- يا دان أنا واثق تمام الثقة أن ما أنهاه ادوارد كنا نحن ثمرة بدايته..وأن ما كان يقوم به فى أخر عمله هو ما بدأناه سويًا.

دان- ومن اين اتيت بتلك الثقة يا ألبرت؟

ألبرت- من الرسالة ذاتها.

دان –كيف من الرسالة وأنت لم يذكر فيها اسمك أو ما يشير إليك.؟

ألبرت- قد يكون ذلك ولكن كلمة (أناتون) هى كلمة أطلقتها فى بداية البحث وهى تشير إلى الإنسان الذى سنبحث عن أماكن تواجده وسميته بهذا الاسم تيمنًا بالملك المصرى اخناتون فقد كان له دور فى بحثنا ذلك..لا تستعجل الحديث كله يا دان كُلّ سيأتى فى دوره.

دان- كُلّ سيأتى فى دوره..نعم كلامك صحيح..أما عن نفسى فأنا لا أملك أىّ أسرارٍ فبعد رجوعك من البعثة توليت البحث فى ذات الفكرة التى كنتم تقومون بها لكنى لم أدرك فكرة ادوارد وهى تعديل الصفات البشرية للجيل الحالى لجعله أكثر موائمة..نعم احتجت لكل ما كنت تخفيه..ظننتك توفيت فى وقت الغارة وعندما تلقيت رسائل من ادارود يسال لماذا لم تقم بالرد عليه فى الفترة الأخيرة أخبرته بوفاتك واستعدادى للسفر لاستكمال البحث عوضً عنك لكنه لم يُلقِ لى بالًا هو الأخر..استمريت فى البحث عن أصول الإنسان الأول..لقد تعمقت فى دراسه قبائل الكويسان والهادزا الإفريقية وقبائل حقبة أومو انتيسيسر فى أوروبا والعديد من آثار الهنود الحمر ولم أدرك ما دار بعقلكم يا ألبرت كأنى كنت أدور فى حلقة مفرغة..

وبعد فترة علمت أنك فى تلك الأسقفية الملحقة بالكنيسة فكان علىّ أن أزورك وأحاول أن أستخلص منك أىّ شىء قد يفيدنى فى البحث عن أصول تلك الجماعات ولكن رأسك كانت عنيدة دائمًا..فقررت إلغاء البحث واكتفيت بما أجريته من خطوات واتجهت إلى الدراسة الأكاديمية..حتى أتى إلىّ نور فى الجامعة بتلك الرسالة..ولدىّ الكثير من الأسئلة الغامضة التى لن يجيبها إلا أنت يا نور وأتمنى أن أعلم من أنت وما طبيعة الأبحاث الأخيرة وكيف مات ادوارد.

نور- مهلًا يا مستر دان سأجيبك على كل تساؤلاتك وسأبدأمن بداية الرحلة فى أمريكا تمامًا كما أخبرنى ادوارد وتحديدًا بعد انتهاء الحرب الكبرى

عام1918..وخلال هذه الفترة حتى عام 1922 كانت أسوأ أيام مستر ادوارد..كانت الحياة صعبة فى ذلك الوقت فى أمريكا على الرغم من محاولة الرئيس ويلسون طوال مدة الحرب أن يبقى بلاده على الحياد إلا أن أمريكا تم جرها للحرب فى نهايه عام 1917 وانتهت بانتصار الحلفاء على قوات المحور وهزيمه المانيا المنكره.

عانى مستر ادوارد الأَمَرَّيْنِ حتى عام 1922 فلم يكن لديه أىَ عملٍ فى هذا الوقت حتى أنه عمل فى مكتبة عامة كبائع فى الفترة المسائية وعلى الرغم من قلة دخله إلا أنه استفاد من قراءة الكتب الموجودة بالمكتبة..وظل هذا الأمر حتى أرسلت إليه جامعة حديثة العهد فى بداية عام 1925..والتى كانت مهتمة بالمقالات التى ينشرها فى النيويورك تايمز عن أحلامه وأبحاثه بعد أن تحسنت الأحوال فى البلاد وتم صرف شيك له بكافة مصروفات الرحلة التى طالما حلم بالقيام بها وأعتقد وقتها أنه أرسل اليك الخطاب يا مستر ألبرت لاصطحابك فى الرحلة معه..وعندما لم يصله رد منك بدأ فى رحلته إلى بلاد الشرق الأقصى واستمر خمس سنوات كاملة قضاها فى التنقل من مكانٍ إلى آخر..قضى منهم أخر عام فى الصين..إلى أن تم تعيينى أنا وفريق من العلماء لمساعدة مستر ادوارد بعد أن قطع شوطًا هائلًا فى رحلاته الميدانية.. والتى للأسف لم يبح بأى من أسرارها لى شخصيًا حتى بعد أن بدأت فى مشاركته أبحاثه وكسبت ثقته..بعد ذلك تم إقامة البعثة فى معسكرٍ خاص بأبحاث تلك الجامعة فى مقاطعة شمال الصين على حسب تعليمات مستر ادوارد..وتم فرض حراسة علينا من وقتها خوفًا على حياته..وفى نهايه عام 1930 بدأت الأبحاث تأخذ منحىً فى غاية الأهمية..كانت لدى مستر ادوارد شكوك بأن من يمول رحلته واكتشافه هم الألمان..وأنتم كبريطانيين تعتبرون ألمانيا الشيطان الأعظم..لكنه لم يصارح أحدًا باكتشافه طبيعة

من يمولون أبحاثه حتى صارحنى فى العام الأخير ووقتها اتخذت الأبحاث أيضًا منحنيين أخرين..

أحدهما أن لدى مستر ادوارد الطموح لتعديل الخريطة الوراثية للإنسان الحالى عن طريق التزاوج بعمليات معينة حتى يتم خلق جيل جديد مقاوم للأمراض وهذا ما كنتم تقومون به يا مستر ألبرت ولكن فرض على فريق بحثنا نوع أخر من الأبحاث هو خلق الإنسان الكامل..وهذ هو المنحنى الأخر..الإنسان الكامل..

نعم الإنسان الكامل فبعد هزيمة ألمانيا فى الحرب بصورة مهينة وانهيار الإمبراطورية الألمانية وتوقيع ألمانيا على اتفاقيه فرساى شعر الألمان بالمهانه وقتها بدأ نجم هتلر فى البزوغ كرئيس لأكبر حزب فى البلاد ولم يكن حتى ذلك الوقت زعيمًا أو حتى مستشارًا على الرغم من دخوله الإنتخابات الرئاسية مرتين قد فشل فيهما لكن كان قد تغلغل أنصاره فى كل مكان بألمانيا حتى قوات الدفاع الفيرماخت والتى كانت تدين له بالولاء الكامل أكثر من الرئيس هيندينبرج ذاته وكلهم يهدفون إلى شىء واحد ألا وهو عودة الجنس الآرى..أفضل الأجناس البشرية حيث كانت ولا زالت لديهم أفكار عنصرية لا أستطيع وصفها.

ألبرت - نعم لقد سمعنا عن تلك الحركة الجديدة فى ألمانيا..النازية.

نور - النازية كانت علم أحياء تطبيقى كما صرح بذلك مساعد هتلر فى الحزب النازى رودلف هس.. فقد كان من أفكاره تحسين النسل كمسار لسياسة الدولة. ووصف نظام الحكم النازى كما هو مدون فى التعاليم النازية يقوم على الجنس الآرى فقط بمحاولة تحسين النسل له..لذا ستبدأ المحاولة لتفريغ ألمانيا فى قالب مجتمع قومى متماسك سوف يستبعد أىّ

شخص يعتبر بشكل موروث ذو قيمة أقل أو أجنبى من الناحية العرقية..وخلال فترة بسيطة ستكون مقاييس الصحة العامة للسيطرة على التناسل والتزواج تهدف إلى تقوية الجنس الآرى من خلال التخلص من الجينات ذات التهديد البيولوجى من السكان..وقد احتضن العديد من الأطباء والعلماء الألمان الذين ساندوا أفكار علم الصحة العنصرى قبل عام 1933 تأكيد النظام الجديد على علم الأحياء والوراثة..والتمويل الإضافى للأبحاث .

لذلك عندما علم الألمان بتلك الأبحاث نمى لديهم الحلم الجديد..خلق الجندى الألمانى الكامل..الذى لا يُقْهَر..مجرد حلم ولكن بمتابعتهم مقالات مستر ادوارد واهتمامه بهذا النوع من البحث أرسلوا عيونهم إلى الرجل والإستفادة من أبحاثه..لا يهمهم نقل الصفات الجينية إلى الإنسان الحالى لجعله ذو مقاومه أكبر كما كان يطمح البروفيسور ادوارد..كان لديهم ذاك الحلم الأخر..وبمتابعته يبدو أنهم اقتنعوا بشكلٍ ما بفكرته لذلك كان عليهم أن يجندوه ولكن بشكلٍ ما..لأنه سيرفض مهما كانت الإغراءات المقدمة له أن يتعاون مع بلد دخلت حرب مع دولته..لذا ادَّعوا أنهم إحدى الجامعات الأمريكية الوليدة وتم صرف مبالغ طائلة على المشروع ذاته ولم يشعر بذلك أبدًا إلا فى الآونة الأخيرة وقتها تعمد أن تظل أبحاثه قيد الكتمان ولم يصارح كائنًا من كان بما يدور فى رأسه.

وكما أخبرتكم تم نقل مكان أبحاثنا إلى مقاطعة فى شمال الصين حسب تعليمات مستر ادوارد وقد كانت الشهور الأخيرة فى منتهى الصعوبة لأننا تجولنا فى مئات الأماكن المحيطة بدائرة تقدر بحوالى ثلاثمائة كيلو متر..لا أدرى عما كان يبحث.؟هل على قبائل معينة كما أخبرنى ذات مره..كان يقرأ فى كتابه الخاص ويكتب إحداثيات وخرائط وأنا أسير خلفه أنا ومساعد

أخر أمريكى الجنسية تم اختياره مؤخرًا..حتى كاد أن يغشى علينا مراتٍ ومرات..وفى إحدى المرات فقدت أثرهم فى منطقة تمتلئ بالكهوف والجبال الصخرية ولا أخفى عليكم أنى أعتقد أننا لم نضل طريقنا ولكن تعمد مستر ادوارد الذهاب فى مكانٍ معين كان قد علمه بنفسه..ولكنى لم أقتفى أثره لإرهاقى الشديد ولثقل الحقيبة التى كنت أحملها..وقتها اضطررت للمكوث فى أحد الكهوف الجبلية تلك الليلة لحين الصباح لأبدأ السير مرة أخرى لأعبر ذلك المنحدر الجبلى الذى كان أمامى..كنت أشعر أنى فى معزل عن العالم ولم لا فقد كانت الجبال والكهوف تغطى نظرى إلى ما لا نهاية..أشعلت نارًا فى مخرج الكهف ودخلت لأنال قسطًا من النوم..كنت أشعر أن هناك من العيون ما يراقبنى..ربما كانت آدميه أو حتى لذئابٍ لا أدرى..أدرى فقط أنها كانت تثير الرعب فى أوصالى بتلك الهمهمات الغير مفهومة..لم يستغرق الأمر سوى سويعات قليلة حتى دخل علىّ مارك مساعده الأمريكى صارخًا وهو يطلب منى الذهاب معه إلى أحد الكهوف التى فى الجوار حيث ينتظرنا ادوارد..كانا قد عرفا مكان تواجدى من إشعالى النيران فى مدخل الكهف..وخلال عدة دقائق كنت قد وصلت إلى الكهف الموجود به ادوارد وفوجئت بوجود مخلوقًا ضخمًا يشبه..

دان وألبرت مقاطعين – مخلوق.؟

دان- كيف.؟وما وصفه.؟ وهل هو بشرى .؟كيف يا نور.؟

نور - انتظرا فقط حتى أكمل بقية حديثى..كان يشبه الإنسان إلى حدٍّ كبير وقدمه تنزف بغزارة من اثر طلقة من مسدس مارك..بينما رأيت ادوارد فى صراخ مستمر من أثر فرحته..فهل بعد كل هذه السنوات يعثر على ضالته.؟أخبرنى مارك أنهم بعد اختفائى عادا مرة أخرى إلى نقطة البداية وظلا يبحثان عنى حتى تعبا وجلسا يستريحا لفترة من الوقت حتى جن الليل

ورأى النار التى بدأتْ فى إشعالها وفى طريقهم إلىّ سمعا أنينًا يخرج من أحد الكهوف الموجودة فى الجوار..فدخلا بمنتهى الحذر وعندما أشعلا المصباح لم يريا سوى خيال ضخم يهرب إلى الداخل ولكن ادوارد كان كمن لدغه ثعبان..أخرج مارك مسدسه وسار فى أعقابه للداخل بينما قام هو بتجهيز بندقية التخدير التى فى الحقيبة وبعد عدة دقائق كان المخلوق المسكين أمامهم..وعندما يأس من الهروب حاول أن يقفز على ادوارد ولكن مارك أطلق عيارًا ناريًا على قدمه وتمالك ادوارد نفسه واطلق حقنتان مخدرتان وهربوا من أمامه لأنه كان كمن جُنَّ جنونه..حتى ذهب فى غيبوبته أخيرًا فَقَيَّدُوهُ بالشكل الموجود..وقفت مذهولًا من الإكتشاف الذى وقع بين يدينا بدونِ أيّ جهد..تناولت حقيبة الإسعافات الأولية سريعًا وحاولت مع مارك بكل الطريق إيقاف النزيف حتى توقف أخيرًا..بدأادوارد فى تجهيز حقنة مخدرة مرة أخرى وكان علينا أن ننقل هذا المخلوق إلى المعسكر فى الصباح الباكر..اقترحت على ادوراد ذهابى مع أول تباشير الصباح لإحضار نجدة من المعسكر لحمل المخلوق لكنه رفض بشدة وأصَرَّ على الذهاب بمفرده..كانت حجته أن هناك المئات من الكهوف المتشابهة وهو يخشى أن نضل طريقنا..وبالفعل رحل فى أول ضوء للنهار..وبعد عدة ساعات جائت النجدة من المعسكر وقمنا جميعًا بتقييد المخلوق وحمله فى رحلة غاية فى الصعوبة حتى وصلنا إلى المعسكر أخيرًا.

تم حجزة فى أحد الغرف وصباح اليوم التالى شرح مستر ادوارد لمدير المعسكر كل ما يخص رحلته الأخيرة..لكن بالطبع كان عليه أن يتصرف على طبيعته حتى لا يكشف كافة أوراقه ومنها مكان الكهف ذاته والذى تظاهر بعدم معرفته جيدًا حتى عندما زرنا منطقة الكهوف لأكثر من مرة فيما بعد لم نجده..واستمر فى خداعه طوال الشهور التالية حتى يكمل ما بدأه..بل

حتى لم يُظهر أىّ فعل باكتشافه أنه فى براثن الألمان..وفى نفس الوقت استمر فى إجراء مئات التجارب على ذلك المخلوق حتى ما كان يطلب منا القيام به ومساعدته فيها كانت مجرد قشور..وكان يحتفظ هو بكل ما هو هام..إلى أتت الليله المشئومه..كانت تصرفات مستر ادوارد غاية فى الغرابة يومها وقبل وفاته بدقائق أعطانى هذه الورقة طالبًا منى أن أستمر فى أبحاثه..لم أعلم أىّ شىءعن الورقة أو ما كان يقوم به فى الليلة الاخيرة..وبعدها دوى انفجار عنيف هزَّ أرجاء المعسكر بأكمله بالمعمل بكل ما قدمه ادوارد فى شهوره الأخيرة حتى المخلوق الذى تقطعت أوصاله مع البروفيسور ادوارد والذى يبدو أنه ظل يُتَابِعَهُ حتى لحظاته الأخيرة قبل وفاته مما يثير مئات من التساؤلات لكن أبرزها هو أنه من المؤكد توصله إلى شىءما فى أيامه الأخيرة وعندما علم استحاله هروبه قرر تفجير كل شىء وإنهاء حياته بدلًا من أن يقع فريسة للألمان..وبعد انفجار المعمل كنت أنا ومارك أول المشتبه بهم..لا أتذكر تلك التفاصيل عن كثب..لا أعلم ما حدث لمارك فلم أسمع عنه أىّ خبر أما أنا فلا أتذكر سوى الوجوه الصلبة التى لم تستمع إلى توسلاتى وصراخى بتجاربهم على جسدى بآلاتهم الشيطانية التى أصابت كل جزء بجسدى..حاولوا فهم ما وجدوه فى تلك الرسالة وفور تأكدهم من أنى لا أعلم أىّ شىء سوى ما أخبرتكم به ألقوها بوجهى وأطلقوا سراحى كما رويت لكم..ولكن كان علىَّ أن أحقق أمل ادوارد..قرأت تلك الرسالة لم أفهم أنا الاخر ما معنى هارفارد.؟او أناتون.؟رَجَّحْتُ أنَّ المقصود هو جامعة هارفارد..فقد كانت بداية ادوارد هناك وخَمَّنْتُ أن تكون تلك إشارة للبحث عَمَّنْ كان يساعده فى الجامعة..رحلت إلى أمريكا وذهبت إلى قسم الوراثة هناك وسألت عن مستر ادوارد فأخبرنى أحد الاساتذة بتاريخه منذ قدومه هو وزميله الأخر من بريطانيا وأخبرنى عن اسم ذلك

العالم البريطانى..مستر ألبرت هوك وهكذا أيها السادة حتى جاء اليوم الذى أجلس فيه بينكم..

دان – قصتك أثارت العشرات من التساؤلات يا نور..ما وصف ذلك المخلوق يا نور هل هو بشرى؟

نور – أعتقد أنه أحد السلالات النادرة يا بروفيسور دان هو يناهز المتران طولا..جمجته تشبه الإنسان الأوَّلِيِّ ولكن مع اختلاف الحجم..تبرز عظام جبهته بصورة مبالغ فيها ذو أنف أفطس..يداه طويلة نوعًا ما..للأسف كان لدينا صور له ولكن احترقت مع المعمل الذى تم تفجيره.

دان - أخبرنى يا نور هل تشعر أن هناك من يتعقبك.؟

نور- لا لا لقد تيقنت من الأمر..نعم كنت مُرَاقَب لشهور..كنت أشعر بعيونهم تقتحم حياتى طوال الوقت..ولكنهم يأسوا لأنى تصرفت بصورة عاديه طوال تلك الفترة..لا تخشى هذه النقطة أبدًا يا مستر دان..هذا بالإضافة انى دخلت البلاد بجواز سفر باسم تومى جونسون.

دان – حسنًا يا نور..وأنت يا ألبرت هل أنت على استعداد أن تمضى قُدُمًا فى تلك الرحلة التى لا نعلم كيف ستبدأ وكيف ستنتهى وما طبيعتها.؟

ألبرت- لقد أخبرتك يا دان أنا على أتم استعداد لبذل حياتى فى سبيل تلك الخاتمة.. بالطبع أنا أسبقكم على الموافقة على الرحيل..ولكن إذا بدأنا..فهل نبدأ منذ البداية و نظل ندور فى تلك الحلقات المُفَرَّغَة.؟ أم نبدأ من أخر ما قمنا به أنا وادوارد.؟أم من هذا المكان الأخير الذى أنهى نور أبحاثه هناك.؟

نور- سيدى أود الإشارة أن هذا المكان فى الصين بحث الألمان فيه مئات المرات بعد مصرع بروفيسور ادوراد..أنت لا تعلم كم عدد الكهوف فى تلك المناطق..هناك عشرات الكيلومترات ما بين الصحراء والغابات ولا تستطيع الطائرات الإقتراب من الجبال هناك..لذا فأنا أُرَجِحُ أن نبدأ من حيث انهيتم أنتم بالاضافة إلى تتبع خطوات ادوارد.

ألبرت- فى هذه الحالة سنبدأ من تحديد أماكن جوج وأين انتهى نسلهم وكيف بدأ.

دان- جوج.؟أبعد كل هذه السنوات تفرغ بحثكم إلى قبائل الجوج يا ألبرت.؟ لقد وصلت إلى نقطةٍ ما ولكنى فشلت فى التقدم نحو إمكانية وجودهم من الأصل.

ألبرت- هذا لأنك لم تتعمق فى الدين يا دان إن قبائل الجوج تنحدر من أصول النايندرتال وفى تفسير بعض الديانات فإن هذه القبائل لا تنتمى إلى الإنسان الأول..صدقنى سيكون بيننا أوقات هامة عندما أسرد لك كل هذه التفاصيل.

نور- النايندرتال.!!

دان – الدين الدين..حسنًا فاذا تركنا الدين على جانب ومضينا قُدُمًا نحو البحث عن أماكن جوج كما كنتم تسيرونَ فى بحثكم ألا تدرون كيف يمكن تدبير نفقات تلك الرحلة.؟ لا أعتقد أن هناك جامعةً ما سوف تتبنى ما سنقوم به.

ألبرت- إننا لن نبدأ من الصفر سنبدأ من حيث انتهينا فكما أخبرتك لقد تعلمت الكثير والكثير من التعاليم الدينية مما سيُيَسِرُ لنا الرحلة وأعتقد

أن السير ديفيد جونسون عميد الجامعة إذا ذهبت لملاقاته قد أستطيع تدبر نفقات الرحلة فهو زميل قديم لنا أنا وادوارد.

دان – عظيم..عليك أن تذهب فى أقرب فرصة لملاقاته وأتمنى لك التوفيق.

ألبرت- فى الغد سوف أعود إلى اكسفورد وسأصطحبك معى لمقابلته..

وسأذهب بعدها لإحضار كل ما أملكه من أموال..وأبحث عن تلك الخرائط القديمة التى كنا نستعين بها وأماكن بداية رحلتنا وكل المواقع التى سوف تفيدنا فى البحث عن تلك الجماعات..وكل ما لدىَّ من نصوص دينية لنستعين بها..وعن طريقك يا دان ونور قد تستطيعون إكمال ما بدأه مستر ادوارد فى نقل الصفات الوراثية إلى الإنسان الحالى..باذن الرب ستكلل خطواتنا بالنجاح وأنا واثق من ذلك..ولكن هناك شخص رابع علينا أن نستعين به.

دان – شخص رابع.؟ من يكون يا ألبرت؟

ألبرت- البروفيسوره اليزابيث فورد..زميلتنا القديمة وأستاذة علم الوراثة لا أعتقد أنك قد نسيتها يا دان..

دان – لم يحدث..بالعكس لقد حاولت أن أُقْنِعَهَا بمساعدتى فى أبحاثى فى وقتٍ ما ولكنها رفضت..ولكن لا أعتقد أبدًا أنها سترفض الان..اترك لى هذه المهمة يا ألبرت سوف أذهب فى القريب العاجل لمقابلتها فهى تعيش مع أسرتها منذ خمس عشر عامًا فى أحد الضيعات الإنجليزية خارج لندن.

نور- وأنا سأنتظركما وسوف أقوم باحضار تذاكر الطيران وتجهيز جدول لكل البلاد التى ستزورها لحين انتهاء مقابلتك يا مستر ألبرت.

ألبرت – وهو كذلك..اليوم هو الإثنين فلنتقابل هنا الخميس القادم لمعرفة ما الخطوات التى قمنا بها.

دان –إذن إلى الملتقى يا رفاق..وسوف أذهب إلى عملى غدًا وسأكون فى الجامعة فى انتظارك لمقابلة السيد ديفيد جونسون وفى اليوم الذى يليه سأذهب إلى الريف الإنجليزى.

***

الفصل الثالث

(ثم متى تمت الألف سنة يُحَلُّ الشيطان من سجنه ويخرج لِيُضِلَّ
الأُمَم الذين فى أربع زوايا الأرض يأجوج ومأجوج ليجمعهم للحرب)

فى صباح اليوم التالى كان مستر ألبرت هوك ودان يجلسأن فى مكتب البروفيسور ديفيد جنسون الذى كان مذهولًا من حديثهم عن تلك البعثة ولكنه قاطعهم قائلًا:

- مهلًا يا بروفيسور ألبرت أنا أتفهم دوافعك ودوافع الراحل بروفيسور ادوارد وحماسه وأنت تعلم أنى كنت صديقة ولا زلت أُكِنُّ لكما كل مشاعر الإحترام ولكن أَوَدُّ أن أُشِيْرَ لك أنك فى وقتٍ ما هجرت الجامعة واتجهت إلى الكهنوتية..كنا نظنك فى عداد الأموات ووقتها كان عليك أن تحضر إلى عملك وأنت تعلم أننا كنا فى أشد الحاجة إليك وإلى أمثالك ياعزيزى ولكنك ذهبت إلى مكانك الجديد..فلماذا بعد كل هذه السنوات تأتى إلىَّ بهذه القصة لتجعلنى أصرف آلاف الجنيهات على رحلة تقوم بها أنت وزملائك فى سبيل البشرية..أىّ حُلْمٍ جال بخاطرك يا بروفيسورألبرت.؟أىّ أسطورة تستندون عليها لإيجادِ أرضِ هذا المخلوق.؟لو افترضنا جدلًا أنه كان حقيقة وليس ترهة من ادوارد.؟

ألبرت- حلمنا القديم يا مستر ديفيد..خلق عالم خالى من الأمراض..إعطاء مناعة للإنسان تُمَكِّنَهُ من مُقَاوَمَة أىّ عدوى قد تصيبه..انظر إليها يا ديفيد يا لها من خدمة جليلة سوف تذكرها لك كتب التاريخ..

- أىّ تاريخ يا رجل.؟أوليس هناك وسيلة أخرى ليذكرك التاريخ إلا كَغِرّ ساذج ينساق وراء الأساطير..أهناك دليل مادى على تلك القصة يا ألبرت .؟ألا يوجد حل أخر سوى أن ترحل إلى أخر بلاد العالم للبحث عن قبائلك المنقرضة لتقوم بإجبار أحدهم إلى المجىءِ معك ليقوم زملائك بنقل صفاته الوراثية التى اكتسبها منذ آلاف السنين إلى إنسانك الحالى.. يا ألبرت أىّ هُرَاءٍ تتفوه به..

- هناك هدف أخر..تخيل لو قمت بالتبشير هناك.؟ أتذكر الحواريين يا ديفيد..أتذكر رسل المسيح.؟ كيف..

قاطعه دان ناظرًا إليه باستهجان لكى يصمت.. وأردف قائلًا:

دان- بروفيسور ألبرت نحن هنا لمناقشة قضية علمية بحتة وهى إمكانية الدعم المادى من الجامعة على تلك الرحلة أم لا..وقد أوضحنا لك يا بروفيسور ديفيد أماكن الرحلة و الهدف المتوقع و كيفية الدراسة و..

ديفيد مقاطعًا- يا بروفيسور دان القول الفصل أنى لا أستطيع أن أخصص لكما من أموال الجامعة مصروفات رحلة لا يعلم نجاحها سوى الله..أنا فى قمه الأسف وأتمنى التوفيق لكم من قلبى..اعذرانى فلدىّ ما يكفى من المشاكل داخل الجامعة مع قله الاعتمادات الماليه.. وفى غاية الإنشغال الآن..

حَيَّا الرجلين ديفيد وخرجا من المكتب وهما يجران أذيال الخيبة.

*****

وفى المساء كان دان وألبرت يجلسان فى أحد مقاهى لندن وهما فى أقصى حالات الإحباط فبعد أن شرعا فى تحقيق حلمهما وقف المال عقبة فى طريقهم..فبعد لقاء رئيس الجامعة ذهب دان إلى المصرف ليُحصِى كم من المال استطاع أن يدخره طوال فترة عمله بالجامعة ولكن كل ما وجده مبلغًا ضئيلًا جدًا لا يكفى حتى لزيارة بلد واحد من البُلدان التى ينتوون زيارتها..أما ألبرت فكان يعلم مسبقًا أنه باع كل ما لديه وتبرع بهم إلى الكنيسة بمجرد استقراره بها..وكان الإثنان فى هذه اللحظة يحاولان الخروج من تلك الأزمة.

ألبرت– لماذا لا نسلك نفس الطريق الذى سلكه ادوارد ونقوم بمراسلة الجامعات الأجنبية ربما نحظى بفرصة لدعم رحلة الإستكشاف.؟أعتقد أنه لا مفر من هذه الخطوة يا دان.

دان – وبالفرض حدث معنا كما حدث مع ادوراد وتكفلت بنا إحدى الجهات الألمانية حتى نصل إلى ما توصل إليه..هل سيكون مصيرنا كمصيره.؟وما أدراك أن زميلك لم يقتل يا ألبرت؟

ألبرت- قتل..!! ولماذا قتل.؟وإذا قتل لماذا يبحث الألمان عن سره الأخير الذى لم يُفضِ به إلى أقرب المقربين إليه؟

دان- هذا ما يخبرنا به نور فقط..ربما لتكملة بحثٍ ما لم يخبره به.

ألبرت- ولماذا يحتاج مساعدتنا.؟ فلو كان كذلك لكان من الأفضل له أن يتعاون مع الألمان..ولكنك سمعت أنه عُذِّبَ حتى تأكدوا أنه لا يعلم أىّ شىء هذا بالاضافة إلى الخطاب المُرْسَل إلىَّ من ادوارد والذى تأكدت منه أنه مُحَرِّر هذه الرسالة لِيَحُثَّنَا على استكمال بحثه من تلك الكلمة والتى لا يعرفها سوانا.

دان- أصبحت فى حيرة من أمرى لقد كنت نسيت الموضوع بِرُمَّتِه ولكنى الآن قد أهجر العالم حتى أصل إلى نهاية هذا البحث.

ألبرت - وأنا كذلك..وبالها من خدمة إلهية سوف..

دان (صارخًا)- ألبرت.. لماذا تُصِرُّ فِى كل مرة أن تلك المهمة لإلهك فقط.؟ لماذا عندما تخبر الجميع تُبَيِّن لهم أن الهدف الرئيسى من الرحلة التبشير.؟أىُّ تبشيرٍ وأىُّ نشر مسيحية وأىّ أصحاب المسيح..تلك الجمل الرنانة التى تفوهت بها صباح اليوم فى مكتب البروفيسور ديفيد ولم نكن فى

مجال لسماع أحد عظاتك الدينية..لماذا لم تُكمِل حديثك وربما أفضت فيه عن قصه امرأة العمود تلك.؟ أننا فى مهمة علمية ولو أصررت على تحويلها إلى مهمة من أجل نشر مسيحيتك فلتجلس حيث أنت فأنا لن أضيع دقيقة من وقتى لسماعى كلماتك التى لا تمل من إخبارى بها ليلًا ونهارًا..

وعَقَّبَ ذلك بانصرافه من أمام ألبرت الذى كان لا يزال مُنْدَهِشًا من صُرَاخِ دان أمام الجميع فى المقهى..

****

بعد يومين كان دان فى طريقه إلى مُقَاطَعَة ويلتشير والتى تبعد قرابة التسعين ميلًا عن لندن كانت رحلة عسيرة إلى حَدٍّ ما وبمجرد جلوسه على مقعده فى القطار..بدأ يفكر فى هذه الزيارة وهل هناك أىّ بادرةِ أَمَل أم استحالة موافقة البروفيسورة اليزابيث مرة أخرى على القيام بأى مساعدة؟ ولكن ربما بعد أن يخبرها بعودةِ ألبرت ورسالة ادوارد سوف تتغير الأمور..وإذا لم تستطع مساعدتهم فربما تساهم بأى نفقات مالية لتلك الرحلة..فهو يعلم أنها تزوجت بعد أن هجرت الجامعة من أحد الأغنياء والذى ما لبث أن مات سريعًا بسبب مرضٍ عُضَال..كان يتابع أخبارها من بعيد إلى أن زارها فى المرة الأولى بقصرها فى قريه كاسل كومب..لم يشا أن يصارح عقله بحقيقه أنها قد ترفض مقابلته من الأصل ولذلك راح فى سُبَاتٍ عميق بمجرد تحرك القطار.

بعد ساعتين تقريبا وصل دان إلى محطة القطار ومنه توجَّه إلى أحد العربات لتُقِلَّهُ خارج المُقَاطَعَة حيث يقع قصر اليزابيث فى قلعة كاسل كومب الفارهة..وما أن وصلت العربة بالقرب من القصر ترجل دان سيرًا على الأقدام قرابة العشرون دقيقة حتى وصل أخيرًا إلى باب القصر

الخارجى الذى كان مفتوحًا فدلف إلى داخل الحديقة ليصل إلى باب القصر الداخلى..كانت أسوار القصر قد تمت تعليتها بطريقة أدهشته فلماذا تحيط امرأة عجوز قصرها بكل هذه الاسوار وكأنها تخشى من شىءما..فإذا كانت تلك الأسوار لحمايتها فلماذا تترك الباب الخارجى مفتوحًا.؟وقبل أن يصل إلى باب القصر الداخلى لمح فى الجانب الشرقى غرفة بها نافذة حديدة ومن داخلها كان هناك صراخ لحيوان يتألم..لم يتمالك دان نفسه فذهب سريعًا إلى النافذة لِيُطِلَّ منها ليرى صاحب هذا العُوَاء الذى يشبه النحيب فوجد ظل رجل أو ما يشبه ظل رجل بالداخل يرتدى معطف من اللون الأبيض ملامح وجهه غير ظاهرة له وهو يقترب من كلبٍ ما مُقَيَّدٌ من رقبته بسلسلة مثبتة إلى الجدار.

اندهش دان من ذلك المنظر والتَفَّ حتى يدخل إلى الباب الداخلى ليحاول مساعدة ذلك الكلب المسكين وقبل أن يصل إلى الباب سمع زمجرةً أخرى تأتى من خلفه وقبل أن يلتفت لم يشعر إلا بِهَرَّاوَةٍ خشبية على رأسه أفقدته الوعى تمامًا.

****

بعد عدة دقائق كان دان يستيقظ بصعوبة وهو يضع يده على موضع الألم ليتحسس مكان إصابته..لم يرى جيدًا فى بداية الأمر كان يجلس على كرسى مُرِيح وبدأت الغِشَاوَة تنقشع من عينيه رويدًا فأبصر ذلك الكلب الضخم الذى يجلس كقِطٍ وديع تحت أرجل فتاة فى مُقْتَبَلِ العمر وما أن بدأ فى التأوه حتى قامت من مقعدها واتجهت إلى دان قائلة فى عطف :

- بروفيسوردان..ألنت بخير؟هل أستدعى لك الإسعاف؟بالله عليك فلتتحدث..هذا خطأنا نحن فى غاية الأسف.

اندهش دان من الفتاة ولكن ما أن غابت تلك السحابة من أمامه حتى فغر فاه قائلًا:

- روزى.؟ما الذى تفعليه هنا بحق الشيطان.؟أىُ رياحٍ ألقت بك إلى هنا.؟ يبدو انى اهذى..إننى اكاد أموت من الألم.
- لا تخف يا مستر دان إن الضربة التى ستقتلك لن تشعر بألمها أبدًا..أنت لا تهذى أنا فعلًا أُقِيمُ هنا مع والدتى؟
- والدتك.؟أنتِ ابنة البروفيسورة اليزابيث فورد.؟كيف وهى قد تزوجت فى أعقاب الحرب الكبرى منذ حوالى خمس عشر عامًا وأنتِ لا زلت فى العشرينات من العمر.
- يا مستر دان أنا ابنة أمى من قبل تلك الزيجة الثانية فقد توفى والدى بعد مولدى مباشرة وأنت لم تعلم ذلك لأنك لم تسألنى أو تسألها وكنت فى إحدى المدارس الداخلية حتى تخرجت من الجامعة بنفس ذات القسم التى عَمِلَت والدتى به.
- ولماذا لم تخبرينى أنكِ ابنتها عندما أقمتى فى اكسفورد لدراستك التصوير الإشعاعى يا روزى؟
- لأنى أريد أن أنشئ اسمى يا دان..نعم تخصصت فى الكيمياء الحيوية وأعتقد أنى الوحيدة التى درست التصوير الإشعاعى ويومًا ما أنا على ثقةأن التاريخ سيُخَلِّد اسم روزاليندا فرانكلين.
- ولكن..ولكن لقد هجرتى الجامعة دون سببٍ يا روزى وهجرتينى أنا شخصيًا يا عزيزتى.
- (بتلعثم) دان إن هذا الموضوع قد مَرَّ عليه أكثر من ثلاث سنوات لأنى لم أكن مؤهلة لتلك التجربة معك أو مع أىّ شخصٍ أخر وحاولت

إخبارك بذلك لكنك لم تقتنع فكان عليَّ أن أختار طريق البحث العلمى بدلًا من الجلوس فى المنزل أنتظر زوجى وأنا أحمل أطفاله.

- أنتِ عنيدة وستظلين عنيدة دومًا يا روزى..والآن هل تخبرينى ما يحدث فى ذلك الكوخ الملعون.؟ومن الشخص الذى يُعَذِّبُ كلبك.؟ولماذا هو بخيرٍ الآن.؟والأهم من الذى أعطانى تلك الضربة القاتلة.؟وأين والدتك لأنى أريدها فى شىءٍ خاصٍ جدًا.
- ما يحدث فى الكوخ هو مجرد أبحاث أجريها أنا ومساعدى على طُرُق مُقَاوِمَة الأمراض الأسيوأفريقية ونقوم بعمل أبحاثنا على الحيوانات أكلات اللحوم وليس هذا الكلب الذى نستخدمه فى أبحاثنا..أما من قام بضربك فهو مستر سامبثون مُسَاعِدِى الذى رأيته بالداخل وعندما لمح ظلك وأنت تنسحب بهدوء إلى الممر الخلفى والذى يوجد به الباب الجانبى فخرج سريعًا فى أثرك ولكن بامبو كان ينتظرك هو الأخر وفلتحمد الله أن سامبثون هو من وجدك قبل ان ينفرد بك بامبو.. وضربك لانه كان يظنك لِصًا وبعدأن فقدت الوعى أتيت إليك ونقلناك إلى غرفة الإستقبال تلك.
- لازال الصداع يكاد يَشُقُّ رأسى.

ودخلت فى تلك اللحظة امرأةٌعجوز ومن خلفها رَجُلٌ يَجُرُّ عربةً صغيرة وُضِعَت عليها عدة أكواب من الشاى الإنجليزى وبدأت رائحته تثير عبقًا فى المكان..تنفسه دان بعمق و قام من على كرسيه مادًا يده إلى العجوز قائلًا فى تودد:

- بروفيسوره اليزابيث دائمًا أشعر بسعادة بالغة عندما أكون بجوارك.

اليزابيث- فلتجلس يا دان ولا داعى لهذا ألاطراء فأنت لم تقطع كل هذه الأميال لمجرد الجلوس إلى جوارى.

دان- ليس هذا فحسب..فلدىَّ أنباء لكِ يا سيدتى..إنها اخبار تتعلق بـــ.

اليزابيث- بألبرت ورسالته الغامضة الواردة من ادوارد.

دان بدهشة - وكيف علمتى يا سيدتى.؟إن هذا الموضوع فى طىّ الكتمان ومن يعلمه لا يتعدى أصابع اليد الواحدة.

اليزابيث- ألبرت اتصل بى هاتفيًا بالامس وأخبرنى على كل شىء.

دان- لماذا لم يخبرنى إذن ليجنبنى عناء ذلك المشوار.؟إذن فما كان ردك؟

اليزابيث- انظر يا دان..إن ما ستقومون به فى غاية الأهمية والخطورة معًا..إن البحث عن أصول النايندرتال أو جوج تحديدًا كما كان ادوارد ينتوى فى أبحاثه هو أمر شاق..نعم سمعت كل ما صادفه من عقبات حتى وصوله بشكلٍ ما إلى هذا المخلوق الغامض وأنه سيكون اكتشاف العمر لكل أفراد البعثه ولكن.

دان- لكن.؟

اليزابيث - نعم لكن..أن الأمر محفوف بالمخاطر..وأنا لا أستطيع بالطبع أن أساعدكم فى تكاليف تلك الرحلة بأكملها فربما قضيتم نحبكم أو ربما فشلتم لا أدرى ولكن..ادوارد كان شخص عزيز علىَّ لأكثر مما تتخيل..وقد أستطيع مساعدتكم بشكلٍ ما.

دان- كيف يا سيدتى من فضلك؟

روزاليندا- إن أمى يا دان وخدمة منها وتخليدًا لذكر اسم البروفيسور ادوارد قد قررت أن تساهم بجزء من تكاليف الرحلة وهى زيارتكم إلى الفاتيكان.

دان - ماذا.؟ أىَ فاتيكان.؟أتقصدين دولة الفاتيكان.؟ وما علاقة ذلك ببحثنا.؟أرجوا ألا يكون ألبرت قد تحدث فى أموره الدينية مرة أخرى..هناك من البلدان ما هو أهم بكثير منها.

اليزابيث- بالعكس يا دان إذا كنت تريد البحث فعلًا عن أصول تلك القبائل عليك بالرجوع إلى الديانات السماوية والغير سماوية لتعرف ماذا قيل تحديدًا عن تلك الجماعات..ونشأتهم وأماكن وجودهم وحتى أىَ أثرٍ لهم..وألبرت لم يقترح علىّ هذا الإقتراح إطلاقًا بل أنا من أكدت له أن عليه أن يبدأ رحلته من الفاتيكان حيث يستطيع مقابلة كبار الرهبان هناك ليستاق منهم الأصول الدينية لقبائل الجوج..قد تخبرنى أن ألبرت كاهن..لا يا عزيزى هناك فرق بين من درس الكهنوتية فى عمرٍ مُتَأخِر ومن هو متأصل دينيًا منذ خمس أو ست عقود على الأقل.. هناك المنشأ يادان..لكى تعلم الحقيقة كاملة لابد أن تبدأ من الأديان..الفاتيكان..ولديكم فى اكسفورد البروفيسور تشارلز ايدى أستاذ علم الأديان قد يستطيع مساعدتكم فى التوراة..أما الدين الإسلامى فأعتقد أن لديكم العالم المسلم.

دان - إن الرحلة ستكون اكبر مما كنت اتوقع.

روزى- لا هناك الأكثر.. عليك أيضًا أن تفهم عقيدة التبت فيما يتعلق بجوج لأن أراضيهم بالقرب الشديد منهم..كان الله فى عونك يا دان إنها لمهمة عسيرة وليكن الله بعونك ولولا أنى مرتبطة بالعديد من الأبحاث لكنت فى مهمتكم تلك .

دان - أىّ مهمة عسيرة يا روزى بل هى الآن مستحيلة إن لدينا الآن تكاليف زيارة لبلدٍ واحد وهناك بهذا الشكل عشر بلدان على الأقل يتوجب علينا زيارتها.

وفى أثناء الحديث دخلت أحد الخادمات لتقترب من اذن روزاليندا هامسة فى أذنها بكلمات حاول عبثًا دان أن يسمعها ولكن دون جدوى ولاحظت أنه يسترق السمع فتعمدت أن تهمس بصوتٍ مسموع :

- أخبريه أن الوضع على مايرام وأن مستر دان بخير وسأحضر إليه خلال خمس دقائق..

دان - أهناك أمر ما يا روزى.؟

روزاليندا - لا أبدًا لكن مساعدى انتابه القلق عليك بعد أن كاد يصرعك..والآن علىّ أن اعتذر لك فأنا فى طريقى للمعمل وأتمنى أن أراك مرة أخرى.

دان - انتظرى فلتأخذينى مَعَكِ..أنا فى غاية الشكر يا سيدة اليزابيث على كرمك وأتمنى أن تُكَلَّل خطواتنا بالنجاح..لكنى لا أدرى كيف؟

اليزابيث- فليكن الرب معك ولا تيأس فربما تحسنت الأمور سريعًا.

ونهضت فقام دان من مكانه ليمد إليها يده بالتحية ويخرج مع روزاليندا وهى تقوده إلى الباب الخارجى دون أن تتكلم فألقى عليها التحيه وقبل أن يخرج تناول كفها فى يده قائلًا:

- روزى هناك سؤال يُلِحُّ علىّ..أيوجد أىّ أمل فى أىّ وقت أن تفكرى فىّ كحبيب وليس صديق مُقَرَّب..أم أن عائق السن بيننا يحول دون ذلك؟

- سن.؟ أىّ عائق سن يا دان.؟إن الحب إذا طرق بابى فلن يكون هناك أىّ عوائق بهذا الشكل..الحب إذا جاء فليس له أىّ مقدمات..الحب مثل الفيروس لا تشعر به إلا عندما يصيبك..وإذا أصابنى ستكون أول من يعلم.
- فيروس..!! بل أتمنى أن تنتقل إليكِ هذه الحُمّى التى تدور بمشاعرى.
- ابتسمت روزاليندا وهى تسحب يدها من وسط يديه لتودعه وتتركه يخرج من الباب الخارجى.

وبجوار أحد الأشجار فوجئت بالرجل الموجود فى المعمل يخرج فجأة وعلى وجهه علامات الذعر فاقتربت روزاليندا منه قائلة:

- أخبرتك ألّا تقلق الأمور كلها على ما يرام..وليس هناك أىّ داعى لذعرك..هو لم يشك بشىءٍ أبدًا..والآن علينا أن نُكمِلَ ما كنا نقوم به.

وقف دان خارج القصر بعد أن أغلقته من الداخل..كان لديه رغبة فى العودة مرة أخرى ليس لروزاليندا ولكن لذلك المخبول فى المعمل..كان يشعر بضيق لسببٍ ما ولكنه لا يدرى كُنْهَهُ..كان يشعر أن فى الأمر شيئًا ما..شيئًا ما أثار ضيقه..وقف قليلًا ليتذكر ولكنه انصرف عندما فشل..وطوال الطريق إلى لندن لم يحاول أن يُخرِج روزى من ذاكرته..تلك الفتاة المتقدة صاحبة الخمس وعشرون عاما التى وقع فى حبها منذ أول يوم رآها فيه بأحد المحاضرات بالجامعة..اقترب منها واقتربت منه بحكم عمله فى أحد الأقسام..تحول حبه لها لنوع من التلذذ بتعذيب النفس..فهو يدرك أنه أكبر منها بعشرون عامًا على الأكثر وعلى الرغم من ذلك هو لم يستطع إبعادها عن مخيلته..حاول مِرَارًا أن يُصَارِحَهَا بحبه والذى كانت تشعر به..ولكنها كانت تبتعد عنه فى أدَبٍ جَمّ..وفجأة اختفت تمامًا كما

جاءت..وحتى بعد أن سأل عنها لم يصل إلى إجاباتٍ شافية فكل ما علمه أنها من إحدى المقاطعات بجوار لندن..وابتعدت عن الجامعة بمجرد انتهاء تلك الدبلومة التى كانت تسعى للحصول عليها..كان قلبه لا يزال ينبض بحبها ولكن ليس كل ما يشتهيه المرء يدركه..وليس أمامه سوى الصبر والإنتظار حتى يأتيها هذا الفيروس..تذكر ألبرت وتذكر أنه لولا أنه لم يخبره باتصاله باليزابيث لكان لم يذهب اليوم ولم يجد روزى..ربما تلك أول خدمة يقوم بها ألبرت دون قصد له..ولكنه سرعان ما تذكر رحلة الفاتيكان الدينية فلعن ألبرت فى سره عشرات المرات طوال الطريق حتى لندن.

****

وقف البروفيسور تشارلز ايدى وسط قاعة المحاضرات فى جامعة اكسفورد ليقوم بشرح محاضرته الثانية فى أصول القبائل فى الديانات الشرقية ولاهميتها كان مستر ألبرت ودان ونور فى مقدمة الصفوف الأولى للإستماع إلى وجهه النظر الدينية..لم يحضر دان على مضض كما كان ألبرت متوقعًا بل على العكس كان مواظبًا على موعد المُحاضرة وكان يسجل بعض الملاحظات الهامة التى يسردها البروفيسور..لأنه فى ذلك اليوم كان يشرح أصول قبائل الجوج فى الديانة اليهودية مما قد يثير شغفهم ويفسر بعض النقاط الغامضة لأصول بحثهم..

واستكمل الشرح بصوته الجهورى فى القاعة:

وسأعرض لكم الموضوع من وجهه نظر التوراة بروايتين أحدهما من الناحية المادية فيما يعرف بنظرية يهود الخزر..والأخرى من الناحية الدينية البحتة..فاسم جوج ورد فى سفر حزقيال على أنه اسمٌ لملك يحكم على أرض تدعى مأجوج أو على شعب يدعى بهذا الاسم..وهذا الملك سوف يقوم بغزو

أرض إسرائيل قبل اليوم الأخير..ولكنه حسب النبوءات التوراتية سوف يُقتل هو وشعبه في مذبحة هائلة لما قيل في سفر حزقيال حيث جاء فيه :

وكان كلام الرب إليَّ قائلًا: يا ابن آدم اجعل وجهك على جوج أرض مأجوج رئيس روش وماشك وتوبال..وتنبأ عليه وقل(هكذا قال السيد الرب) في ذلك اليوم عند سُكنى شعبي إسرائيل آمنين..تأتي من موضعك من أقاصي الشمال أنت وشعوب كثيرة معك..كلهم راكبون خيلًا..جماعة عظيمة وجيش كثير..وتصعد على شعبي إسرائيل كسحابة تغشى الأرض..وآتي بك على أرضي لكي تعرفني الأمم حين أتقدس فيك أمام أعينهم يا جوج..ويكون في ذلك اليوم..يوم مجيء جوج على أرض إسرائيل..يقول السيد الرب..أن غضبي يصعد في أنفي..وفي غيرتي نار سخطي تكلمتُ أنه في ذلك اليوم يكون رعش عظيم في أرض إسرائيل..فترعش أمامي سمك البحر وطيور السماء ووحوش الحقل والدابَّات التي تدب على الأرض..وكل الناس الذين على وجه الأرض..وأستدعي السيف عليه في كل جبالي..فيكون سيف كل واحد على أخيه..وأعاقبه بالوباء والدم.

وأمطر عليه وعلى جيشه وعلى كل الشعوب الذين معه مطرًا جارفًا وحجارة برد عظيمة ونارًا وكبريتًا. فأتعظم وأتقدس وأُعرف في عيون أمم كثيرة فيعرفون أني أنا الرب"(حزقيال 38: 1-23).

وقد تم ذكرهم في أخر أسفار العهد الجديد بأنهم قوم مفسدين يظهرون في أخر الزمن..فيصطدمون بجيش المؤمنين ولكن الله يقضي عليهم فقد جاء في سفر (الرؤيا 7:20-10):

" ثم متى تمت الألف سنة يُحَلُّ الشيطان من سجنه ويخرج لِيُضِلَّ الأمم الذين في أربع زوايا الأرض جوج ومأجوج ليجمعهم للحرب..الذين عددهم

مثل رمل البحر. فصعدوا على عرض الأرض وأحاطوا بمعسكر القديسين وبالمدينة المحبوبة (أورشليم)..فنزلت نار من عند الله من السماء وأكلتهم.وإبليس الذى كان يُضلهم طُرح فى بحيرة النار والكبريت "

بمعنى أنهم على وشك الخروج وهذه هى الروايه التوارتيه أما الروايه الماديه والتى توارثها الاجداد فلقد خلصنا فى المحاضرة السابقة ومن الأدلة التى استعرضناها سابقًا يمكننا الإستنتاج أن الملك كورش هو نفسه ذو القرنين..فهو ذو علاقة وطيدة باليهود..ولعب دورًا هامًا فى رجوع اليهود لأورشليم بعد أسر بابل ولكن ما علاقته بقصة غروب الشمس وما ورد فى بعض النصوص الدينية للقرآن مثلًا.؟ من المعروف تاريخيًا أن سيطرة دولة فارس خلال حكم الملك كورش على إمبراطوريتها كانت تبدأ من حدود ليبيا غربًا إلى حدود الهند شرقًا..كل هذه المنطقة بما فيها بلاد الشام ومصر وبابل وإيران وبلاد القوقاز والهند كانت خاضعة للملك كورش..لأنه قضى حياته كلها يفتح البلاد شرقًا وغربًا..وفى عام 550 قبل الميلاد..قام الملك كورش بفتح بلاد القوقاز بأكملها..وكان له جيشًا متواجد عند بحر أزوف والذى يقع فى شرق بلاد القوقاز.

ولكن من هم هؤلاء القوم الذين لم يجعل لهم الله سترًا من الشمس..هم قوم يأجوج ومأجوج..نرجع هنا للتعرف على سكان تلك المنطقة فى عام 550 قبل الميلاد..حيث يؤكد تاريخ المنطقة أنه فى بداية القرن السابع قبل الميلاد..قدم لمنطقة القوقاز قبائل همجية من شمال الكرة الأرضية تحديدًا من فنلندا ويتكلمون اللغة الفنلندية القديمة والتى صارت هى لغة شعب المجر وجورجيا فيما بعد..وعليه فهناك آيه فى القرآن تنص على أن الله لم يجعل لهم من الشمس سترًا.. فما هذا الشىء الذى يمكن أن يستر الشمس..لا شئ يمكن أن يستر الشمس غير حلول الليل..وجميع سكان

الأرض يتم سترهم من الشمس بحلول الليل..باستثناء سكان فنلندا الذين يعيشون فى شمال الكرة الأرضية.

حيث يستمر النهار هناك قرابة 6 أشهر فى العام..أى أنهم يقضون نصف عمرهم بلا ساتر من الشمس بتاتًا..وتعرف هذه القبائل تاريخيًا بالمجيرس وتعرف أيضًا من خلال ثقافة دول شرق آوربا أنها قبائل الجوج..ولقد تقابل ذو القرنين بهم عند وصوله لشرق بلاد القوقاز. وجال بخاطره شيئًا ما تجاه هذه القبائل.

أعود وأكرر أن قبائل هذه البلاد كانوا من أبسط ما يكون وليس لديهم أىّ دراية حياتية وذلك لاختلافهم لُغَوِيًّا بأبجديتهم عن العالم الخارجى وكانوا يخشون هجوم قبائل المجيرس عليهم..وطلبوا من ذو القرنين أن يبنى سد من الحديد والنحاس لمنع فساد قبائل جوج أى قبائل المجيرس..من هم هؤلاء القوم.؟الذين يستخدمون لغة ذات أبجدية غير مفهومة..إنهم قبائل شعب الخزر..والذين كانوا يسيطرون على التجارة القادمة من الهند والصين للدولة البيزنطية والفارسية فكانوا يسيطرون على ما يسمى تاريخيًا بطريق الحرير..وذلك لتحكمهم بالعديد من الممرات البرية التى كانت تسير فيها التجارة من الشرق للغرب والتى تقع فى قلب بلاد القوقاز..وتتكون هذه القبائل تاريخيًا من عنصر صينى..ومن المعلوم أن لغة أهل الصين ليس لها أبجدية مثل اللغة اللاتينية أو الإنجليزية..فصوتيات اللغة الصينية لا علاقة لها بتاتًا بصوتيات أىّ لغة أخرى وكانت تلك اللغة هى لغة أهل قبائل الخزر فى وقت وصول ذى القرنين..وتاريخ إيران إذا اطلعتم عليه يؤكد وجود علاقة تجارية بين شعوب الخزر ودولة فارس القديمة..وأن شعوب الخزر كانت تتحكم فى تجارة فارس لفترة من الوقت..ولهذا فلقد عرض قبائل الخزر على كورش ملك فارس أن يدفعوا ثمن تكاليف بناء السد كجزية أو

ضريبة..والمعنى التجارى التاريخى لهذا الخراج..أنهم عرضوا تخفيض قيمة الرسوم الجمركية التى كانت تفرض على التجارة من وإلى فارس..بحيث يعادل هذا التخفيض الجمركى قيمة أتعاب بناء السد..ولذلك يا أبنائى من ذلك نستنتج وجود علاقة كراهية وعداء بين قبائل الخزر الوثنية وقبائل المجيرس الهمجية فتم بناء سد ليفصل بينهم..وأن السد سينهار مع اقتراب موعد النهايةوذلك طبقًا لكل المواثيق الدينية للتوراة والإنجيل والقرآن..وبعد فترة من بناء السد فتاريخيًا يؤكد تاريخ المنطقة أن السلام قد حل تمامًا بين سكان مملكة الخزر وجيرانهم من قبائل جوج لأكثر من ألف عام..حتى أن بعض المؤرخون يرون أن قبائل الجوج صارت جزءًا لا يتجزأ من مملكة الخزر.

وهنا انبرى أحد الطلاب ليستاذن البروفيسور فى الإستفسار على أحد النقاط ووقف قائلًا:

- ولكن يا سيدى قرأت فى بعض التعاليم الدينية أن تلك الصورة لن تظل وردية وأن بنو إسرائيل سيكونون متحدين فى صفة الفساد فى الأرض لأن عند اقتراب وعد الأخرة سيعود بنو إسرائيل إلى أورشليم مع ابتداء انهيار سد كورش الذى تخبرنا عنه..وقتها سيعلون فى الأرض ولكنه سيكون مصحوبًا بالفساد..وقتها ستخرج قبائل الجوج للإتحاد مع اليهود للإفساد فى الأرض.؟أليست هذه النبوءات وردت أيضًا فى التعاليم المقدسة.؟سؤالى هنا ما علاقة قبائل الجوج أصحاب الأصول الفنلندية ذات العيون الزرقاء والشعر الأصفر الذهبى مع اليهود؟
- كلامك صحيح يا بنى ولكنك لم تُعْطِ لى الفرصة لأُكْمِلَ بقية الشرح ولإيضاحها علينا الرجوع إلى عهد الحاكم العربى مروان بن الحكم والذى أرسل جيوش الخليفة الأموى لفتح مملكة الخزر..وتم هزيمة

جيوش الخليفة الإسلامى عدة مرات أمام حصانة وقوة شعوب الخزر فكأن لديهم قوى غير طبيعية تمنع سقوط تلك المملكة بيد المسلمين..ودام الصراع بين دولة الخليفة المسلم ومملكة الخزر لأكثر من خمسين عامًا ولم تسقط المملكة..بينما على الجانب الآخر الغربى كانت تنهال مطارق الدولة الرومانية بواسطة قيصر روما هرقل المسيحى المتعصب والذى لا يعرف كيف ينام قبل أن يحول مملكة الخزر للديانة المسيحية..بحيث يعطيهم الإنجيل باليد اليمين ويسيطر على طريق الحرير باليد اليسرى..ويجعل منهم منطقة أمان تفصله عن دولة الخلافة الإسلامية..والتى كانت أحلامها فى ذلك الوقت تريد أن تصل يداها إلى الدولة الرومانية ذاتها فماذا يفعل ملك الخزر.؟هل يسلم ويصير تابعًا للخلافة الإسلامية وتضيع مكانته وسيطرة بلاده التجارية..هل يعتنق المسيحية ويصير تابعًا لهرقل.؟ كانت المملكة بين اختيارين من أصعب ما يكون ولذلك خطرت له فكرة شيطانية اذ لم يكن هناك بديلًا له غير اعتناق اليهودية..فالديانة اليهودية هى ديانة محترمة وسماوية..وتحترمها الديانة الإسلامية والمسيحية..وبهذا ينقذ نفسه ومملكته من السيطرة الإسلامية والمسيحية فى آنٍ واحد..ويحافظ على استقلاله التجارى..فالديانة اليهودية والتى يتعاظم فيها العنصر المادى..يتماشى تمامًا مع الفكر التجارى لملك الخزر وشعوب المملكة وبهذا دخلت قبائل الخزر جميعًا لليهودية..واعتناق مملكة الخزر الديانة اليهودية كان هو بداية العد التنازلى ليوم القيامة..وانهيار سد ذى القرنين واختلاط قبائل الخزر بقبائل الجوج..كان أيضًا أحد دلائل اقتراب وعد الأخرة..ومشاركة يهود الخزر قبيلة الجوج الفساد فى الأرض أحد دلائل اقتراب الأخرة ..وضح الآن.؟

بعد ذلك نظر البروفيسور تشارلز ايدى إلى ساعته ولملم أوراقه قائلًا :

- نكتفى بهذا القدر يا أبنائى لمحاضرة اليوم وموعدنا فى الأسبوع القادم لمناقشة أصول بعض القبائل البربرية فى شمال أفريقيا.

وخرج من القاعة ويتبعه طلابه بينما مكث نور وألبرت ينظران إلى دان الذى كان يقرأ الملحوظات التى كان يسجلها طوال المحاضرة.

*****

بعد ساعة كان الرجال الثلاثة يتناولون الغداء فى أحد المطاعم الرخيصة القريبة من الجامعة وكان دان لا يزال فى شروده بينما انبرى ألبرت ونور فى أحاديثهم الجانبية لترتيب رحلتهم إلى الفاتيكان بعد أن وصل شيك من اليزابيث إلى الحساب البنكى لدان فى المصرف لتكفلها بالرحلة..وفى الغد سوف يعود ألبرت إلى مقر الكاتدرائية للحصول على بعض الأوراق المزيفه والتى تثبت عملهم كقساوسة فى الكاتدرائية وذلك حتى يمكن لهم تسهيل الأمر للدخول إلى إيطاليا ومنها إلى روما فالفاتيكان التى أصبحت أصغر دولة فى العالم بعد أن حصلت على استقلالها أخيرًامنذ أربع سنوات..

كانت المشكلة التى تواجههم هى كيفية دخولهم وهم يحملون الجنسية البريطانية إلى دولة من ألدّ أعداء المملكة المتحدة وهى إيطاليا بقيادة الفاشى موسوليني.؟ ولذلك كان عليهم حل تلك المشكلة والتى انبرى ألبرت يحلها عن طريق أحد الكرادلة الأصدقاء المبعوثين من قِبَل الفاتيكان لفترة من الوقت قضاها بكاتدرائية كانتربرى..ولم يُضِع ألبرت الوقت فقام بالإتصال بالكاردينال وأخبره عن حاجته لدخول إيطاليا ثم الفاتيكان فى أقرب فرصة هو واثنين مساعدين له علماء فى أصول الإنسان..وبعد أن أبلغه بموافقته بالأمس كان عليه أن يجهز أوراق دخولهم إيطاليا

كقساوسه من كنيسة كانتربرى..حيث لم يخبره بالطبع أن أحدهم مسلم..والأخر ملحد.

أخرجه دان من تأملاته قائلًا:

- بالمناسبة يا ألبرت..أنت رجل دين فلماذا كان إصرارك الغريب على سفرنا للفاتيكان؟ أوليس لديك من المعلومات الدينية لشرح تلك المُعْضِلَه بدلًا من إضاعه الأموال و صرفها فى مكانٍ أخر؟

ألبرت - لا يا دان أنا رجل دين منذ فترة قليلة وليست لدى خبرة كافية لفهم الموضوع من جذوره..بإلاضافة أنى منذ البداية لم يكن ذلك اقتراحى بل اليزابيث..وأما سبب رحلتنا للفاتيكان فلا تنس أن أهميتها من كونها مركز القيادة الروحية للكنيسة الكاثوليكية فى العالم والتى يربو عدد أتباعها على أكثر من مليار ونصف نسمة..وكذلك من كونها تحفظ فى متاحفها وأرشيفها مجموعة من أرقى المنتوجات الفنية للجنس البشرى على مر العصور..ولقد أرسلت بالأمس عدة برقيات إلى صديقى الكاردينال لاستقبالنا بعد أن يتم استخراج أوراق تثبت عملنا كقساوسة..الأمر ليست نزهة وسوف ترى بعينيك أن تلك الرحلة ستفيدنا جدًا..وسوف نسافر بعد عدة أيام بمجرد أن نكمل أوراقنا..

نور- ولكن الأمر صعب يا ألبرت وكأننا سوف ندخل عرين الأسد.

البرت - ليس الأمر بهذه الصعوبة إننا سندخل على هيئة رجال دين وأعتقد أنه سيكون لديهم القليل من الإيمان والذى يكفى حتى لاحترامنا والوصول إلى الفاتيكان.

* * *

الفصل الرابع

(إن الطريق إلى الهاوية يكون فى أغلب الأحيان مفروشًا بالنوايا الحسنة)

مدرج الكولسيوم- روما بعد عده أيام

- "ما دام الكولوسيوم قائمًا ستبقى روما قائمة وحين تسقط روما سيسقط العالم بأسره" هكذا تقول الأسطورة الرومانية القديمة عن هيبة وعظمة مدرج الكولوسيوم..هذا المسرح الضخم يعتبر من العلامات الشاهدة على الإمبراطورية الرومانية.

هكذا قال نور وهو يهمس لنفسه عندما وقف مشدوهًا أمام مدرج الكولوسيوم قائلًا لدان وهما يسيران سويًا لِلّحَاقِ بألبرت وصديقه الكاردينال الجالسان فى أحد الأركان بداخل المدرج:

- هذه أول زيارة لى يا دان لروما ولم اكن أعلم أنها بهذا الجمال الرائع..
- إن روما أحد أهم عواصم أوروبا يا نور وأجملها لكنى أخشى من الحكم الفاشى الذى يقوده موسيلينى..قلبى يحدثنى أننا سندخل على أحداثٍ جِسَام فى القريب العاجل..وخاصة بوجود هذا المجنون القادم فى ألمانيا وأدعو الله أن يسقطه مرة أخرى فى الإنتخابات القادمة..
- إنك بعيد عن السياسة الألمانية الآن يادان..أن الخوف قادم لا محالة..وربما أقرب مما تتصور سترى أن هتلر قد جلس على عرش ألمانيا..سأشرح لك الأمر تفصيلًا فى القريب العاجل..فاختلاطى بالألمان أثناء عملى ومكوثى فى المعتقلات النازية فتره قد أتاح لى فهم العقلية الألمانية..والآن دعنا نسرع الخطى حتى نلحق ذاك الدرس الدينى والذى أعلم أنه لن يسرك بالمرة.
- حسنًا..حسنًا لننته منه ثم سأخذكم معى فى جولة لأريكم أجمل معالم سوف تروها فى حياتكم..أتعلم أنا لا أطيق نفسى بهذا الزى الساخر والذى أجبرنا ألبرت على ارتدائه قبل دخولنا مطار هيثرو إلى الآن..وأنت

أيضًا لو قومك المسلمون رأوك فى هذه الحالة سوف تكون رأسك على اولوياتهم .

- لا تنس أن زى القساوسة هذا جعل الكثير يحترمونا فى أغلب الأماكن..انى لا زلت أتذكر تهافت أمن المطار على تقبيل يدى كلما هممت بالتحرك فى أيّ مكان..والآن يا دان ليس هذا ما يشغلنا علينا فقط أن نُنهِ هذه المحاضرة..هيا بنا.

****

توقف الكاردينال ماركو ماردلى عن الكلام عندما توقف الرجلان بجواره ولكن ألبرت سارع بتقديمهما له:

- الأب تومى جونسون والأب دان مساعدِيَ الذين أخبرتك عنهما يا نيافة الكاردينال.

جلس الرجلان بجوار ألبرت فى سكون عندما استمر الكاربدنال فى التحدث كمن لا يرى من القادم.

الكاردينال -إن ما تقوم به يا ألبرت شىء سوف يذكره لك التاريخ كأول باحث فى هذا الإتجاه ولكن الأمر يكتنفه الكثير من الصعاب..وتحملك مشاق الوصول إلى الفاتيكان لمقابلة كبار رجال الدين واستلهام خطواتهم المباركة ليبارك لك الرب رحلتك المقدسة فى سبيل سعيك حول إيجادِ تلك القبائل..كن على علم أنك ستنحت فى الصخر للوصول إلى طرفٍ يقودك إلى أىّ منهم..وقد يقودك هذا الطرف إلى سراب..فهناك العديد من النظريات والتى لم يثبتها العلم بعد حول قبائل الجوج والنايندرتال..

- لعلك تقصد الأرض المجوفة؟

قاطعه نور قائلًا- أنا أعرف الكثير عن تلك النظريه الألمانية يا سيدى ..

قاطعه الكاردينال بدوره قائلًا:

- ليست تلك النظرية فحسب أمامك نظرية الشامبالا وهذه النظرية لا بد أن تسمعها بنفسك من أهل التبت الصينية ولابد من إدراجك لها فى رحلتك المقدسة يا ألبرت..أما النظرية الأخرى فهى لدى المسلمون..لا أنكر أن القرآن قد ذكر أهل جوج تفصيلًا فى العديد من آياته ولذلك أنصحكم بسؤال عالم قرآنى فى أقرب فرصة..أما بخصوص رحلتك هنا فقد عثرت لك على الرجل المطلوب وهو الأب بوتشلينى..وستزوره غدًا داخل أسوار الفاتيكان وقد حصلت لك على موعد منه لأنه لا يخرج إلا نادرًا من الكاتدرائية.. لأن سنه لا يسمح له بذلك..
- وما أهميه الأب بوتشيلينى يا نيافة الكاردينال.؟
- قام منذ خمسون عامًا على الأقل بزيارة كل أماكن أصول أماكن القبائل القديمة..كما أن لديه معرفة هائلة بكل تعاليم الكتاب المقدس والتوراة ويستطيع أن يدلك على الخطوط المباشرة .
- اذن فَلِلْمُضِيِّ قُدُمًا فى هذا البحث علىّ زيارة الأب بوتشلينى فى الكاتدرائيه ثم العثور على عالم إسلامى ثم الرحيل إلى التبت الصينية لمعرفة أصول نظرية الشامبالا..ودراسه موضوع الأرض المجوفه ثم تحديد نقاط الرحلة..يالها من مهمة شاقة .
- بخصوص العالم الإسلامى فأن الاب بوتشلينى يستطيع أن يرشدك على أحد العلماء المسلمين فلا تَعُولُ أىَ هَمّ لهذه النقطة..لقد أخبرتك يا ألبرت أن الرحلة ستكون أشقى مما تتخيل ولكن انظر إلى أهميتها العلميه كما اخبرتنى.

- وهناك مشكلة أخرى يا أبتِ أن الأمور الماديه فى غاية الصعوبة..وقد لا نستطيع أن نكمل الرحلة.
- أعلم ذلك وللأسف لا أستطيع توفير أىّ نفقات لك فإننا بالكاد حصلنا على استقلالنا أخيرًا بعد اتفاقية لاتزان ولا زالت الأمور مضطربة داخل الفاتيكان سواء من ناحية الكرسى الرسولى ومجمع الكرادلة أو من داخل تشكيل حكومتنا ولازال اختيار رئيس الوزراء من داخل مجمع الكرادلة يشوبه الغموض وكل مواردنا لا زالت فى البداية.
- لا لا لم أقصد ذلك يا أبتى ولكنى أخبرك فقط.
- إذن فموعدنا غدًا فى ساحة القديس بطرس فى تمام الحادية عشر ستجدونى فى الساحة الخارجية لأصحبكم إلى الداخل..بالمناسبة أين تقيمون.؟
- فى فندق هلفتيا بريستول وسوف نقوم بزيارة معالم روما اليوم وغدًا سنكون فى الكاتدرائية و نتمنى أن يُسْمَحَ لنا بدخول الأرشيف.
- سأحاول استخراج ثلاث تصاريح لكم ..إلى الملتقى غدًا.

وقام الأب ماركو ماريدلى من جلسته واتجه نحو باب الخروج بينما تبعته نظرات الثلاث رجال حتى توارى خارج مبنى الكولوسيوم.

بعد عدة دقائق كان الرجال الثلاثه يتجولون فى العاصمة الإيطالية حيث تطوع دان ليصبح لهم مرشدًا سياحيًا..فقد سبق وأقام عدة أشهر فى روما وبينما كان يسرع الخطو نحو شارع كونتدوتى قائلًا وهو يشير إليه:

- هذا الشارع من أهم الشوارع للتسوق وتجد أشهر المحلات ودور الأزياء العالمية..أمثال دار جوتشى وبولجارى وبرادا وهيرميس ولا تتوقع أن تحصل على تخفيضات من تلك المحلات..وبالقرب من الميدان سوف نذهب إلى نافورة فونتانا دى تريفى ولا تنسوا عند زيارتكم للنافورة أن

تلقوا قطعة نقود معدنية..لتتحقق المقولة الشهيرة وتعودوا مرة أخرى لزيارة روما.

ألبرت- دان بالله عليك لقد تعبت من السير..أنت تسير بنا منذ قرابة الساعة وأنا عجوز..فلتضعنى على أحد المقاهى و تذهبا فى طريقكم.

نور- وأنا أيضًا يا مستر دان فلا بأس من راحتنا قليلًا لنكمل فيما بعد.

دان - حسنًا سوف نذهب للشارع المجاور لنحتسى القهوة الفاخرةالتى.....

و فى هذه الأثناء ارتطم رجل مسرع بنور مما أفقده توازنه ووقع على الأرض..وسارع إليه الرجل يعتذر إليه ولكن نور دفعه بشدة وكادت أن تحدث مشادة لولا أن تدخل دان واعتذر للرجل عن سوء تصرف نور..

دان- ما بك يا نور.؟ أرى انك تفقد أعصابك يومًا بعد يوم.

نور- لا أدرى ولكن هناك شيئًا ما يثير ضيقى..لا أدرى ما هو ولكن أشعر أن هناك فى الخفاء شىء يثير ريبتى.

ألبرت - نور.. لابد من احترامك للزى الذى ترتديه..هل سمعت من قبل عن رجل دين مسيحى يتشاجر مع أحدهم فى الطرقات.؟والآن دعنا من هذا الآن..كنت تخبرنا بعلمك بنظرية الأرض المجوفه وأعلم أن الألمان فقط هم من يؤمنون بهذه الفكرة فما أخر ما وصلوا إليه يا نور.؟

جلس الرجال الثلاثة على أحد المقاهى الشهيرة فى شارع بياتزا نافونا ذلك المكان الذى يضج بالحياة طوال الوقت وبعد أن طلب كل منهم القهوة الفاخرة المميزة بدأ نور فى الشرح عن تلك النظرية :

ليس الألمان فقط يا بروفيسور ألبرت فهم أخذوا تلك النظرية من أمريكا والتى أخذتها بدورها من مفهوم ظهر فى العصور القديمة فى الأساطير

والفولكلور الخاص بكل حضارة حيث آمنت الأزتك وهنود الهوبى الذين يعيشون فى أمريكا الشمالية بها.. ونجد من خلال كُتبهم الدينية وموروثاتهم الشعبية أن الأرض مجوفة ومفرغة من الداخل وأن بجوف الأرض وبداخلها مُدن وحضارات وأمم وشعوب ومخلوقات.. وكل شعوب حضارات العالم القديم مثل المصريين والبابليون والآشوريين واليونانيين والإغريق والصين القديمة آمنت بوجود ذلك العالم السفلى الخفى والمستقل بذاته.. فنجد عند الإغريق مثلًا أساطير تتحدث عن كهوف توجد تحت سطح الأرض وهى كانت بمثابة المداخل المؤدية إلى الجحيم.. وحتى فى المسيحية واليهودية تُذكر فكرة وجود العوالم الجوفية كما هو الإعتقاد فى البوذية التبتية الذين يؤمنون بوجود هذا العالم الخفى تحت الأرض مثل أقوام يأجوج ومأجوج وهى التى أشار إليها الأب ماركو فى ذكره لنظرية الشامبالا..وفى مصر الفرعونية القديمة وروما واليونان أيضًا هناك تماثيل ونقوشات عديدة لمخلوقات برؤوس كلاب وبأجساد بشرية والذين يطلق عليهم اسم أنوبيس..وأن الفراعنة وبعض الحضارات القديمة استطاعوا أن يتواصلوا معهم..وقد تحالفوا مع هذه الأمم ضد حضارات أخرى وللتعاون فى البناء الحضارى والتقدم العلمى فى ذلك الوقت..وكانت تلك المخلوقات التى تظهر بوضوح فى النقوشات الفرعونية القديمة من عالم جوف الأرض الداخلى..خلاصه الحديث أن هناك من الدلائل الكثير والكثير مما يثبت بوجود تلك النظريات..وأميركا لازالت تبحث فى أصولها بل وبدأت فعلًا فى اكتشاف هذا العالم..

ألبرت- وماذا فعلت أمريكا لذلك ؟

نور- أخذت أميركا تلك الأفكار وترجمتها إلى ارض الواقع وأحاطت كل تلك الأبحاث بمزيد من السرية ويقود هذه الأبحاث أحد أهم الطيارين الأمريكين خبرة ..

دان- وما علاقة الطيار الأميركى هو الآخر.؟وكيف توصلت أنت لكل هذه الأنباء.؟

نور- لا تنس أنى كنت بداخل أحد أهم الأفرع للأبحاث الألمانية وكنت دائمًا أسمع من مساعدين ادوارد والعاملين بالقلعة تلك الأخبار ومنهم علمت أن الطيار هو ريتشارد إيفلين أحد أهم الطيارين فى الحرب الفائتة وأصبح فى وقتٍ لاحق مدرب طيران للبحرية الأمريكية..فنجاحه كطيار بحرى وطيار عبر الأطلمى اهله لتلك الرحله ..فغرست الثقة فيه الحكومة الأمريكية وقامت بتمويل رحلاته الإستكشافية إلى القطب الجنوبى..وقام بيرد بعمل حملته فى بداية عام 28 واستمرت حتى 30 وإلى هنا انقطعت الأخبار الأمريكية ولكن يبدو أن هناك الكثير من الأسرار التى لم تُكْتَشَف ولذلك قامت الجهات الألمانية بتتبع تلك النظرية واهتم بها جدًا الحزب النازى بزعامة هتلر والذى أعلن فى كثيرٍ من تصريحاته أنه سوف يقوم بتخصيص أموال طائلة فى حاله فوزة فى الإنتخابات لكافة الأبحاث العلمية التى سوف تخدم الجنس الآرى..ومن وقتها ألف العديد من العلماء الألمان كتبًا تحتوى على تفسير تلك النظريات لكن كل ما يقوموا به هو فى طى الكتمان إلى الآن..

دان- وكأننا عشنا طوال هذه المدة لا ندرى أىّ شيئًا عن الأرض التى نعيش عليها..قبائل منقرضة و أراضٍ مُجَوَّفَة والكثير من الأسرار التى لم ولن تُكْتَشَف حتى الآن.

ألبرت - والآن علينا أن نتوجه إلى الفندق لننال قسطًا من الراحة لأن لدينا موعدًا غدًا صباحًا.

و بالفعل قام الثلاث رجال فى طريقهم إلى الفندق وكل منهم مشغول بمتابعة الشوارع والسائحين فى كافة الأنحاء .

****

فى صباح اليوم التالى استقل الجميع القطار من روما إلى محطة قطار الفاتيكان والتى تم بنائها العام الماضى..وما أن توقف القطار بعد رحلته القصيرة نزلوا منه ليروا أجمل المشاهد التى وقعت عليها عيونهم..كانت المحطة تقع خلف كاتدرائية القديس بطرس بالقرب من الحدائق البابوية..والتى أعيد تصميمها مجددًا فى عهد البابا يوليوس الثانى بداية القرن السادس عشر..وزرعت أشجار الصنوبر وأشجار الأرز القادمة من لبنان ونصب فيها عدد من الأعمال الفنية التى جعلت من طابع عصر النهضة طاغيًا فيها..توغل الثلاثة أكثر فأكثر داخل الحدائق لتقع أعينهم على أجمل أنواع الأزهار التى لا يوجد أىّ مثيل لها فى أنحاء الأرض..حتى رائحتها كانت تثير بهجة فى النفس..اما دان فكان فى أشد حالات الهدوء النفسى.. اما ألبرت فكان يقف مشدوهًا أمام مزار السيدة العذراء الحارسة والذى بناه البابا بندكت الخامس عشر خلال الحرب الماضية محاكيًا بذلك المزار الشهير بهذا الاسم فى جنوا..اقترب دان قليلًا من العشرات الموجودين بجوار التمثال..وقف مندهشًا من حالة الخشوع التى انتابت الجميع..ونظر مليًا إلى تمثال مريم المقدسة وإلى المكان الذى قادته قدماه إليه توقف مليًا وبدأ فى الهمس بصوت ضعيف جدًا لم يسمعه سواه..

كانت النافورات تتوسط الحدائق وكان هناك العديد من السائحين يتجولون بكاميراتهم الشخصية وبينما الجميع فى حالة من البهجة والسرور اقترب نور من دان قائلًا:-

- دان..لا تنظر ورائك مباشرة..أعتقد أننا مراقبون..
- ماذا.؟ كيف ذلك ومن يراقبنا.؟
- لا أعلم ولكنى رأيت الرجلان اللذان بجوار النافورة بالأمس ونحن بالكولوسيوم.. لمحتهم ونحن نتنزه بالأمس وها هم الآن .
- أمتأكد أنت يا نور.؟ ربما كانت صدفة..
- لا..أحفظ الوجوه جيدًا..إننا مراقبون وعلينا أن ننجز مهمتنا فى أسرع وقت.
- أنت على حق.

والتفت إلى الجهة الشرقية بجوار النافوره فوجد رجلان يرتديان ملابس فضفاضه تبدو عليهم الغلظة بشعر ذهبى فشعر على الفور بأنهم ألمان فاقترب من ألبرت الذى كان يبدو أنه يهمس لتمثال القديس بطرس وهو فى أشد حالات النشوة الدينية:

- ألبرت..ليس هذا وقت تلاوة صلواتك أعتقد أننا تأخرنا على موعدنا لأكثر من عشر دقائق ولابد أن زميلك الكاردينال ينتظرنا فهى بنا.

سارع الثلاثة السير حتى وصلوا إلى ساحة القديس بطرس التى تقع أمام الكاتدرائية مباشرة..كانت الساحة مرصوفة ببلاط غرانيتى أسود يتوسطها مسلة مصرية على ظهر أربعة أسود برونزية..على جانبيها نافورتان كان الكاردينال ماركو يسير جيئة وذهابًا بينهما فى توتر واضح وما أن رآهم حتى هرع إليهم:

- أين كنتم.؟ إن المواعيد هنا فى غاية الدقة والأب بوتشيلنى ينتظركم منذ الصباح.

ألبرت- نحن فى غاية الأسف يا نيافه الكاردينال فقد أُعجِبْنَا بكثير من التماثيل التى..

قاطعه ماركو قائلًا: ليس مهمًا الآن علينا فقط أن نسارع الخطى.

وبالفعل سار الجميع خلف ماركو بينما كان دان لا يزال يختلس النظر إلى الرجلان الذين لم يغفلا لحظة عن مراقبتهم.

سار الجميع إلى أحد جانبى الساحة حيث يوجد القصر الرسولى المكون من كتل منفصلة من البناء إلى جانب المتاحف والأرشيف والمكتبة العامة..استعد الجميع للدخول إلى القصر الرسولى ولكن لدهشتهم استمر الكاردينال فى السير حتى انتهى جدار المبنى المحتوى على الأرشيف..ودخل إلى جواره وسار فى ممر يقع ما بين المبنيين حتى وصل إلى صوبة تتم فيها زراعة بعض أنواع النباتات النادرة ومد يده وفتح الباب البلاستيكى ودخل الجميع إلى داخل الأرض الطينية حيث كانت تمتزج برائحة رائعة كانت تملأ المكان بأكمله عجزوا عن وصفها حتى الكاردينال ماركو تنفس بعمق وكأنه يستنشقها أول مرة..وبجوار أحد النباتات كان هناك عجوز جالس بجوار نبتة صغيرة يرويها..وما أن رآهم حتى اقترب منهم مبتسمًا وظهرت ملامح وجهه التى تعدت الثمانين من العمر ولاح عليه الشيب بوضوح حتى فى شعر حاجبيه..اقترب ببطء وهو يحمل فى يده عدة أزهار بيضاء اللون تفوح منها رائحة عطرة قدمها للكاردينال ماركو الذى هبط بين يديه طابعًا قبلة على أصابع الأب بوتشيلينى قائلًا فى خضوع:

- أبتِ ما هذه الرائحة الرائعة وكأنها عطر من عطور الجنة؟

- إنها زهره البيلسان يا ماركو..شجرة تاريخية كانت تنبت قديمًا فى بعض مناطق سويسرا وإيطاليا الشمالية حيث كان اليونانيون القدماء وسكان روما القديمة يستعملونها بكثرة..وساد اعتقاد قديم مفاده أن زراعة هذه الشجرة قرب المنازل تجلب الموهبة..ومؤخرًا شاع استعمالها للزينة لرائحتها القوية كما ترى.

ألبرت- سلمت يداك يا أبتِ..إن يدك المقدسة هى من روت تلك الزهرة وعندما أوليت لها اهتمامك نشأت فى بيئتك الصالحة.

ابتسم الأب بوتشيلينى وهو يمد يده إلى ألبرت الذى هبط وقَبَّلَ أصابع يده فى خشوع بينما ربت الأب بوتشلينى على كتفه قائلًا:

- لابد أنك الأب ألبرت..أهلًا بك فى مدينة الرب لقد فاض ماركو فى الإشادة بك عندما كان مبعوثًا لنا فى كاتدرائية كانتر برى.

فى هذه الأثناء كان عقل دان يعمل كالبرق فى مسألة أخرى فى غاية التفاهة ولكنها سوف تقلب الأمور رأسًا على عقب فماذا لو مد الأب بوتشلينى يده إليه هو ونور ليقبلاها؟هو بالطبع لا يريد أن ينال أىّ بركه بتقبيل يد شخص لا يؤمن بدينه أساسًا فإن كانت الظروف اضطرته ليرتدى زى القساوسة فليس معنى ذلك المُضِيّ فى طقوسهم..وأما نور فيعتقد أنه من المستحيل أن يرضخ مسلم ليقبل أصابع أبٍ كَنَسِيّ ليس على دينه..اقترب الأب من دان ونور ومد يده فعلًا إلى دان ويبدو أن نور قد أدرك ما كان يفكر فيه الآخر فتلقى يد الأب بوتشلينى وَقَبَّلَ أصابعه وقبل أن يمدها إلى دان أخذ نور يده بين يديه قائلًا:

- ابتِ إنه لشرفٌ لى أن أقابل نيافتك..فإذا نَحَّيْنَا تعاليمك الدينية والكنسية..وخدمتك للكرسى الرسولى طوال مدة حياتك فأنا الآن أمام

عالِمٌ فَذّ..لقد أخبرنا نيافة الكاردينال ماركو بأن لديك خبرة هائلة فى علم الأجناس وأصول القبائل المنقرضة وكل ما نريده هو أن نتكلم معك فى أحد هذه الأصول ولن نطيل عليك..

سحب بوتشيليني يده بهدوء وسار أمامهم حتى وصلوا إلى داخل أحد الغرف البسيطة وأشار إليهم بالجلوس قائلًا:

- لقد أخبرنى ماركو أنكم تبحثون عن أصول أحد قبائل الجوج..وقبائل الجوج فى تعاليمنا متأصلة فى المفهوم الإنجيلى..فقد شغلت النبؤات ضد جوج وماجوج أذهان رجال العهد الجديد منذ عصر مبكر جدًا.. خاصة أن تلك القبائل وردت فى سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى بالإصحاح العشرون لكونهما يمثلان حربًا عنيفة ضد ملكوت الله فى أخر الدهور على مستوى العالم كله..والتى ستنتهى بنصرة الحق فى النهاية بعد ضيق شديد..لهذا ظهر فريقان من المفسرين أحدهما يرى جوج شخصية حقيقية حملت هذا الاسم وكان رئيسًا على أرض ماجوج وقام بحرب ضد إسرائيل الراجعة من السبى..وهؤلاء يفسرون ما جاء فى هذين الإصحاحين بطريقة حرفية..والفريق الاخر يرى أن ما ورد هنا إنما هو رمز يمثل العداوة لله ومقاومة الملكوت فى كل عصر خاصة فى أواخر الدهور..أما التفسير الرمزى فمعلوم أن ماجوج كان الإبن الثانى ليافث بن نوح .ثم أطلق هذا الاسم على شعب متسلسلٍ منه ثم صار اسمًا للبلاد التى سكنوها وكان جوج ملكًا عليها..وقد وصفهم حزقيال بأنهم شعب ماهر فى الفروسية واستعمال العصى وأدوات الحرب..وهذا ما يتطابق مع ما ورد عنهم..وكان جوج رئيسًا على ماشك وتوبال.. وهو يوصف بأنه سيقوم ويغزو أرض اسرائيل فى أخر الأيام وسيُقتل على الجبال فى مذبحة هائلة.

إذًا أنت ترى يا ماركو وأنتم يا سادة أن العنف والقتل والعدوان مصطلحات تترافق مع ذكر هذين الإسمين جوج وماجوج ومن ذلك فإنهما مع الشعب الذى دعى باسمهما صاروا رمزًا للوثنية القاسية التى كانت تعاكس وتقاوم ملكوت الله مستخدمة كل أساليب الإرهاب..وأما بالنسبة للأزمنة الأخيرة فإنها رمز لكل الوثنية بكل أشكالها وأنواعها وحالاتها التى سوف يجمعها الدجال لمقاومة كنيسة المسيح. فالوثنية بالمعنى المجازى والكتابى لم تعد هى الوثنية التى كان لها تماثيل تُعبَد بل هى التى تجعل الناس يسيرون بكل قواهم وملكاتهم وطاقاتهم العقلية والنفسية والجسدية وراء الإهتمامات العالمية التى لا مكان لمحبة الله فيها..ولذا فإن هؤلاء الوثنيون سوف يجدون فى الدجال المُخَلِّص لهم من كنيسة المسيح وتعاليمها وسوف يَنْقضّونَ معه عليها بكل ما أوتوا من وسائل الإرهاب.

ألبرت- وماحال الكنيسة وقتها يا أبتِ.؟

بوتشليني - أما عن حال الكنيسة فى ذلك الحين فقيل عنه: "هكذا قال السيد الرب: ويكون فى ذلك اليوم أن أمورًا تخطر ببالك فتفكر فكرًا رديئًا، وتقول أنى أصعد على أرض أعراء. آتى الهادئين الساكنين فى أمنك لهم ساكنون بغير سور وليس لهم عارضة ولا مصاريع".. وكأن الحرب الشاملة فى أواخر الدهور ضد الكنيسة لا تقوم على أساس إثارة الكنيسة للعدو، لكن يراها العدو هادئة آمنة فيظنها ساكنة بلا سور يحميها ولا عارضة تعوق الأعداء عنها ولا مصاريع تغلق أبوابها.. مفتوحة وسهلة للنهب والسلب..ولم يعلم أن الرب نفسه هو سور المؤمن وهو الذى يحتضنه ويحميه فى داخله،يغلق عليه بأبواب سماوية لا يقدر إبليس وكل جنوده أن يفتحها.

دان (بتأفف) – أبتِ..لماذا لا تتحدثون الإنجليزية.؟

بوتشيليني.- ماذا تقصد أيها القس دان..نحن نتحدث بالإنجليزية لأنكم لا تجيدون الإيطالية ولست أفهم ماذا تقصد؟

ألبرت- لا لا يقصد شيء!! هو فقط يريد أن يعي الأمور جيدًا فهو لا زال فى بداية رهبنته ولا يعي الكثير من الآيات وكان يطمع فى الشرح يا أبتِ.

بوتشيليني-.يا بنى ببساطة هناك ثلاثة آراء مختلفة فى تفسير قصة جوج فالبعض يرى أنها وصف حرفى لهجوم سيحدث على إسرائيل فى المستقبل يقوم به شعوب كثيرون بقيادة روسيا..والبعض يراه وصفًا مجازيًا لحادثة فى المستقبل للصراع الأخير بين إسرائيل وأعدائها وقتئذ..أو للصراع النهائى المُرَوِّع بين الكنيسة وقوات الشر فى العالم بقياده الشيطان.

نور- قد تصدقنى القول يا أبتِ فإن اليهود سيكونوا هم الشيطان الأعظم.

بوتشليني -فى طريقنا للأرشيف سأريكم بعض الوثائق الهامة التى قد تؤيد روايتى للأحداث بشأن ذلك الموضوع..

وبالفعل قام من مكانه واتجه نحو أحد الأبواب الجانبية وفتحه بمفتاح خاص كان يضعه فى جيبه ووقف بجوار الباب مشيرًا إليهم بالدخول نحو باب سرى يصلهم مباشرة بالأرشيف..وعندما اقترب منه نور استند بيده عليه قائلًا فى نبرة عطوفة:

- فلتسمح لى يا ولدى بالتعكز عليك فلقد أصبحت فى أواخر أيامى ولولا تلك المهمة التى كلفنى بها البابا شخصيًا لكنت الآن فى أحد الأديرة أرعى نباتاتى وأعيش ما تبقى من أيامى.

ماركو- حفظك الله يا أبى..لقد كلف البابا بيوس الحادى عشر شخصيًا الأب بوتشلينى بفهرسة الأرشيف فنحن لا زلنا دولة وليدة وهناك الآلاف من الوثائق الهامة والتى لا توجد حتى فى أىّ خزانات خاصة إلى أن يتم تقسيمها.

بوتشيلينى- هل تعلم يا ولدى أن الكنيسة بها العديد من الوثائق الهامة والتى تعود إلى آلاف الأعوام ومنها ما يُوَضِّح دور اليهود فى العالم..إن موضوع اليهود خطير جدًا إن كان يهمك الموضوع شخصيًا قد أقصه عليك فى وقتٍ ما.

نور- ولماذا لا تقصه الآن يا أبت ؟

كان بوتشلينى قد وصل أخيرًا إلى غرفة مستطيلة الشكل قد رُصَّت عليها كميات كبيرة من الكتب والأوراق الهامة وبها حوالى ثمانى مناضد بجوار الحوائط جلس عليها ثلاثة فتيان ينقلون بعض الأوراق إلى أرفف خشبية قد ثُبِّتَت إلى الحائط..وبمجرد دخول الأب بوتشلينى الغرفة هرعا إليه وقَبَّلَا يداه وأخرجهما بإشاره من يده ثم جلس إلى أحد الطاولات وهو يشير إلى أحد الكتب القديمة الممتلىء بمئات من الأوراق البالية وأمسكها بعناية قائلًا:

- هنا يرقد تاريخ اليهود..هنا ترقد الماسونية الصهيونية وما يدبرونه من آثامٍ وخطيئة..لم يكتفى اليهود بشراء يهوذا الاسخريوطى بثلاثين قطعة فضة لتسليمهم المسيح..بل يريدون الإستمرار فى غِيِّهِم الأبدى..لم يكتفوا من عدة سنوات بإشعال فتيل الحرب وحصد ملايين الأرواح لتحقيق حلمهم الأبدى بنو صهيون..وسترون أن الحرب القادمة آتية لا محاله وسوف يُبَادُ العَالَمَ فيها نتيجة لأفعالهم.

ألبرت- مهلًا يا أبتِ هل تفسر لنا نيافتك ما علاقة اليهود بالحرب الفائتة؟

بوتشليني- تمجيد الشيطان في الوعي واللاوعي و نزوح الأرواح إلى أقطاب الشر كان و لا يزال هدف العديد من سكان الأرض..ولا يزال يوجد في عالم اليوم من يوظف كل الوسائل الممكنة والغير ممكنة من أجل ترسيخ فكرة الشيطان الأعظم..أو السيد المخلص في أذهان البشر وأذهان من سَلَّمُوا عقولهم لهم..إن هذه الأشياء وهذه الكتب والأوراق التي أمامكم ما هي إلا عبارة عن تأليف جيد لأحداث جديدة مُتَوَقَّعَة في المستقبل كنتيجة لمُعطَيَاتٍ موجودة مسبقًا..تمجيد الشيطان هو من ألاعيب منظمة عالمية تُطلِق على نفسها مجموعة البنائين الأحرار أو ما يصطلح عليه بالماسونية وللأسف هناك العديد من الشخصيات البارزة في كافة أنحاء العالم يعملون كأعضاء سريين في هذه المنظمة..وفي الناحية الأخرى هناك العديد من الأشخاص المتنبهين لهذه الخطط..أشخاص ذات عقول تطرح سؤالًا واحدًا واضحًا يحتاج منذ قرون لإجابة فورية لم يُعثَر عليها حتى الآن؟هل الماسونية حقًا مؤامرة صهيونية ترفع كلمة شعب اليهود في نظر الكثيرين شعب مختار وتتسيد العالم من وراء الكواليس؟ إن مؤسس هذه المُنَظَّمَة غير معروف أين أو كيف يديرها..هذا التنظيم الذي يدعي أنه فقط حركة أخوية عالمية أهدافها المساعدة المتبادلة والصداقة وخير الناس لا يزال يتعرض لعداء الكنيسة الكاثوليكية لاكتشافها تلك التعاليم الشيطانية..بل والتمهيد لظهور المسيح الدجال والقضاء على الأديان.. بطرق سرية وخبيثة تعتمد على التضليل والخداع بهدف السيطرة المزعومة على العالم.

وفي هذا الكتاب القديم عدة مخطوطات تحوي العديد من أسماء قد حصلت عليها الكاتدرائية من دس عملاءنا لحماية الصليب..وكذلك

حصولنا على العديد من تلك الأفكار التى قاموا بها و تلك الخطط المستقبلية التى يسعون فيها إلى السيطرة على العالم..

نور- أتذكر قرأت منذ سنوات مقال أنه عندما ألقى الرئيس الأمريكى فرنكلين خطابًا هامًا عند وضع دستور الولايات المتحدة الأمريكية اتذكر بعض ما جاء فيه حرفيا:

"هنالك خطر عظيم يهدد الولايات المتحدة الأمريكية وذلك الخطر العظيم هو خطر اليهود..أيها السادة فى كل أرضٍ حل بها اليهود أطاحوا بالمستوى الخلقى وأفسدوا الذمة التجارية فيها..ولم يزالوا منعزلين لا يندمجون بغيرهم..إذا لم يُبْعَد هؤلاء عن الولايات المتحدة (بنص دستورها) سترون..ولن تمضى مائتى سنة حتى يكون مصير أحفادنا أن يعملوا فى الحقول لإطعام اليهود على حين يظل اليهود فى البيوتات المالية يفركون أيديهم مغتبطين وإننى أحذركم أيها السادة أنكم إن لم تُبْعِدُوا اليهود نهائيًا فسوف يلعنكم أبناؤكم و أحفادكم فى قبوركم..

دان- صدقت.

بونشلينى – أتعلم .؟ فى تأملى لكل ما حدث مسبقًا يفاجئنى سؤال يطرح نفسه على أحاديثى كلما حاولت الحديث عن اليهودية..لماذا كل هذا التحامل على أتباع هذه الديانة أليس من الإجحاف القول أن كل اليهود يُخَطِّطُونَ لتدمير العالم؟ وفى المقابل لماذا الإطمئنان لأناس أعلنوها صراحة..خطة مُحكَمَة للسيطرة على العالم وفق مُخَطَّط نظام عالمى جديد!!

ماركو- إذا كان القانون لا يحمى المغفلين فإن الطريق إلى الهاوية يكون فى أغلب الأحيان مفروشًا بالنوايا الحسنة..وفى شرفات كهف الظلمات يا أبتِ

حيث اللون الأسود يلف الأفق يمكن أن تجد هنا وهناك من ينجدك بنورٍ هو فى الواقع أشد ظُلْمَةً من ظُلمة كل الظُلُمَات..هذه هى حقيقة الجماعة النورانية..جماعة شيطانية فى الأصل..

بوتشلينى- من منكم يتذكر البروفيسور البريطانى سرجى نيلوس الذى حصل على العديد من الوثائق الأصلية للخطة الشيطانية للسيطرة على العالم سنة 1905.. وأعلن عن وضع ذلك فى كتاب سيطلق عليه اسم الخطر اليهودى وحينذاك تلقى أكثر من تحذير بالقتل..لكنه مضى فى مهمته..ونشر الكتاب بالفعل تحت مسمى بروتوكولات حكماء صهيون..وبعد سنوات قليلة من نشر الكتاب توفى الصحفى الإنجليزى بالفعل فى ظروف غامضة بعد أن أحدث كتابه ضجة رهيبة تلاها اختفاء الكتاب نهائيًا ولحسن الحظ فقد تم إرسال نسخة من مذكراته إلى الكنيسة وبها كافه البروتوكلات التى يعتمدون عليها فى التخطيط.

وفى المؤتمر الصهيونى السادس الذى عُقِدَ فى بازل بسويسرا عام 1903قال أحد زعمائهم دعونى أخبركم الكلمات التالية..وكأنى أصعد بكم درجات السلم درجة درجة..المؤتمر الصهيونى..مشروع أوغندا البريطانية..الحرب العالمية المتوقعة..مؤتمر السلام ويتم بمساعدة بريطانيا قيام دولة يهودية حرة فى فلسطين.

لاحظوا تاريخ هذا المؤتمر. لقد عُقِدَ قبل الحرب الكبرى ب 13 عام..وقد بدأوافعليًا فى إسقاط القيصرية الروسية..فالماسونية العالمية كان لابد لها أن تبسط سيطرتها على الإتحاد السوفيتى حتى تبدأ المُخَطَّط الكامل لبسط يدها على العالم وإقامة حكومة مُوَحَّدَة..وهو الهدف نفسه لمؤامرة الحرب العالمية السابقة..وهو إتاحة المجال للماسونية النورانية للإطاحة بحكم القياصرة فى روسيا وجعل تلك المنطقة معقل الحركة الشيوعية الإلحادية.

أشعلوا فتيل الحرب عندما لعبوا دورًا كبيرًا فى ضم البوسنة والهرسك إلى الإمبراطورية النمساوية المَجَرِيَّة 1908 فقتل الماسونيون ولى عهد النمسا وزوجته فى حادثة اغتيال فى عام 1914..فاضطرت النمسا والمَجَر أن تعلنا الحرب على صربيا.

نور - ثم كان إضعاف الإمبراطورية الألمانية وسقوط الدولة العثمانية الإسلامية أخر معاقل القوة الإسلامية فى العصر الحديث..الذى أدَّى بعد ذلك إلى قيام كيان وموطن لليهود فى إسرائيل عن طريق وعد بلفور من البريطانيين لليهود وعائلة روتشيلد..وبداية عصر جديد يهدف إلى تكوين نظام عالمى جديد تحت قيادة حكومية واحدة تحكم العالم.

سكت الجميع بعد تقريبًا صراخ نور بهذه الجملة مما دعى ألبرت إلى تغيير مجرى الحديث كُلِّيًا كعادته:

- أبتِ لا نريد أن نرهقك ويبدوا أننا أخذنا الكثير من وقت نيافتك..مجرد سؤال أخير يتعلق بجوج..أليس فى كل هذه المكتبة الضخمة من الأوراق ما قد يساعدنا فى بحثنا القادم؟

بوتشليني – للأسف يا ولدى كلها خرائط مُتَهَالِكَة ولا تشير إلى أىّ خطوط رحلات حتى التى ارتبطت بالأساطير القديمة لا يوجد ما يثبتها فعليًا..مجرد أقاويل من الأجداد مدونة على أوراق متهالكة.

دان – وفى رأيك أنت يا نيافة الأب أىّ من الأساطير أقرب إليك.؟

بوتشليني- أسطورة المفاتيح المقدسة..

ألبرت- أىّ مفاتيح مُقَدَّسَة يا أبتِ؟

بوتشليني- فلتأتوا معى.

وخرجا إلى إحدى الغرف الجانبية ليسيرا حتى نهاية الممر ليجدا غرفة تمتلىء بالعديد من الصناديق الزجاجية التى وُجِدَ بداخلها العديد من الآثار القبطية القديمة وأشار لهم إلى أحد الصناديق ليجدا فيها مفتاح كبير الحجم يشبه إلى حَدٍّ كبير المفتاح الذى يمسك به القديس بطرس فى تمثاله الموجود بالخارج.

دان- ما هذا يا ابتى.؟

بوتشليني- يقولون أن هذا مفتاح كهف الشيطان أو مزلاج يُخفِى من وراءه طريق للشيطان..وأن الشيطان مُقَيَّد خلف باب بمزلاجين بمفتاحين مقدسين أحد تلك المفاتيح ذهبت لأهم كنيستين فى العالم المسيحى..وصل هذا المفتاح فى زمنٍ ما وتم أخذ المفتاحين كرمز للفاتيكان ورمز للكرسى الرسولى..وأنا أرى أن كهف الشيطان هو ذلك الطريق المؤدى إلى أراضى جوج من داخل الأرض..

ألبرت- الأرض المجوفة.؟

بوتشيليني - نعم فبداية الأرض المجوفة هى كهف الشيطان..

*****

بعد قرابة الساعة خرج الثلاثة رجال من الأرشيف وهم يسيرون خلف ماركو حتى وصلوا أخيرًا إلى ساحه القديس بطرس وقتها كان نور يتلفت حوله يمينًا ويسارًا بحثًا عن الرجلان الغامضان لكنه فجأة اصطدمت قدمه بعباءته فوقع على الأرض مما دعا ألبرت إلى الصياح ليأخذ حذره بدلًا من وقوعه كل مرة أمام الماره..لكن بعد أن ساروا بضع خطوات قطع

طريقهم الرجلان فجأه..وتقدم إليهم أحدهم قائلًا بغلظة مُوَجِّهًا حديثه إلى نور بلغة انجليزية:

- البروفيسور تومى جونسون أنت رهن الإعتقال..فلتأتى معنا فى هدوء.؟

تلَوَّنَ وجه نور مصفرًا وارتعش لسانه وقبل أن يتكلم قاطعه ماركو قائلًا:

- من أنت.؟وكيف تجرؤ على القبض على أحد المواطنين فى بيت الرب.؟

إن لم تنصرف حالًا قد آتى...

ولكن الألمانى لم يُمْهِله حتى يجيبه بل أخرج من جيبه مسدسًا وجذب زناده مُشْهِرًا إياه فى وجه ماركو قائلًا:

- وإن لم تنصرف أنت سوف أجعلك اليوم شهيدًا فى ساحة قديسك بطرس..

وفى أقل من الثانية كان نور قد أدرك الموقف تمامًا وعلم أنه سوف يتم القبض عليه فى الحال إن لم يتصرف سريعًا و بالتالى لم يشعر به أحد إلا وقد أطلق ساقيه للريح..وضع الألمانى سلاحه فى جيبه وجرى خلفه أما الآخر فانتظر وقرر فى أقل من الثانية هل ينتظر بجوارهم أم يلحق بصاحبه وفى ثوان كان الرجلان يعدوان خلف نور الذى كان يجرى بأقصى سرعته وسط اندهاش الجميع من الأسقف الذى يجرى وراءه رجلان.

اندهش ماركو من التصرف ذاته وحاول أن يشير بيديه إلى أحد الحراس السويسريين الذى يتولون حراسة الساحة ولكن الآخر لم يهتم..مما دعا ماركو إلى الذهاب خلفهم.

أما ألبرت ودان فكان على رؤسهم الطير..فهما لا يدريان ما الذى حدث فى الدقيقة الماضية وكيف تم اكتشاف نور.؟ ومن هذان الرجلان الغامضان.؟

وهل سيتم القبض عليه.؟ وما موقفهم الآن.؟ هل يتحركان بسرعة ليذهبا إلى الفندق أم ينتظرا عودة نور أو ماركو بخبر القبض عليه.

لم يتأخر الرجلان بل حزما أمرهما على الفور وذهبا فى طريقهم حتى وصلوا إلى محطة القطار..انتظرا حوالى عشرون دقيقة على أحَرّ من الجمر حتى وصل القطار وما لبثا أن ركبا فيه وهما ينظران فى النافذة أملًا فى رؤية نور الذى ذهب بلا رجعة.

*****

فى مساء الليلة وقف أربع رجال فى ساحة القديس بطرس يرتدى أغلبهم الزى الرسمى للكرادلة اقترب أحدهم من أكبرهم سنًا وهمس له بعدة كلمات فسارا فى عجلة من أمرهم وهم يلتفتان خلفهم أملًا فى عدم رؤيتهم على الرغم من عدم وجود سائحين بالساحة الخارجية فى ذلك الوقت..سارا حتى وصلا إلى صوبة الأب بوتشليني وما لبث أن دخل ثلاث رجال وتركو الرابع خلفهم..نظر الأخير حوله ثم أخرج من بين طيات ملابسه سلاح نارى صغير الحجم ووضعه فى قلنسوته التى خلعها وكأنه فى انتظار أمرٍ ما.

أما بالداخل فكان الثلاث رجال يسيرون وسط النباتات حتى هرع إليهم الأب بوتشليني خوفًا على زهوره من أحذيتهم الغليظة لكنه فزع عندما رأى تلك الوجوه القاسية وخاصة أحدهم الذى كان يبدو مألوفًا لديه..ولكنه أدرك ما ينتوونه حين اقترب منه أحدهم قائلًا :-

- أبتِ إننا لا نريد أىّ أذى لنيافتك سوف فقط نقوم بجولة صغيرة إلى داخل الأرشيف لتعطينا بعض الأشياء..وأود أن ألفت نظرك سواء جئت معنا أم لم تأت فسوف نحصل على ما نريد..

أما بوتشيليني فكأنه لم يسمع ما قاله الرجل فَخَرَّ راكعًا وهو يتمتم:

- لقد كنت أنا المتسبب فى ذلك لا ألومن إلا نفسى..ومنذ أن..

قاطعه الرجل وهو يقترب منه ليجذب مفتاح كان يضعه الأب بوتشيلى بين يديه وقت دخولهم قائلًا وهو يقيد يدى الأب خلف ظهره قائلًا :

- يبدو أنَّكَ مُصِرٌّ على عدم التعاون معنا..هذا هو مفتاح باب الأرشيف على ما أعتقد سأجلس أنا معك عدة دقائق حتى ننهى مهمتنا.

وبالفعل أخذ أحدهم المفتاح وهرع مع الآخر إلى الأرشيف السرى عن طريق الممر المخفى بداخل المكان الذى يُقِيمُ به وفى هذه الأثناء كان الرجل يتمتم إلى بوتشلينى:

- أبتِ إننا فى خندق واحد ولا تعتقد أنى سعيد بما أفعله ولكن هناك العدو الأكبر لنا وعلينا أن نحاربه فى مهده وإلا سيحدث ما لا يُحْمَد عُقْبَاه..أنت تحاربه بطريقتك أما نحن فنقضى على البذور منذ نشأتها ولا نسمح لها أن تنمو وتترعرع ثم نقضى عليها..وسيأتى يوم سيعرف العالم كله أن ما قمنا به هو الخير للبشرية.

أما بوتشلينى فكان فى وادٍ أخر وكأنه لم يسمع أىّ كلمه من الرجل بينما استمر فى تلاوة صلواته بصوتٍ مُرْتَعِد:

- طوبى للذى يقرأ وللذين يسمعون أقوال النبوة ويحفظون ما هو مكتوب فيها لأن الوقت قريب..ومن يسوع المسيح الشاهد الأمين البكر من الأموات ورئيس ملوك الأرض الذى أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه..وجعلنا ملوكًا وكهنة ولله المجد والسلطان إلى أبد الآبدين..أمين.

وفى هذه الأثناء وصلا الرجلين الذين أتيا مُهَرْوِلِيْنَ عبر الممر السرى حتى وصلا إليهم وأشارا إليه بعلامة النصر كدليل على نجاح مهمتهم بالداخل..أومأ لهم الرجل واقترب من بوتشيلينى الذى كان فى أشد حالات

الذُعْر ولكنه لم يتحرك أو يصرخ بل استمر فى تلاوة صلواته حتى وضع الرجل منديلًا على وجهه واستمر دقيقة والأب بوتشلينى يُصَارع الحياة مقيد اليدين..حتى لفظ أنفاسه بعد أقل من دقيقه..فك الرجل قيوده ورفعه حتى وضعه على كرسيه ووضع يده على قلبه مما قد يوحى أنه أصيب بنوبة قلبية..ونظر فى شَتَّى أنحاء المكان حتى يتأكد أن كل شئ على ما يرام..وابتعد بهدوء وهو يمد يده ليأخذ عدة زهور من البيلسان ليلحق بالرجال خارج الصوبة.

****

وفى الوقت الأخير من الليل داخل فندق هلفتيا بريستول قضى ألبرت ودان ليلتهم الأخيرة..حيث كان الإثنان يجهزان متاعهم وهم فى أشد حالات القلق..القلق لأن رحلتهم فى الغد ستكون فى منتهى الصعوبة لأنهم سيرحلون إلى فرنسا برًا وذلك لمقابلة البروفيسور المسلم فى جامعة ليون والذى رشحه لهم الاب بوتشلينى..أما الكادرينال ماركو فسوف يلاقيهم فى محطة القطار فى تمام التاسعة صباحًا ليرحلا إلى مدينة جنوة ومنها يستقلان القطار مرة أخرى حتى يصلا إلى الحدود الفرنسية ومنها إلى مدينة نيس ومنها حتى مارسيليا و منها إلى جامعة ليون فى رحلة يعلم الله كم ستستمر..

ولكن ما كان يشغلهم أكثر هو اختفاء نور وخوفهم على مصيره الغامض.

****

فى الصباح كان الرجلان بداخل المقهى الموجود بداخل المحطة فى انتظار القطار الذى سيتحرك بعد عشرون دقيقة وبينما هم فى الإنتظار حتى دخل عليهم الكاردينال ماركو سريعًا وهو يعتذر عن التأخير:

- أرجو معذرتكم فقد كانت هناك كارثة فى الكاتدرائية..لا بل فى الفاتيكان بأكملها.

ألبرت- ماذا يا أبتِ.؟ نرجو من الله أن يكون الأمر هين.

ماركو - أبدًا..لقد تُوُفِّيَ بالأمس الأب بوتشليني إثر أزمة قلبية مفاجأة.

ألبرت- يا إله السماوات..لقد كان الرجل فى أتم صحه فى لقاء الأمس.

ماركو- لا أدرى يا ألبرت..حقًا لا أدرى الرجل لم يشكو من قلبه من قبل واخشى أن..

دان – تخشى ماذا أيها الكاردينال.؟

ماركو- أخشى أن فى الأمر شيئًا ما..لقد اختفت عدة أوراق هامة من خزينة الأرشيف وإلى الآن لا نعلم ما هى..والأدهى أن مفتاح الرمزى للكاتدرائية الذى رايتموه بالأمس غير موجود فى علبته الزجاجية..لقد أخبرنى الأسقف ماثيو بكل ذلك وهم الآن يحصرون المفقودات.

دان - أيعقل أن يكون هناك جريمة قتل؟

ماركو- لم يحدث إلى الآن فى تاريخ الفاتيكان أىّ جريمة..فما بالك بجريمة قتل فى بيت الرب.

ألبرت- وماذا بشأن الأب تومى.؟

ماركو- لا أدرى فقد اختفى الرجلان من أمامى وهما يعدوان خلفه..ألبرت إن كانت جريمه قتل قد حدثت فإنتم السبب فى ذلك..لا أدرى لماذا إقحمتم الكرسى الرسولى فى تلك المواضيع..لن اغفر لك أبدًا إذا اتضح أن فى الأمر جريمة ذهب ضحيتها الأب بوتشليني المسكين.

ألبرت- أنا..لم..أقصد..أبدًا..لم أقصد حدوث أىّ مشاكل يا أبتِ فلتغفر لى.

دان- فات الأوان على ذلك نحن الآن فى خطر ويجب أن نهرب فورًا.

ماركو- هو كذلك..فى هذه الجريدة ثلاث تصاريح لكم فى حال مقابلتكم للأب تومى رفيقكم وذلك للخروج عبر الحدود وأعتقد أن خروجكم كبريطانيين من إيطاليا ودخولكم لأراضى حليفتكم فرنسا سيكون أيسر بكثير من دخول روما..والآن فلتصحبكم السلامة.

ألبرت- لن أرحل من هنا يا أبتِ إلا بعد أن تغفر لى ولتمنحنى البركة.

وهبط على ركبتيه أمام الكاردينال الأمر الذى أثار دان فقام من على المنضدة ليذهب خارج المقهى حتى ينتهيا من تلاوة صلواتهم المباركة.

خرج دان ليبتاع جريدة الديلى ميرور ويترك الرجلان فى أداء مشاعرهم الدينية ليجد العنوان الرئيسى :

وأصبح هتلر مستشارًا لألمانيا

هيندينبرج يُعَيِّن رئيس الحزب النازى كمستشار له خَلَفًا لفون بابين المُسْتَقِيل

وقبل أن يَهِمَّ بقراءة الخبر الذى أثار ضيقه سمع صفارات القطار ليعلن قيام رحلته خلال دقائق فعاد مرة أخرى مع أحد الحَمَّالِين ليأخذ الحقائب ليجد ألبرت الذى كان لا يزال يبكى على يد الكاردينال فوكزه فى كتفه للحاق بالقطار الذى يوشك على المغادرة وبالفعل قام ألبرت وهو يشير بيده إلى ماركو حتى استقلاه..وبعد أن تحرك القطار..لمح دان شبح نور وهو يُهَرْوِل سريعًا خارجًا من أحد دورات المياه ليلحق سريعًا بالعربة قبل الأخيرة..

****

وبعد حوالى الثلاثون دقيقة كان الرجال الثلاثة فى كابينتهم يستمعون إلى أحداث الليلة الماضية من وقت هروب نور من الرجال الذين كانوا فى أثره بالأمس وكيف قضى ليلته فى دورة المياه فى محطة القطار التى وصلها فى أخر قطار قادم من الفاتيكان مُخْتَفِيًا عن الأنظار حتى الصباح لوقت قيام قطارهم الذى كان يعلم موعده..ورغم رؤيته لألبرت ودان إلا أنه كان يخشى ظهوره خوفًا من احتمال معرفته..أما دان فقد قَصَّ عليه أحداث الليلة الماضية التى رواها ماركو لهم وكان فى أشد حالات التأثر من تلك الحادثة المُفْجِعَة.

نور- كما أخبرتكم أن الوضع أخطر مما كنا نظن وأخبرتك يادان أننا مُرَاقَبُوْن منذ أن وطأت أقدامنا روما..كنت أشعر بالرَجُلَانِ ولكن ما رأيته بالأمس كان أكثر من ثلاث رجال ولولا أنى اختفيت داخل أحد الصالات بالكاتدرائية فى هذا الزى قبل أن أصعد على متن القطار الأخير لكنت الآن مع الأب بوتشليني فى رحلته الأخيرة..

دان – لا نعلم الوثائق التى سُرِقَت من الأرشيف ولكن سرقتهم للمفتاح يا نور فهما بذلك قد سبقونا بخطوة والعسير أننا لا نعلم من هم.

نور- هم ألمان بلا أيّ شَكّ فهم يسعون إلى ذات البحث..ومن اليسير جدًا أن يتبعا نفس الخطوات التى نسير بها.

ألبرت – ومعنى ذلك أننا نسير فى الإتجاه الصحيح.

نور- نعم ولكن المعنى الأخر أننا قد نكون مُرَاقَبِين فى أغلب الأوقات فعلينا أن نأخذ حذرنا دومًا.

دان - علينا الآن أن نقابل البروفيسور ريحان جبارى ليدلنا على أصولهم وأماكنهم كما أخبره القران.

ألبرت- بالمناسبة يا نور أنت مسلم فلماذا لم نوفر تلك النفقات وتخبرنا عن أصولهم فى دينك.؟

نور- ولماذا وأنت قس وكان عليك أن تخبرنا بما يقوله دينك عن أصول جوج بدلًا من وصولنا للفاتيكان ونتسبب فى جريمة قتل يا نيافه الأب.؟

ألبرت – ماذا .؟ أعلم أنى.

قاطعه دان قائلًا- مهلًا مهلًا أنتما الإثنان..أعتقد أن تلك أخر رحلة لنا فبعد وصولنا إلى ليون لن يتبقى لنا إلا تذاكر الرجوع إلى بريطانيا فلا داعى لصراع الأديان هذا..أعتقد يا ألبرت أن نور لديه كل الحق وإن كنت قد أجبت مسبقًا بأنك رجل دين فإنك لا تعلم الكثير والكثير عنه ولذلك حضرنا إلى هنا..وبنفس المنطق فإن نور ليس رجل دين من الأصل هو فقط مسلم ولذلك كان علينا معرفة أصول تلك القبائل فى الديانة الإسلامية..بالمناسبة هل عرفتم أخر أخبار ألمانيا.؟ لقد تم تعيين هتلر مستشارًا لألمانيا للأسف.

نور- هذا ما كنت اخشاه فعلًا فبعد هزيمته للمرة الثالثة فى الإنتخابات القريبة توقع الجميع أن تكون تلك نهايته ولكن المتابع للوضع العام يعلم أن ذلك لن يُثْنِي عَزْمَهُ عن تولى الرئاسة فى وقتٍ ما..على الرغم من سقوطه المدوى فى الإنتخابات.فظل يحارب كما هو.

دان - ما حدث له بعد تلك الإنتخابات.؟

نور- بعد إعلان نتيجة الإنتخابات الرئاسية السابقة وإعادة انتخاب هيندينبرج ليكون رئيسًا لألمانيا مرة ثانية..بعدها كان ميعاد انتخابات البرلمان الألمانى أو الرايخستاج..هتلر والحزب النازى اكتسح البرلمان متفوقًا على بقية الأحزاب فأصبح أثقل قوة سياسية فى ألمانيا وكان المتوقع عندما

يحصل حزب على أكثرية المقاعد أن الرئيس سيختار زعيم الحزب كرئيس وزراء ويطلب منه تشكيل حكومة..لكن الرئيس هيندينبرج خالف كافة التوقعات ورفض تعيين هتلر كمساعد له متحججًا بأنه لا يستطيع تسليم السلطه لحزب غير متسامح كحزبه..وقتها أصابت هتلر صدمة كبيرة وإحباط..لم يسعد بانتصار حزبه فى الإنتخابات وعيّن الرئيس هيندينبرج "فون بابين" مستشارًا جديدًا بدلًا من هتلر..لكنه ليضمن ولاء هتلر عرض علية دورًا فى الحكومة كوزير لكن هتلر رفض المنصب..وبرغم كل المحاولات مع هتلر..إلا أنه رفض تمامًا كل ما عرضه عليه بابين..وإلى هنا انقطعت معلوماتى عن ما يجرى داخل ألمانيا ويبدو أن الأمور ستسير من سىء إلى أسوأ.

ألبرت – هذا ما كان ينقصنا ..فلندع الرب أن تمر تلك السنوات على ما يرام.

وسكت الجميع وهم يحاولون أن يشغلوا وقتهم فأخرج ألبرت إنجيلًا بدأ فى تلاوة آياته بينما بدأ نور يَغُطُّ فى نومٍ عميق تعويضًا لليلته التى قضاها مختفيًا داخل دورة المياه..بينما دان أخرج من جيب زِبة الدينى تلك الجريدة التى ابتاعها..وبينما هو يُخرِجُهَا إذ سقطت بعض زهور البيلسان على قدم ألبرت الذى تناولها فى دهشة قائلًا:

- كيف وصلت إليك تلك الزهور.؟ أتسرق من داخل الكنيسة يا دان.؟
- (مبتسمًا) لا أعتقد أنى ساذهب إلى الجحيم لِسَرِقَتِى بعض الزهور خِلْسَةً من الأب بوتشلينى يا ألبرت.

سكت ألبرت وعاد إلى إنجيله بينما ظَلّ دان واجمًا..وشرد بنظره إلى خارج النافذة..

* * *

الفصل الخامس

(الشيطان لن يستطيع ملاحقة آلاف وآلاف من المجازر البشرية التى يرتكبها الإنسان يوميًا..ولتعلم أن الإنسان لا يقل سفكًا للدماء عنه)

بعد عدة أيام وفى داخل جامعة ليون بفرنسا كان الرجال الثلاثة يجلسون مع البروفيسور ريحان جبارى أستاذ العلوم الاسلامية بجامعة ليون الفرنسية..قاصِّين عليه بحثهم عن أصول الجوج فى الديانات السماوية فَعَدَّلَ من وضع غليونه وبدأ فى الحديث :

- أطلقت التوراة على مأجوج لفظ ماجوج أما جوج فهو أُطلق بدلًا من يأجوج واعتبرت أن الأخير رمز فقط لرئيس شعب جوج ونسبت شعب مأجوج إلى ماجوج بن يافث بن نوح فقالت التوراة فى هذاالشأن كما ورد فى سفر التكوين الإصحاح العاشر(وهذا مواليد بنى نوح .سام .وحام. ويافث. وولدأنهم وولد لهم بنون بعد الطوفان بنو يافث جومر وماجوج ومادای وياوان و توبال وماشك وتيراس)

وبعض مفسرى الكتاب المقدس يرون أن جوج هو رمز لقبيلة ياجوج بينما يرى بعضهم أيضًا أن جوج هو رئيس ماجوج لذلك فإن يأجوج ومأجوج أرى أنهم شعبين وينتهى نسبهم فى نهاية الأمر إلى يافث بن نوح وبذلك فهم ينتسبون إلى آدم وحواء معًا..أما فى الإنجيل فقد ورد ذكر قبائل الجوج فى رؤيا يوحنا اللاهوتى عندما ذكرهم ليفسدوا فى الأرض ويهلكوا الحرث والنسل فى نهاية العالم ولم يذكر الإنجيل شيئًا عن نَسَبِهم وباعتبار أن التوراة من مصادر التشريع المسيحى فهى من المصدر الأساسى لأى معلومات عن بدء الخليقة وبالتالى يا مستر ألبرت أنتم تنسبون قبائل الجوج إلى يافث عليه السلام..وهذا التفسير الاصلى رغم بعض التفسيرات التى قد أميل إلى تصديقها.

ألبرت- مثل ماذا يا مستر ريحان ؟

ريحان – أسطورة النانيدرتال..بمعنى أن جوج ليسوا آدميين إنما من أصل النايندرتال الذين خلقوا من قبل آدم بحوالى 15 ألف عام.. فكانت الأرض معمورة بمخلوقات أخرى قبل خلق آدم عليه السلام وما يؤكد ذلك التاريخ الطويل للأرض فقد تم استيطانها بأجناس بشرية غير آدمية مختلفة الأصول كافة عن الأصل الادمى ومن المثير أن الإنسان الراهن عاصر إنسانًا أخر لفترة حوالى 15 ألف عام هو الإنسان المسمى النايندرتال وحدث هذا قبل حوالى 35 ألف سنة فقط وقد كان أخر العهد بهذه المعاصرة هو وقت بعث ذى القرنين الذى كان هو البشرى الوحيد الذى آتاه الله تعالى المقدرة على إحداث تغيرات كونية واسعة وذلك بما آتاه الله من كل شيءٍ سببًا وما أقطع به من وجهه نظرى المتواضعة أن هذا الإنسان النياندرتالى هو المقصود فى التاريخ الإسلامى بيأجوج ومأجوج..وما قيل فى انقراض هذا الإنسان هو قصور شديد فى الإحاطة والعلم فلم ينقرض..لكن الله قد قَدَّرَ لذى القرنين أن يردم عليهم فى فراغٍ هائل تحت الأرض بقاعدة الجبل الذى أقامه بين السدين وهذه القصة وردت فى القرآن الكريم كاملة تحديدًا..نعم لقد أراد الله أن يخلق نموذجًا للإنسان تكون فية نزعات الشر متدنية وهو القادر على كل شىء هذا بعكس الإنسان النايدرتالى المنتمى إلى قبائل الجوج.

حيث قال رب العالمين (إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأرض خَلِيفَةً) ولم تعى الملائكة الحكمة الإلهية فى ذلك فأردفت قائلة فى الاية الكريمة اجتهادًا منهم (قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّى أعلم مَا لاَ تَعْلَمُونَ) نعم فلم تر الملائكة من قبل إلا هذه النماذج السفاكة للدماء شديدة الإفساد فى الأرض كما رأت فى هذا الإنسان النايندرتالى..هذا ما أعتقده شخصيًا...أما عن وصف جوج فلم يرد فى

وصفهم فى شتى الديانات أو الاحاديث النبوية الشريفة ما يُجْزِمُ بأوصافهم..بينما نرى كل ما يتعلق بهم فى الإسلام بمجرد ذكر سيره الملك ذو القرنين..

ألبرت - تعددت الأقاويل فى هذا الشأن وأنا أميل بل وأجزم أنه كان الملك المصرى اخناتون.

ريحان- دعك مَنْ هُوَ الآن فذو القرنين كان عبدًا صالحًا لله يأتيه وحى من الله بدليل أن آيات القرآن العظيم أفاضت فى وصفه بأنه كان ذو مالٍ وجاهٍ وسلطان وغزا الكثير من الدول فبدأ بدول مغرب الشمس وهى الدول التى تقع سواحلها على المحيط الأطلنطى..وبزيارته لهذه الدول وجد أن هناك الكثير من الأقوام الذين لا يؤمنون بالله فَبِوَحْيٍ من الله ترك له أن يفعل بهم ما يريد..وبعد تلك الرحلة الإيمانية والتى كانت بوازع دينى بحت لنشر ديانة التوحيد فى تلك البلاد زار الجهة الأخرى بوحى من الله أيضًا إلى مطلع الشمس وهى الدول الواقعة فى جنوب شرق آسيا فوجد هناك قومًا لم يجعل الله بينهم وبين الشمس ساترًا كوجود غابات أو جبال يستظلون بها فقد كانت منطقة صحراوية قاحلة وأنا أرى أن هذه الأوصاف لا توجد إلا فى منطقة سهول الإستبس فى شمال الصين وكذلك جنوب شرق الإتحاد السوفيتى ومنغوليا وهى تلك المنطقه التى كان يسكنها التتار والمغول..ثم جال فى هذه المنطقة حتى وصل إلى منطقة تقع بين جبلين فوجد هناك أناس لغتهم مختلفة عن بقية اللغات المعلومة فهم معزولون عن العالم قليلوا الحيلة والخبرة..فطلبوا منه أن يبنى لهم سدًا يحول بينهم وبين ما يشنه بعض القبائل الغازية وهم قبائل الجوج فهم يسلبون منهم أموالهم ونسائهم وكافة خيراتهم..وعرضوا علية الكثير والكثير من الأموال ولكنه رفض وطلب منهم أمر اوحد فقط وهو أن يجمعوا كل ما تيسر من الحديد

والنحاس ليضع سدًا بينهم يَحُولُ تلك الغزوات المستمرة عنهم..وتم عمل ذلك السد فى وقت يعلمه الله وأغلق منه الفتحة التى كانوا يَنْسَلُّونَ إليها وأخبرهم أنه سيمر زمن بعد ذلك حتى يدك الله السد فى نهاية العالم.

دان - وهل فسر كتابكم المقدس من هو ذو القرنين يا مستر ريحان.؟

ريحان - القرآن لم يذكره صراحة بل هناك مميزات معينة لم يوصف بها ملكًا إلا هو.

ألبرت- تعددت الأقاويل فى هذا الشأن فهناك من قال أنه الإسكندر الأكبر ومن قال أنه كورش الفارسى وهناك العديد ممن قالوا أنه إخناتون ذلك الملك الفرعونى وأنا أميل لهذا الرأى.

ريحان- هناك من الشروط التى يجب أن تنطبق يا سادة على ذو القرنين..فيجب أولًا أن يكون نبى لأنه كان يُوحَى إليه من الله فقد قال الله فى كتابه العزيز (قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ أما أن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا) فهو دليل على أنه كان يُوحَى إليه من الله تعالى وكذلك هو يعلم الغيب بوحى من الله لأنه أخبر هؤلاء القوم أن السد سينهار فى نهاية العالم والثلاثة المذكورين لم يُوحَ إليهم أىّ شىء .

نور- وثانيًا.؟

ريحان- ثانيًا أنه لابد أن يكون ملك ذو جاه وسلطان وأن يكون له فتوحات وغزوات وصلت إلى شمال إفريقيا..وكذلك الناحية الأخرى ناحية دول غرب أوروبا المطلةعلى المحيط الأطلنطى وقام بنشر التوحيد فى هذه المناطق وأخيرًا لابد وأن يكون قد بنى السد.

ألبرت- نعم وأنا أعلم أن الأسكندر الأكبر لم يكن إلا كافرًا وثنيًا ككثير من الأقاويل التى تؤيد ذلك فقد كان ينشر ثقافة اليونان الوثنية وقتها على الدول التى كان يغزوها..بالإضافة أن فتوحاته كانت بغرض إما للتوسع فى امبراطوريته وتحقيق طموحاته الشخصية أو لصد هجمات الفرس ولم يكن لهدف التوحيد أبدًا.

نور- وما السبب إذن فى تسميته ذو القرنين ؟

ريحان- كانت تسميته بذى القرنين لسبب وهو عند فتحه مصر قام كهنتها بالباسه التاج المُقَدَّس الذى يرمز إلى رمز الكباش وشعار آمون..وأما عن كورش الفارسى فهو الذى أسس الإمبراطورية الفارسية وجمع بين ملك فارس ومادى وغزا بابل وأَذِنَ لليهود بالرجوع من بابل إلى أورشليم المقدسة..بل وساعدهم فى بناء الهيكل ذاته الذى دمره نبوخذ نصر وقد صدق بعض العلماء أنه من ذكر بالقرآن على أنه ذى القرنين فهم يرون أنه كان يؤمن بالتوحيد وكان عادلًا بين رعيته فجمع بين الدين والأخلاق كما ورد فى العهد القديم (هكذا يقول الرب لمسيحه كورش) ولكن هناك العديد من الأسباب التى تنفى..ذلك فإن كورش لم يكن مؤمنًا بالتوحيد بل كان مجوسيًا كافرًا..ولم يكن مؤمنًا ولا موحدًا فلا يوجد أىَ دليل على ذلك أما بالنسبة للآية المزعومة فذكر فيها اسمه لأن أفضاله على اليهود كثيرة فهو أعادهم إلى أرضهم وساعدهم كما سبق فكان لابد من تمجيده فى بعض النصوص اليهودية.

نور- اليهود مرة أخرى.؟

ريحان- نعم..وعندما اتجه كورش إلى المغرب والمشرق كان ذلك لدفع هجمات ليديا التى هى تركيا حاليًا والحرب معها للقضاء على حركات المتمردين فى مملكته وليس لإقامة العدل أو الدعوة للتوحيد.

ألبرت - ولذلك فأنا أجزم بأنه كان إخناتون الفرعونى.

دان - وعلى أىّ دليل يا ألبرت؟

ألبرت- كانت عبادة أوثان والكواكب هي العقيدة السائدة فى مصر منذ الأسرة الأولى حتى الأسرة الخامسة حيث ظهر ما يعرف بمذهب الشمس والذي أحدث تأثيرًا كبيرًا فى العقيدة المصرية وكان من آثارها اعتبار الشمس إلاله الأعلى للدولة وكان هذا هو الوضع السائد عندما تبوأ إخناتون سده الحكم فى البلاد..وقد ثار إخناتون على هذا الوضع وقاوم كل التيارات المنحرفة وطالب الكهنة والناس بعبادة رب الشمس وليس الشمس نفسها وهذا ثابت تاريخيًا وموثق فى التاريخ المصري القديم وهو أهم القرائن على فرضية أن إخناتون هو ذوالقرنين..بالاضافة إلى نشأة موسى وإخناتون فى بيت واحد..بحيث تؤكد المصادر التاريخية الموثقة إلى تولى إخناتون الحكم بعد وفاة والده وأن موسى عاش زمنا بعدوفاة فرعون..وبحكم طبيعة العلاقة التى لابد أنها تكونت بين موسى وإخناتون فى مراحل الشباب فإن من المتوقع أن يكون لموسى تأثير كبير على فكر وسلامة عقيدة إخناتون..وهناك شيئًا أخر فإن التقنية والأساليب الهندسية والتى لم تكن معروفة فى تلك العصور إلا فى مصر..

دان - وما شأن ذلك بمصر.؟

ألبرت- بسبب السفن المستخدمة فى رحلة ذي القرنين..لو تفكرنا فى صعوبة وخطورة رحلته التي أبحرت فيها سفنه لمسافات تجاوزت عشرات

الألوف من الكيلومترات إلى مغرب الشمس..ثم إلى مطلع الشمس ثم إلى الصين..لو تفكرنا في هذه الحقائق فإننا سنصل إلى اقتناع بأن مثل هذه الرحلات لا يمكن القيام بها إلا باستخدام سفن معينه متينة ومتقنة وقوية..ولم تكن تلك النوعية متاحة في ذلك العصر إلا في مصر..وقد ثبت ذلك لوجود آثار في البلاد التى زارها ومن خلال النقوش الموجودة إلى وجود صور ونقوش لسفن علىالطراز المصرى في بلاد مغرب الشمس ومطلعها..فبعد غرق فرعون وجنوده في اليم كما نعرف من قصة موسى..تولى إخناتون عرش مصر..وحاول توطيد حكمه ودعوته للتوحيد ولكنه واجه مقاومة شديدة من الكهنة وبعض رموز الحكم السابق..بالإضافة إلى مشاكل أخرى تمثلت في تعرض بعض الولايات التابعة لمصر لتهديدات خارجية مثل بلاد الشام والتي تعرضت لغزو الحيثين..الذين استغلواضعف مصر بعد غرق فرعون ومعظم جنوده..ولم يستطع إخناتون بعث أي قوة هناك لأن أغلب جيش مصر غرق مع فرعون..بل إنه اصبح هو وأسرته مُعَرَّضِين لتآمر الكهنة وأتباعهم ومن ثم اضطر للهجرة من مدينة طيبة إلى تل العمارنة حيث بنى مدينته المقدسة هناك..وبقي في حكم مصرحوالى ٨١ عاما..اضطر بعد أن تفاقمت قوة الكهنة وأتباعهم إلى الهجرة من مصر سرا هو وزوجته نفرتيتي وأولادهم ومجموعة من أتباعه على سفن مصرية عبر البحر الأحمر..حيث وصل إلى مغرب الشمس ومطلع الشمس وبلاد ما بين السدين..الجدير بالذكر هنا أنه لم يعثر على رُفاته او رُفات زوجته في مصر..مالى أراك مبتسمًا هكذا يا مستر ريحان

ريحان- أستمحيك عذرًا يا عزيزى البروفيسور فلديك حصيلة هائلة من علم المصريات ومصر الفرعونية وأنا كذلك..وبالإضافة أنى درست علم

التوحيد والأديان فى مصر الفرعونية ولى بعض الملاحظات البسيطة التى قد تُفَنِّد تلك المزاعم المصرية..أولًا يا سيدى موسى قد عاش فى فترة جاءت بعد وفاة امنحوتب الثالث..وامنحوتب الثالث هو من عاش فى عهد يوسف عليه السلام..وإخناتون أو ما يسمى بأمنحوتب الرابع هو الملك الذى عيّن يوسف عزيزًا لمصر بعد ما خرج من السجن ووفاة بوتيفار وهو العزيز الذى قبله والذى اشترى يوسف وسجنه..وبالتالى فلا يمكن أن يكونا الإثنان قد عاصرا بعضهما فى زمن واحد..وأنت تقول أنه بعد أن غرق فرعون والكثير من جنده الذين خرجوا معه خلف موسى عليه السلام لم يبق لإخناتون من الجند بعد توليه الحكم ما يمكنه من حماية سوريا وفلسطين من غزو الحيثيين..خاصة بعد إعلانه دعوته التوحيدية وإعلانه الحرب على الأصنام وخروج الكثير من الوثنيين عليه..وتآمر الكهنة وأتباعهم عليه..فما كان من إخناتون إلا أن هاجر من مدينة طيبة عاصمة الملك ..إلى تل العمارنة حيث بنى مدينته المقدسة ثم إذا سلمنا بأن إخناتون بعد أن عانى من عداء الوثنيين..وتآمر الكهان عليه عزم أمره على الرحيل من مصر إلى بلاد الله الواسعة مع أهله وخاصته من رجال دولته المؤمنين..ولربما كان قد اكتشف مؤامرة تُحاكُ ضِدَّهُ فى الخَفَاء..أو أنه رحل بوحى من الله..المهم أن إخناتون جمع زوجته وبناته الخمسة وربما كبير الكهان..والمخلصين من رجال الدولة وخرج بسفينة فرعونية طريدًا ليبدأ رحلته إلى المجهول..فاذا سلمت بذلك فأنا أخالف صريح الآية القرآنية المقدسة التى تقول (أنا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأرض وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا) كما جاء فى قول الله تعالى..نقطة أخيرة أود إضافتها..قالت الكتب والتفسير أن ذى القرنين قد ملك الدنيا من مشرقها إلى مغربها..إذن هذا لا ينطبق إطلاقًا على ملوك مصر القديمة لأنه لم يرد أبدًا من قريب أو بعيد أنه يوجد ملك فى مصر

القديمة قد ملك خارج حدود مصر والسودان..وأى حكم خارج هذه الحدود لم أسمع وإن أحد سمع فليخبرنى..

ألبرت - حسنًا حسنًا هى أقاويل.

دان - سؤال يا مستر ريحان..بعد أن بنى ذلك الرجل ذلك السد ليمنع هؤلاء القوم من الخروج لماذا لم يستطع جوج أن ينقبوا الردم أو يتسلقوه؟؟

ريحان- ما قدروا أن يعلوا علية لارتفاعه وانملاسه..وما استطاعوا أن ينقبوه من أسفله لشدته وصلابته فتقول الآية الكريمة (فَمَا اسْطَاعُوا أن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا) لأنه أملس مستوٍ مع الجبل..

دان- ونهاية السد فى نهاية العالم.؟ ولن يستطيعوا الفكاك منه إلا بانهيار العالم كما أخبرتنا.؟

ريحان- أن يأجوج ومأجوج يخرقون السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال رئيسهم ارجعوا فستخرقونه غدًا..فيعيده الله كأشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال رئيسهم ارجعوا فستحفرونه (إن شاء الله) فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيخرقونه ويخرجون على الناس.

نور- إذن فهم محكومين حتى ينطق أحدهم بكلمة إن شاء الله.

ريحان - سبحان الله..ولكنه الشيطان يا سادة.

دان-الشيطان..دائمًا ما تظلمون الشيطان بآرائكم يا بروفيسور..الشيطان لن يستطيع ملاحقة آلاف وآلاف من المجازر البشرية التى يرتكبها الإنسان يوميًا..أعلم يا سيدى أن الإنسان لا يقل سفكًا للدماء عن جوج..أرأيت

الحرب ودمارها.؟هل سيصنع جوج وقت خروجهم أسوأ مما صنع بنو البشر؟

ريحان- لديك الحق فى ذلك ولكن على الرغم من فظاعة جرائمنا فإنها جميعًا من صنيع الشيطان يا ولدى.

دان (مبتسمًا)- أنت يا سيدى لا تفرق دائمًا عن رجال الدين فتتكلمون بنفس الحجة والكلمات والمنطق..إذن فأخبرنى يا مستر ريحان سؤال خطير جدًا يجول بخاطرى منذ فترة..طالما الشيطان هو سبب كافة النكبات..الشيطان عندما عصى ربه كما تخبرونا دائمًا..فمن كان شيطانه؟

ريحان- أتعلم من هو الشيطان الحقيقى لنا؟ إن كلمة نفس هى كلمة فى منتهى الخطورة..وقد ذُكرت فى القرآن الكريم فى آيات كثيرة يقول الله تبارك وتعالى فى القرآن المعظم (لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إلية مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)

يا بنى نحن نؤمن بالله عز وجل..ونذكره ونصلى فى المسجد أو الكنيسة ونقرأ القرآن ونتصدق..وعلى الرغم من ذلك فإننا نقع دائمًا فى الذنوب والمعاصى بصورة يومية أتدرى لماذا؟السبب فى ذلك هو أننا تركنا العدو الحقيقى وذهبنا إلى العدو الضعيف..يقول الله تعالى فى القرآن الكريم (إن كَيْدَ الشيطان كان ضَعِيفًا) إذن العدو الحقيقى هو (النفس).. نعم.. فالنفس هى القنبلة الموقوتة..يقول العلماء أن الآلهة التى كانت تُعْبَد من دون الله فى أيام الجاهلية هى اللات والعزى وغيرها

فكل هذه الأصنام هدمت ما عدا إله مزيف مازال يعبد من دون الله..ففى جريمة قتل قابيل لأخية هابيل يقول الله تبارك وتعالى (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ) أرأيت؟..طَوَّعَت له نفسه وعندما تسأل إنسانًا وقع فى معصية ما

وبعد ذلك ندم وتاب..ما الذى دعاك لفعل هذا سوف يقول لك دفعنى الشيطان.

إن السبب فى المعاصى والذنوب يا مستر دان إما من الشيطان..وإما من النفس الأمارة بالسوء فالشيطان خطر ولكن النفس أخطر بكثير .

ألبرت- دان..دعنا من ذلك الآن بالله عليك ولنكمل ما جئنا..من أجله..توقفنا يا مستر ريحان على قيامه ببناء السد.

دان- فلتلتمسوا لى العذر ..فهمت من حديثك أن بنهاية العالم سوف ينهار السد فهل هناك أىّ علامات أو مقدمات لحدوث ذلك.؟

ريحان- من علامات يوم القيامة يا مستر دان..هو هدم سد جوج وخروجهم من ورائه وغزوهم للبلدان الإسلامية التى سينتشر فيها وقتها الظلم والفساد والقتل..فكثير من أحاديثنا النبوية تدل على ذلك فلدينا فى الإسلام علامات صغرى لحدوث يوم القيامة وعلامات كبرى..فأما الصغرى فحدث العديد منها ونحن الآن فى انتظار العلامات الكبرى والتى يبلغ عددها عشر علامات ومنها ظهور الدجال ونزول عيسى ابن مريم والدابة وانهيار السد المذكور وظهور جوج وهكذا..وورد فى بعض النبوءات أن السد قد هُدِمَ وخرج جوج من ورائه ولكن نرى فى أحاديثنا النبوية التى نعتد بها أن خروجهم سيكون بعد ظهور المسيح عليه السلام طبقًا لترتيب علامات يوم القيامة.. ألا يحتمل أن يكون جوج لا يزالون وراء سدهم فى مكان ما تحت الأرض لم ولن تصل إليه التكنولوجيا الحديثة إلى الآن .؟

دان- وفى القرآن وصف لكل ذلك كما ستخبرنا أعتقد.؟

ريحان- هل تعلم أن هناك من المعتقدات الإسلامية من يتحدث عن خروج جوج مرتين.؟مرة من وراء السد ومرة فى زمان عيسى عليه السلام بعد أن

يقتل الدجال أما التوراة والإنجيل فقد ذكرا خروجهم مرة واحدة هى التى بعد خروج عيسى عليه السلام فى تلك المعركه التى ستكون على أرض فلسطين فى نهاية الزمان والتى أطلق عليها معركة هرمجدون..فى الإسلام تعرف هذه الحرب بالملحمة الكبرى حيث تستمر المعارك بين المسلمين والدجال وأتباعه وينتهى قتالهم بنزول المسيح من السماء..وقتله للدجال ويقضى على جميع أتباعه من اليهود أيضًا..وقتها ينهار السد ويخرج قوم جوج.

دان - ولماذا فى رأيك تم ذكرهم مرة واحده فقط إن لم يكن هناك اختلاف فى المصدر المنزل منه.؟

ريحان- ماذا تقول يا بنى.؟حاش لله بذلك..كل ما هنالك أنى أعتقد أن الخروج الأول سيكون لغزو البلاد الإسلامية ونحن على يقين أن هناك أيدى تلاعبت فى التوراه وحدث بها العديد من التحريفات..فقد تم إلغاء كافة النصوص الدالة على محمد النبى وأمته جميعًا بل إن النصوص اختصت اليهود فقط كشعب الله المختار فى نهاية العالم.

ألبرت - لم يثبت كلامك إلى الآن يا مستر ريحان وأعتقد أن الكثير من علماء اللاهوت قد أنكروا حدوث تحريف متعمد.

ريحان- لقد أنبأهم الله فى توراتهم المزعومة باختيار واصطفاء أمة غيرهم من أبناء إسماعيل كما يتضح لنا من سفر اشعيا..والنتيجه أن تلك النصوص قد حُرِّفَت ونسبوا تلك الأمة إلى أبناء إسحاق ويعقوب..مما استلزم من حذف النبوءات الخاصة بخروج جوج من وراء السد لغزو الدول الإسلامية والقضاء على الإسلام..حتى لا يرد أىّ ذكر صريح لهذه الواقعة فى التوراة ولا فى الإنجيل يا سيد ألبرت والدليل الأخر هو أنه عندما

ذكر خروج جوج فى التوراة فى سفر حزقيال وفى الفقرة أثناء حديثه عن الأمم التى سَتُغِيرُ عليهم فى نهاية العالم لم يرد أىّ ذكر للمسيح ذاته مما يؤكد أن اليهود حذفوا كافة النصوص الواردة فى نبوءات النبى حزقيال عن عيسى عليه السلام والمسلمين..وقصروا النبوءه فقط على شعب الله المختار اليهود فقط..دون كافة العالم لذا ستجد أنت أن جميع النصوص الموجودة تتحدث عن هجوم جوج على أرض إسرائيل فقط.

أما يوحنا اللاهوتى صاحب سفر الرؤيا يا سيدى فقد تحدث عن النكبات والغضب الذى سيلحقه الله بالأرض قبل مجىء عيسى وقسمها إلى سبع سنوات..حيث اخبرنا أنه فى النصف الأول منها ستحدث مجموعه من الحروب والأوبئة والأمراض وتحل لعنة الله على الأرض ثم تأتى الثلاثة والنصف الأخرى فيظهر الدجال ويتحالف مع الصهاينة الموجودون.

نور- لا تقل لى أنهم من أبناء يهود الخزر؟

ريحان- معظم النكبات ولدت وستولد على الأرض من يهود الخزر يا بنى وإذا تتبعت أىّ صهيونى الآن ستجد أصوله تعود إلى مئات السنوات إلى تلك القبائل التى أطلق عليها يهود الخزر من تلك الجماعات التى وجدت فى شرق أوروبا.

لاتنس أن اليهود يقصرون تلك النبوءات عليهم فقط وأن الخير سيحل عليهم بعد نزول عيسى وحذفوا أنه سيعم للأرض جميعًا وذلك لصلفهم وغرورهم..المهم سيسيطر الدجال على الأرض فيأتى عيسى مُخَلِّصًا للأرض ويقضى عليه مع أتباعه من اليهود..ويملك عيسى كما قال يوحنا ألف عام يسود خلالها الأمان والعدالة والخير..وبعد الألف الأخرى تخرج لنا قبائل الجوج بتحريض من الشيطان ضد عيسى وأتباعه..وأخبرنا رسولنا الكريم

أن نهاية جوج ستكون عند طور سيناء بينما تم تعديلها لتكون نهايتهم عند أورشليم..العجيب يا سادة أن اليهود لا يخدعونا بل يخدعون أنفسهم فالتوراة مليئة بالنبوءات التى تتحدث عن نهايتهم المشئومة فتتحدث عما سيحدث لليهود من دمار وخراب وأذكر على سبيل المثال مقولة أخيرة من سفر النبى حزقيال (وتعلم الأمم أن بيت إسرائيل قد اجلوا بإثمهم لأنهم خانونى فحجبت وجهى عنهم وسلمتهم ليد مضايقيهم فسقطوا كلهم بالسيف كنجاستهم وكمعاصيهم فعلت وحجبت وجهى عنهم)

ألبرت- سيدى البروفيسور..كن منصفًا..أعتقد أن دائمًا المسلمون فى كافة أنحاء الأرض ينظرون لليهود بنظرة ازدراء و يتهمونهم بما ليس فيهم.؟

نور- أىَ ازدراء يا مستر ألبرت..البروفيسور جبارى أخبرنا عن تاريخهم الأسود..فكل نكبة أو مصيبة تحدث أو ستحدث بالعالم سيكون اليهود السبب بها..أنسيت ما أخبرنا به الأب بوتشيلينى عن اليهود الخزر؟

ألبرت- ها هو مسلم آخر يردد نفس حديثى يا دان..

دان- بل على العكس أنا على تمام الإقتناع بحديث البروفيسور جبارى عن كل ما يتعلق بهذا الموضوع ودور اليهود فى كل نكبة..بل ربما أكثر من بوتشلينى نفسه.

نور- أنا لست منحازًا..أتذكر قول بوتشلينى.؟أتذكر وعدكم المشئوم يا مستر ألبرت ودور بريطانيا القذر فى نكبة فلسطين..أتذكر تلك المقابلات السرية بين حاييم وايزمان وبلفور...كن مُنصِفًا يا عزيزى القس.

ألبرت- لسنا هنا للحديث حول اليهود أو المصائب التى يقومون بها.

ريحان- يا سادة ليس هذا موضوعنا فنحن سنتحدث فى الغد عن مكان وجود السد وعن البعثات الإسلامية التى قام بها الخليفة العباسى من إرساله لبعثة خاصة للبحث فى تلك الأماكن ..إلى متى ستظلون فى ليون يا مستر دان.؟

دان- أعتقد أننا للأسف لابد لنا من المغادرة مساء الغد..فسوف نرحل بالقطار حتى كالية ثم إلى المرفأ لنستقل الباخرة أوليفيا لنعبر حتى ميناء دوفر الإنجليزى.

ريحان – ولماذا كل هذه المشقة.؟

ألبرت- إنها الاموال يا عزيزى فلم يتبقى لنا أىّ سنت من أموال الرحلة وما تبقى لنا بالكاد نستطيع حجز تذاكر بالدرجة الثانية للعودة نهائيًا إلى أوطاننا.

***

الفصل السادس

(لا تخش الأفواه فسوف نُكَمِّمُهَا وسوف ترى آلاف من الشعب الساذج يبرر لك كل ما تفعله حتى لو قتلت نصفهم..ابحث فقط عن هدف سامي وادعى أنَّكَ تفعله)

بعد اسبوعان بمبنى الرايخستاج الألمانى

هرول الجنرال فيلهلم كايتل قائد وحدة الأبحاث العسكرية فى وزارة الحربية الألمانية على الدرج حتى وصل إلى الطابق الرابع ومنه دلف إلى الممر الأول حتى وصل إلى المكتب الموجود فى أخر الرواق وذلك على حسب الميعاد المُبْرَم بينه وبين جوزيف جوبلز وزير الدعاية السياسية والجنرال فون جلومبرج وزير الدفاع..لم يدخله الظابط مدير المكتب مباشرة بل انتظر أن يعطيا له الإذن ليدخل وذلك لاجتماع فى الداخل بينهما..وبعد انتظاره فى الغرفة الجانبية قرابه الخمسون دقيقة سمح له أخيرًا بالدخول.

جلس الجنرال على يسار جوبلز بإشارة منه والذى كان وقتها يناقش وزير الدفاع فى عدة نقاط كان يدونها الأخير من خلفه..بينما كان قلبه يدق بشدة رعبًا من ذلك الرجل.

ذاك القصير جوبلز صاحب مقولة أعطنى إعلامًا بلا ضمير أعطِك شعبًا بلا وعى..والذى يعتبره الكثيرون الشيطان الأكبر والإنسان الأكثر شرًا فى الحزب النازى..ربما أكثر شرًا حتى من هتلر نفسه..كان شخص قصير ونحيل جدًا أعرج وعانى من العيوب منذ صغره..لكنه استطاع أن يعوّض ذلك بذكاءه ومكره الشديدين..حتى قُدِّرَ له أن يكون أحد أهم أعضاء الحزب النازى..برغم أنه لا يستوفى الشروط التى طلبها هتلر فى العرق الآرى وهى الطول..قوة البنيان..زرقة العين..الشعر الأشقر.

أفاق الجنرال فيلهم كايتل من تأملاته فى وجه ذلك النحيل الذى يراه لأول مرة وبرى وزير دفاعه وهو يرتعد فعليًا أمامه وهو يتكلم بهدوء:

جوبلز- فى المرحلة القادمة لابد أن نتكاتف جميعًا عزيزى الجنرال..سوف نبدأ عدة خطوات على المستوى المحلى..سيتم فى المرحلة المقبلة إلغاء كل

الجرائد التى تعارض سياستنا الداخليه لنبدأ فى تكميم أفواه الصحافة والتخلص من كل الأقلام المعارضة..إننا فى حرب داخلية يا جلومبرج..يجب علينا فقط الإبقاء على بعض الجرائد اللى ستمجد هتلر والحزب النازى ولنصب فى أذان الناس كل يوم جرعة من الحقائق المزيفة والأخبار المغلوطة..إنى لن أدعى ذلك كذبًا..إنى أعمل على مصلحة أعلى..ولا تخش الأفواه فسوف نكممها وسوف ترى الآف من الشعب الساذج يبرر لك كل ما تفعله حتى لو قتلت نصفهم..ابحث فقط عن هدف سامى وادعى أنك تفعله..بشتى الوسائل المسموحة واللا مسموحة..ادعى أن هناك أخطارًا خارجية وداخليه..ضع فى عقول شعبك أنك المنقذ..توحدوا خلف راية زعيمكم الملهم..أريد توحد ألمانيا كلها خلف هتلر..البلاد مليئةبالخونة والعملاء ولابد من تطهيرها..فيجب إسكات كل من يعارض بل واعتقاله فورًا..حتى لو اتهمناه بالعمالة مع الدول الخارجية..فهو فعلًا يريد هدم ألمانيا..وبعد ذلك ستأتى مرحلة الإعلام المرئى والمسموع بما فيها السينما..أتعلم أن هتلر وقع اختياره على بعض الفنانين مثل المخرجة الشابة لينى ريفينشتال لإخراج بعض الأفلام اللى سَتُبَيِّن عراقة وعظمة النازية..وقوّة وشجاعة هتلر..وكيف سيتم بناء ألمانيا العظمى خلفه.

جلومبرج- لكن سيدى لاتنس أن هناك رئيسًا للبلاد حتى هذه اللحظة..وقد لا يوافق على بعض الإجراءات التى...

جوبلز (مقاطعًا)-أنها مسألة أسابيع يا جلومبرج ولا تنس أنى سأختارك فى ذاك المنصب بعد تولى هتلر زعامه ألمانيا إننا لا ننسى حلفائنا للأبد.

جلومبرج- إنى رهن إشارتك دائمًا يا سيدى وأنا أضمن لك ولاء الجيش بالكامل للفوهرر..وكل قوات الفيرماخت..من اين تريدنى أن أبدًا.؟

جوبلز - سنبدأ من المدارس ليتم بث الأفكار بصورة أكثر كثافة وإتقان.. في الصباح سيقف الأطفال ليلقوا التحية إلى قائدهم العظيم هتلر يجب أن يتعلّم التلاميذ كيفية فك وتركيب واستخدام السلاح..يتعلموا الرياضات القتالية..يجب أن يتم تنمية رغبات ودوافع العنف والتعصب بداخلهم..وأهم شيء يا جلومبرج..أهم شيء..هو أن يتم زرع فكرة العرق الآري السامي فيهم بقوة..الأطفال يومًا ما سيكونوا شباب هذه الأمة فيما بعد..

جلومبرج - والخطوة التالية يا سيدى .؟

جوبلز- التسليح..ألمانيا حتى الآن لا تملك قوات مسلحة قوية تحقق طموحات هتلر..لا توجد لدينا أىّ قوات بحريه..سلاح الطيران في أضعف صورة..يجب علينا في أقرب فرصة تكوين جيش كامل قادر على الغزو واستعادة كرامتنا يا جلومبرج..ولذلك علينا بجانب المُضِيّ قُدُمًا فى التسليح الإهتمام بالأبحاث العسكرية ولذلك استدعيت الجنرال كايتل ليخبرنا عن أهم ما وصل إلية من أبحاث..ما لديك ياجنرال كايتل؟

كايتل- سيدى إنه لمن دواعى سرورى....

جوبلز - ادخل فى الموضوع مباشرة ولا داعى لنفاقك..

كايتل - هناك بعض الأبحاث التى أود أن أسرك بها يا سيدى..أولها المدفع الكهربائى الذى تم تصميمه من قِبَل علمائنا كسلاح طويل المدى..وهذا المدفع العملاق قادر على إطلاق ٧٥٠ قذيفة بقطر ٦ بوصات فى الدقيقة على أهداف على مسافة ٩٠ ميل..القذائف الكهرومغناطيسية كانت تنطلق فتسحب الصاروخ وترسله إلى طريقه معها.

بلومبرج - ومازال فى مرحلة التخطيط أيضًا يا سيدى..

كايتل- ثانى مشروع هو الدبابة جوستاف يا سيدى وستكون أكبر دبابة فى تاريخ البشرية..وبالنسبة للمواصفات الخارقة لتلك الدبابة فإن وزن الدبابة الواحدة يصل لـ 1350طنا وطول الدبابة الواحدة يصل إلى 47 مترا وبارتفاع يقارب الـ 12 مترًا وأما عن فاعليتها فسوف تكون قادرة على إطلاق ذخيرة قادرة على اختراق 7 أمتار من الخرسانة المسلحة أو متر كامل من الفولاذ المضاد للمدفعية وسيتم تصنيع ذخيرة خاصة لتلك الدبابة.

جوبلز- ونحن فى أىّ مرحلة الآن.؟

بلومبرج- نحن فى مرحلة التصنيع فعليًا يا سيدى.

جوبلز – التصنيع..!! عظيم..وماذا أيضًا يا كايتل؟

كايتل- الكثير يا سيدى ولكن أهمهم أننا سائرون على درب خلق الإنسان الألمانى الكامل..فنحن عن طريق علمائنا سوف نفاجئ العالم ونفاجئ الفوهرر بذلك.

بلومبرج(ملتفتًا إلى كايتل) - أهناك جديد فى موضوع ذلك العالم البريطانى يا كايتل.؟

كايتل- نعم يا سيدى فهناك العديد من الخطوات التى أخذناها جديًا فى هذا الشأن..وفى أقرب فرصة سوف ينضم أحد أهم عملائنا فى المنطقة إلى تلك البعثة الإنجليزية إن لم يكن انضم بالفعل..وهناك شيئًا أخر فقد وصل إلينا عن طريق عملائنا العديد من الوثائق الهامة والتى كانت محفوظة فى الفاتيكان ويجب عرضها على الفوهرر شخصيًا..والتى ستبين دور يهود الخزر فى المنطقة يا سيدى.

انتفض جوبلز عندما سمع تلك الكلمة ونظر إلى كايتل بعيون نارية قائلًا:

- كايتل..فلتنس كل ما لديك وتخبرنى بكل ما تعرفه عن تلك الكلمة.

تلعثم كايتل وهو يخرج الكلام من فمه ببطء:

- كل ما وصل لدىَّ هو تلك الوثائق والتى توضح دور يهود الخزر فى الماضى ومعتقداتهم الحالية.. وتخطيطاتهم بخصوص المستقبل.. فلتعط لى مهلة يا سيدى لدراسة كل ما يستجد من عميلنا بالبعثة وسوف أُطلِعُكَ شخصيًا على كل جديد.

جوبلز - أىّ بعثه يا بلومبرج.؟

بلومبرج- جنرال كايتل..فلتبدأ الموضوع من بدايته ولتخبر الهر جوبلز بكل ما لدينا..

تنفس كايتل بهدوء لأول مرة وهو يمد يده ليتجرع كوب من الماء بيد مرتعشة حتى يحاول أن يجمع شتات نفسه وهو يبدأ فى الحديث:

- بدأت القصة يا سيدى عندما بدأ أحد العلماء الإنجليز بالبحث عن أصول الإنسان الأول..

*****

أما فى الشهر التالى فلم يكن للرجال الثلاث أىّ عمل يقومون به بعد أن نفذت كل الأموال التى كانت معهم..ألبرت حاول أن يقترض من أصدقائه فى الكنيسة وعندما فشل فى الحصول إلا على بضع مئات من الباوندات يأس وعاد مرة أخرى إلى تلك الأسقفية فى كانتربرى ليمارس درسه الدينى أيام الآحاد..

ودان بعد أن أنفق كل مدخراته في تلك الرحلة لم يتبق لدية إلا الضئيل جدًا فعاد مرة أخرى إلى الجامعة ليكمل عامه الدراسى بعد أن علم بنية الجامعة بفصله لتغيبه الدائم والمستمر.

أما نور نفسه فكان أتعسهم حظًا فلم يكن لدية ما يكفى لحجز تذكرة طيرانه إلى بلاده مرة أخرى ولم يجد ما يسد به رمقه حتى قبل أخيرًا بوظيفة حارس أمن ليلى في أحد المتاجر حتى يدخر نفقات سفره رافضًا أىّ مبالغ منهم لتيسير سفره وهذا ما أخبرهم به قبل أن يختفى شهرًا كاملًا.

و في صباح تلك الأيام الممطره في لندن عندما دلف دان إلى مكتبه تفاجئ بوجود روزاليندا في انتظاره..حاول بقدر الإمكان إسكات قلبه الذى بدأ يخفق بعنف بمجرد رؤيتها حرصًا على ما تبقى من كرامته المفقودة لكن تلك الكرامة هوت إلى الأرض بمجرد أن صافحها قائلًا بلهفة:

- عزيزتى روزى كم اشتقت إليكِ..أى رياحٍ طيبه ألقت بكِ إلى مكتبى المتواضع قاطعة كل تلك المسافة؟
- (مقاطعة) بل أين أنت يا دان.؟لقد اتصلت بك مِرَارًا ولا يعلم أحد أين كنت..كان يجب عليك إخبارنا بما حدث فور عودتك ولا تجعلنا نشعر بالقلق لهذه الدرجة.
- لا أصدق أذنى.؟ أحقًا شعرتِ بالقلق علىّ.؟
- دان لا تغير الموضوع من فضلك أخبرنى بكل ما رأيته وعلمته.
- الآن.؟أنا في طريقى لإلقاء أحد المحاضرات ما رأيك لو تناولنا العشاء سأخبرك بكل ما صادفناه في رحلة الفشل تلك بمجرد سفرنا للفاتيكان.
- فشل..!!
- نعم لا تتعجلى سأخبرك بكل شىءٍ في المساء.. أين تقيمين يا روزى.؟
- غليندبل هايد بارك.

- حسنًا سأوافيكِ هناك تمام السابعة مساء.
- حسنًا لا تتأخر لأنى سأضطر إلى السفر فى الصباح الباكر.
- لا أعتقد ياروزى أنكِ قطعتِ فعلًا تلك المسافه لرؤيتى فقط والإطمئنان على..يبدو أن ورائك شيئًا ما.
- لا تتعجل أنت يا دان..ستعلم كل شىء فى حينه.

****

وفى تمام الثامنه كان دان يتناول عشائه مع روزاليندا..ويقص عليها كل ما حدث لهم..وهى فى أشد حالات الذهول عن كل ما صادفوه.

- ولكنى أعتقد يا دان أن سفركم مرة أخرى بهذه العشوائية لن تصلوا بها إلى أىَ شىء.
- أنا معكِ بل وأقول ما الفائدة التى ستعود علينا فى حاله حتى إيجاد تلك القبائل.؟هل سنستطيع مثلًا إحضارأحدهم إلى عالمنا الحاضر..إنها مجرد ترهات يا روزى.
- إنى اتكلم عن الطريق نفسه المفترض أن تسلكوه.
- لقد أطلعنا البروفيسور جبارى على تلك الرحلة التى قام بها أحد مبعوثى خليفة من خلفاء المسلمين بحثًا عن ارض السد..ولكنه عاد بِخُفَّى حُنَيْن..وألبرت مُصِرّ على السفر إلى التبت الصينية ويرى أن حل اللغز يكمن هناك تبعًا لتلك النبوءة التى أخبرنا بها بوتشلينى .
- بمناسبة بوتشلينى ألم يصلكم أىَ اخبار عن من قام بقتله أو سرقة المفتاح المقدس؟
- لم يحدث ولم يبلغنا أىَ اخبار..ما الوضع يا روزى.؟ أعتقد أن لديكِ شيئًا ما تودين أن تخبرينى به ولكن ليس لديكِ الجرأة.

- لا شيء مما في خيالك..أنا فقط أمر بالعديد من الإخفاقات في تلك الأبحاث التي أقوم بها..دان اعذرني فعليّ أن أرحل الآن فأنا متعبة.
- ولكننا لم نتكلم في أيّ موضوع سوى تلك الرحلة الحمقاء..و..
- في المرة القادمة سوف أجلس معك لتخبرني بكل ما تريد أن تقوله..وسأحاول أن أنصت إليك..ولكني أتمنى ألا يكون قلبك كالعادة.

وقامت من كرسيها وامتدت يدها لتاخد حقيبتها و هي تشير لدان مُوَدِّعَةً دون حتى أن تنتظر ما كان يحاول أن يتلعثم به.

وجم دان من حديثها ولكنه استرد أنفاسه..بحث بأيدي مرتعشة عن سجائره..تذكر أنه توقف عن تناولها منذ فترة..ضاقت أنفاسه مرة أخرى ..وأشار إلى النادل..

و انصرف..

****

في صباح اليوم التالي كان دان في أشد حالات الضيق من مقابلته مع روزاليندا بالأمس وبمجرد وصوله إلى الجامعة وجد أن البروفيسور ديفيد جونسون رئيس الجامعة يستدعيه لأمرٍ هام..وما أن دلف إلى مكتبه حتى استقبله بترحابٍ مُبَالَغ فيه وهو الرجل الذي كاد أن يطردهم من مكتبه منذ عدة أسابيع..اندهش دان من هذا التصرف لكنه رحب به هو الآخر على حذر حتى أخبره ديفيد عن السبب:

- لن تصدق يا بروفيسور دان لقد حصلت لك أخيرًا على داعم.
- داعم.؟ لست أفهم يا بروفيسور جونسون.
- يا عزيزي الم تكن أنت هنا والبروفيسور ألبرت في طلب دعم مادي من الجامعة للإنفاق على الرحلة البحثية التي كنتم ستقومون بها.؟

- (قفز دان من على كرسية صائحًا بفرح) ماذا تقول..؟ داعم.؟ كيف ذلك يا سيدى.؟ كيف تمكنت من ذلك .؟
- الأمر بسيط جدًا كل عدة سنوات يأتى إلي الجامعة العديد من الأغنياء طالبين تقديم معونات نقدية للطلبة ومعونات للأبحاث العلمية التى تقوم بها الجامعة..ومنذ عدة أيام وصل إلى مكتبى مدير أعمال أحدهم وعند مقابلتى له أخبرته بفائدة بحثكم وأخبرته بكل ما أخبرتمونى به..فطلب منى أن أمهله عدة ايام وبالأمس فقط اتصل بى السير تشارلز شاؤل وطلب منى أن يقوم بدعم بعثتكم بتمويل كامل.
- سير.؟ما تلك الأقدار..سير ويقوم بتمويل بعثتنا بالكامل..مهلًا هل اسمه تشارلز شاؤل.؟
- هل تعلمه شخصيًا أم ماذا.؟
- لا يا سيدى ولكن هل هو يهودى.؟
- لا أدرى بالطبع..ولكن هو سير وهذا اللقب لا يُعطَى بسهولة.. وبالفرض أنه يهودى ألديك مشاكل فى التعامل معه يا دان.؟أعتقد أن مسألة الأديان تلك أنت أخر شخص قد يتكلم عنها.
- ليس ذلك يا سيدى ولكن هناك أحد أعضاء البعثة مسلم ويبدو أننا قطعنا شوطًا طويلًا وعلمنا منه أن هناك أيادى قذرة لليهود فى ....
- دان.. ليس لى شأن بأموركم الداخلية.. وانتظر حتى أُكمِلَ حديثى.. الرجل طلب منى شرطان حتى يقوم بصرف كل ما ستتكلفونه..أول تلك الشروط مقابلته لكم جميعًا يوم الأربعاء القادم تمام الساعة العاشرة صباحًا فى قصره فى غرب لندن.
- والأخر.؟
- لا أعلمه..قال لى ستعلمونه فى حينه كل ما يريده هو السرية فقط وألا تخبر أىّ شخص خارج فريق بحثك بسفرك أو تنقلكم خارج بريطانيا..

- إنى فى منتهى السعادة يا سيدى ولا أدرى كيف أعبر لك عن شكرى.
- ليس هناك أىّ داعى لذلك فكل ذلك سوف يُنْسَبُ فى وقتٍ ما إليكم وإلى الجامعة..ومن الآن أنت فى إجازة مفتوحة بكامل الأجر حتى تنتهى تمامًا من تلك المهمة كما تبغون.
- أعدك يا سيدى سوف أكون عند حسن ظنك دائمًا.

وخرج سريعًا من مكتب رئيس الجامعة وهو يندهش من تغير حاله شخصيًا وحال رئيس الجامعة وهو يسأل نفسه عن سبب تحقق تلك الدعوة..تلك الدعوة التى دعاها فى نفسه أثناء وقوفه فى ساحة القديس بطرس أمام تمثال مريم المقدسة أتكون قد تحققت.. تلك كانت أولاهم وإذا تحققت أيكون هناك فعلا...؟

****

فى اليوم التالى كان الرجال الثلاثة مجتمعين فى حديقه الهايد بارك بعد أن أخبرهم دان تليفونيًا بمقابلة الأمس مع رئيس الجامعة..وعلى الرغم من دهشتهم الشديدة من تلك الطريقه التى هبط بها عليهم هذا الممول من السماء..إلا أنه كالعادة وكما توقع دان كان أشدهم عِنْدًا هو نور فرفض فى بداية الأمر أىّ تعاون معهم..ولكن دان لَمّحَ له أنه ليس له أىّ فائدة فى تلك الرحلة وعليه أن يرحل إن كان يريد ذلك..أما هو وألبرت سينهون ما بدأوه..حتى وإن كانوا يسعون وراء سراب..يكفى فقط أنه يخوض تجربة أخيرة لإثبات نفسه فى شيءٍ ما..لا أحد يدرى تحديدًا ما الذى كان يدور بخاطر دان بعد أن أصبح تَوّاقًا إلى إنهاء تلك المهمة والتى بدأت منذ فترة..ولكنه بعد مقابلته لروز أول أمس شعر أنه لا يقوم بأى عمل ذو أهمية بحياته وحتى حبه لها فشل فى تحقيقه ولذلك كان مُصِرًا على إتمام

الموضوع مع ألبرت بعد انصراف نور غاضبًا من طريقة حديث دان معه..لكنه أخبرهم أنه سيكون فى الموعد تمام العاشرة بعد غد فى موعدهم المنتظر.

*****

وبالفعل لم تمض ثمانٍ وأربعون ساعة حتى كان الجميع يجلسون فى حديقة القصر فى الموعد المحدد..استقبلهم أحد الخدم الذى أرشدهم إلى مكان فسيح بجوار ملعب قديم للتنس..وفوجئوا بوجود شخص فى أواخر الأربعينات من العمر يرتدى ملابس كلاسيكية وكأنه فى انتظارهم وبيديه دفتر بسيط يدون به بعض الملاحظات.

استنتج الجميع أن الرجل ربما كان أحد المساعدين للسير تشارلز وخاصة عندما استقبلهم بترحاب هو الأخر..على الرغم من أن الكل قد انقبضت قلوبهم بمجرد رؤيته..وخاصة نور الذى كان ينظر إليه فى حيرة شديدة..امتدت يديه مشيرًا لهم بالجلوس مُتَعَلِّلًا بأن السير تشارلز لديه مكالمة هامة وهو فى طريقه لنا الآن.

وبالفعل لم تمض عشر دقائق حتى وصل إليهم شخص عجوز قصير القامه أصلع الرأس..أجدع الأنف مما تشير هيئته بديانته على الفور.. وبالفعل قفز الشخص الغامض إليه مادا له يده بترحابٍ مُبالغ فيه ليستند على عضده حتى أجلسه على أحد الكراسى الواسعة..وأشار لهم السير بالجلوس وتحدث بعد أن حَيَّاهُم مباشرة فى الموضوع:

- لقد تحدثت مع البروفيسور ديفيد رئيس جامعتكم وأخبرنى بأهمية البحث الذى تقومون به فى.... فى..

أردف الرجل الغامض مباشرة :

- في أصول الإنسان الأول ياسير تشارلز..وعلاقة الجوج بالإنسان الحديث وكيفية تناقل العوامل الوراثية لنقل إنسان مُقَاوِم للأمراض.

نور(بامشئزاز)- كان ينقص البروفيسور ديفيد أن يقص عليك الأمر برُمَّتِه..يبدو أنه صديقك الخاص يا سير شارلز .

- لا..إننى لا أعلمه على المستوى الشخصى كل ما هنالك أن هناك بعض الأصدقاء المقربين لى يعلموا أنى سنويًا أتبرع بجزء من أرباحى إلى الجهات الخيرية وبخاصة دعم بعض المنح الدراسية فى جامعة اكسفورد..وقد اقترحوا اسم بروفيسور دان تحديدًا وبالتالى تحدثت مع عميدكم على الهاتف فأخبرنى ببعض المعلومات البسيطة وعند محادثتى لهولاء الأصدقاء أخبرونى الموضوع باكمله.

دان- أصدقاء!!من هؤلاء الذى يقترحون دعم رحلتى كاملًا يا سير تشارلز؟

تشارلز- ليس من اتفاقنا أن أبوح لك بكل الأسرار يا مستر..

دان- دان يا سيدى..ولكن هل اشتهرت إلى هذه الدرجة حتى يكون..

تشارلز(مُقَاطِعًا)- لا تتحدث كثيرًا فأنا لدى العديد من الإرتباطات وإن كان الشرط الأول لتمويلى بعثتكم قد تحقق فإليكم الشرط الأخر.

- ألبرت- تفضل يا مستر تشارلز ونرجو أن نستطيع تحقيقه.
- تشارلز- لا تقلق هو فى أيديكم..يا سادة إن شرط تمويل بعثتكم الوحيد هو إلحاق المستر بن أوليفر إلى بعثتكم.(واشار إلى الرجل الغامض)
- نور - ماذا.؟

- ألبرت - هل مستر أوليفر عالم يا سيدى.؟ نحن لا نرفض بالطبع ولكن قد يكون هناك بعض الصعوبات والتى..
- تشارلز- هو ليس بعالم ولكنه صحفى من أحد الجرائد التابعة لى ويهمنى شخصيًا أن يتم كتابة كل خطوة فى بعثتكم حتى وإن كانت ليست ذات أهمية..لأنه سوف يتم طرح هذه المغامرة فى الجريدة والحديث عن هذا الإكتشاف لتحقيق سبق صحفى هام جدًا سيستمر الجميع فى الحديث عنه فتره كبيرة من الزمان.

تحدث بن أوليفر بهدوء- لن أسبب لكم أىّ مشاكل يا سادة إننا فقط نود أن نطمئن أن السير تشارلز سوف يتقاضى أضعاف ما سيتم إنفاقه على بعثتكم..إنه أمر تجارى بحت..ولكن انظروا للفائدة أنتم ستحصلون على رحلتكم ونحن نحصل على مغامرة إلى أرض جوج.

دان- وماذا إن لم نصل إليهم.؟

بن- دعنا من هذا الحديث الآن فكل شىء سيكون فى أيدينا وسوف نجعل القارئ يتشوق إلى أحداث رحلتكم المقبلة.

نور- وما المطلوب منا حاليًا؟

بن – لا يوجد أىّ مطالب كل ما هناك أنكم ستجعلونى أطّلِع على كل المعلومات والبيانات والتفاصيل المُمِلّة التى قمتم بها خلال الشهر السابق..أدق التفصيلات قد تجعل القارئ يُقْبِلُ على القصة ذاتها.

دان – أأنت صحفى أم روائى أم قَاصٌ يا مستر بن؟

بن (مبتسمًا ابتسامة لم تَرُق لهم على الإطلاق)- أنا جندى سابق يا سيدى وصحفى ومُحَرِّر بجريدة السير تشارلز حاليًا وأكتب رواية عن قوم جوج وأتمنى أن تمد يدنا بالمساعدة لكى يكتب لنا النجاح جميعًا.

ألبرت- بإذن الرب سوف...

تشارلز(هَبَّ واقفًا مما دَعَى بن لمد يد المساعدة اليه)- حسنًا يا سادة أعتبر تلك هى موافقتكم وأنا الآن لدى ارتباطات هامة سأترك لكم المستر أوليفر لترتيب كل خطواتكم.

وابتعد السير تشارلز شاؤل تاركًا الجميع وهم فى دهشة من ذلك الأسلوب الفَظّ فى معاملتهم.

بن – والآن يا سادة هل لكم أن تخبرونى عن كل ما صادفتموه منذ رحيلكم عن الديار الشهر الماضى.؟(وبدأ فى مسك قلمه انتظارًا منهم أن يبدأ أحدهم بالحديث)

نور- قبل ذلك لى سؤال شخصى.

بن – تفضل يا سيدى.

نور- هل أنت يهودى.؟

بن- يهودى.؟ لا يا سيدى أنا مسيحى كاثوليكى ولكنى أعمل عند السير تشارلز وهو رب نعمتى..ومعنى أنى أقوم بمساعدته وخدمته أحيانًا لأنى أعتبره فى مقام والدى فهو صديق قديم له ولا زال يذكر عرفانه.

نور- إذن هل والدك يهودى؟

بن - ما فائدة تلك الأسئلة يا مستر؟

ألبرت - لا أبدًايا مستر بن السيد نور مسلم وأنت تعلم أن هناك حساسية بين المسلمين واليهود منذ وعد بلفور منذ خمس عشر عامًا..

نور- بل منذ آلاف السنوات يا سيدى القس..لاأدرى كيف تستقى معلوماتك..سؤال أخير يا مستر أوليفر..أواثق أنت أننا لم نلتقِ قبل ذلك فى مكانٍ ما.؟

بن- لا أعتقد ذلك..فأنا لا انسى الوجوه أبدًا..ولكن قد أتشابه مع غيرى.

نور- الآن اعذرانى عن تلك المقابلة سوف أنتظركم فى الفندق بعد تلك النزهة لتخبرانى متى وأين يمكننا أن نرحل.

وودع الجميع وبينما كان ألبرت قد بدأ يقص على بن ما مر به كان الأخير يودع نور بنظره لمحها دان ولم ترق له على الإطلاق..وقتها خاف أن يشعر بالندم فى وقتٍ ما لإشراك بن فى تلك البعثة..بينما طافت فى ذهنه عشرات التساؤلات..عمن يكون قد أخبره بكل تفاصيل الرحلة البحثية وغرضها وما كان يقوم به ألبرت.؟ أتكون تلك لعبة أخرى من الحكومة الألمانية.؟وإن كانت منهم فكيف يكون السير يهودى وهم يتعاملون مع الشيطان نفسه دون اليهود.؟ وتشارلز شاؤل هل يكون يهودى أيضًا أم تلك خدعة هى الأخرى.؟وبالفرض لم تكن للمخابرات الألمانية أيادٍ فى الموضوع فهل بعد كل هذا الجهد سَيُنْسَب النجاح إلى جريدة يهودية وشخص يهودى..وهذا الصحفى البغيض الذى لم يَرُقْ له أبدًا ويشعر أنه يُخْفِى آلاف الأسرار وراء تلك النظارة السميكة التى يرتديها..

*****

ومساء اليوم كان نور ودان مجتمعان فى أحد المقاهى فى وسط لندن يناقشان ما حدث فى الأيام الأخيرة دون ألبرت الذى كان يعانى من أحد نزلات البرد الحادة.

- لست أدرى يا دان يبدو وكانى رايته فى مكانٍ ما لكنى لا أتذكره..إن خوفى ألَّا يكون انجليزيًا من الأصل..رغم لكنته الواضحة وبروده الإنجليزى المعروف المُتَوَارَث فى أناس تلك البلاد..اووه اعذرنى يا دان.
- لا عليك أنا الأخر لست مُتَقَبِلَهُ بتاتًا..وأشعر بِغُصَّةٍ فى حلقى كلما تحدثت معه..ولكن الرجل لم ينطق ببنت شفة قد تكشفه وحديثه معنا كان يتعلق بالصحافة..فقد أخبرنا عن تاريخه واعتزاله الجيش من بعد ويلات الحرب حيث كان فى الشمال وقابل العديد من قوات الألمانية وعانى مثل غيره الكثير من ويلات الحرب.
- بمناسبة ألمانيا هل علمت ما يحدث الآن هناك.؟
- لا يا نور لست متابعًا الأحداث هناك ..
- كما أخبرتكم لقد استخدم هتلر كتيبة العاصفة شبه العسكرية فى دفع الرئيس هيندينبرج نحو تقديم استقالته.
- ومن الحاكم إذن .؟
- نائبه لحين إجراء انتخابات ولكن هتلر سيستمر فى مخططه نحو عزل نائبه سياسيًا.
- بمناسبة الألمان..ألم ترى أيًا من الرجلين الذين حاولا القبض عليك؟
- لا والحمد لله..ولكنى إلى الآن لا أعرف من هم..ولكنى لم يعد لدى شعور بأنى مُرَاقَب..أخبرنى متى سنرحل إذن..فلا يجب أن ننتظر طويلًا.
- فى مطلع الأسبوع القادم لحين ترتيب أماكن الرحلة والإتصال لتجهيز دليل سياحى صينى معنا..وسنطلع مرة أخرى على تلك الخرائط القديمة التى حصلنا عليها من جبارى..

- تذكر أنه يجب علينا زياره مُقاطَعَة نيغشيا حيث كان مكان معسكرنا البحثى..مع البحث فى الكهوف بالمنطقة حيث عثر ادوارد على المخلوق.
- عظيم جدًا لقد كدت أن أنسى ذلك..

*****

فى صباح اليوم التالى داخل بهو الإجتماعات فى وزاره الداخلية الألمانية

وقف جوبلز بقامته القصيرة داخل المقر الصحفى للوزارة لإلقاء بعض التصريحات الهامة والتى اجتمع فيها مع العديد من الصحفيين وأبرز اعضاء الحزب النازى والكثير من رجال الجيش والشرطة..كان الجميع يصفقون لكلماته الرنانة والتى دامت قرابة العشرون دقيقة وفى النهاية بدأ العرق يسيل على جبهته وهو ينهى خطبته قائلًا:

- رفاق الحزب..الحكومة الجيدة لا يمكن أن تستمر بدون دعاية جيدة والدعاية الجيدة لا يمكن أن تكون دون حكومة جيدة..كل منا يحتاج دعمًا من الأخر..حتى لو الصحف اليومية اليهودية ما زالوا يعتقدون أنهم يمكنهم تخويف الحركة الوطنية مع تلك التهديدات المستترة..حتى لو يعتقدون أن لديهم إذن للتحايل على مرسوم الطوارئ لدينا..

(وبدأ فى رفع نبرة صوته مما أثار الجميع وبدأوا فى التصفيق الحاد) وأردف صارخًا بتلك النبرة:

- إن ظَنّت الصحف اليهودية أنها تُخِيفُنَا بتلك التهديدات الخفية فمن الأفضل أن يحترسوا..إذ أن لصبرنا حدود..وذات يوم ستغلق تلك الأفواه اليهودية الكاذبة والقذرة..يا أعضاء الحزب لا تقلقوا فنهاية الرعب الأحمر أقرب ما تتصورون..أيها الشيوعيون توقعوا أن تلقوا أسوأ هزيمة أُلحِقَت بكم يومًا ما.

وظل قُرَابَة العشر دقائق فى صراخه حتى أنهى خطبته أخيرًا وسط هتاف العشرات بالنشيد الوطنى ألمانيا فوق كل شىء..فوق كل شىء فى العالم.

كانت الوزارة كلها فى ذلك الصباح يملأها التوتر وذلك لزيارة جوبلز غير المتوقعه للإجتماع مع الهر فيلهم فيريك وزير الداخلية والجنرال ارنست روم قائد قوات العاصفة المُوَالِيَة لهتلر والعديد من القيادات الأمنية وأبرز أعضاء الحزب النازى..وذلك بعد إلقائه للخطاب وفقًا لما تم التخطيط له داخل أروقة الحزب النازى من ضرورة الوقوف وراء هتلر وتصعيده لمنصب رئيس الجمهورية الألمانية..وعلى ذلك كان الإجتماع داخل مكتب وزير الداخلية متوترًا فكان جوبلز يتحدث قرابة الخمس عشر دقيقة وفيريك يسجل ما يقوله على ورق أمامه.

جوبلز- وعلينا فى الفترة القادمة تكريس العمل أكثر داخل أروقة الحزب. سوف نتقدم للرايخستاج(البرلمان الالمانى) بمشروع قانون التمكين..والذى سيعطى لرئيس الوزراء هتلر السلطة الكاملة فى إدارة البلاد وإصدار قرارات بدون الرجوع للرايخستاج لمدة أربع سنوات قادمة..مهما كانت خطورتها وذلك خوفًا على مصلحة البلاد..

فريك- ولكن ذلك سيكون مُخَالِفًا للدستور يا هر جوبلز وقد نجد مشقة فى موافقة البرلمان وحصد الأصوات على ذلك..

جوبلز - يا عزيزى فيريك أود تذكرتك أن الحزب النازى لم يحصل على الأصوات المتوقعة فى الإنتخابات الأخيرة والتى دعونا إليها بعد حريق الرايختساج.

فيريك - وكيف ستحصل على أصوات بالموافقة من بقية الأحزاب يا سيدى وخاصة الوسط.؟

جوبلز - لنا طرقنا يا فبريك لا تقلق..وبعد ذلك سوف نقوم بعدة إجراءات يجب أولًا أن تعى ذلك يا جنرال ارنست روم بصفتك قائد قوات كتيبة العاصفة فسوف يكون لكم دورًا فى التصعيد سوف أخبرك به لاحقًا.

كان الجنرال العملاق مُحَمْلِقًا فى السقف غير عابئ بحديث جوبلز وعندما سمع اسمه نظر لجوبلز بكل احتقار قائلًا :

- كلنا فداء ألمانيا يا جوبلز وأنت تعلم مدى ولائنا..ولا داعى لعرض كل ما نقوم به على هتلر ففى النهاية ينصب العمل لدولتنا العظيمة.

قاوم جوبلز غضبًا هائلًا وحاول أن يتمالك نفسه من الرد على الجنرال المُتكَابِر المِثْلِى ولكنه تغاضى عن حديثه تنفيذًا لأوامر هتلر لاحتياجهم الشديد له فى المرحلة المقبله ونظر ناحية وزير الداخلية قائلًا :

- أما الأهم حاليًا فسوف ألقى بعبء تنفيذ بعض التعليمات عليك يا فيريك وعلى قائد قوات الجيش .

فيريك- ما طبيعة تلك الأوامر يا سيدى.؟

جوبلز-يا سادة فى خلال عدة شهور قادمة سوف نعلن بداية عصر جديد..سوف نصدر العديد من القوانين ضد الأنجاس اليهود..وستكون هى المرجع الرئيسى فى ترحيلهم أو اعتقالهم وتعذيبهم وإعدامهم فى الكثير من الأحيان.

ارنست روم- لا أنت على خطأ..أنت تعلم ياجوبلز مدى كراهيتنا لليهود ولكن ألم يكن من الأجدر الإهتمام بتسليح الجيش وتكوين الأسطول البحرى ثم نقضى على تلك الفئة الضالة فيما بعد.

جوبلز- بل أنت الذى لا تعلم ذلك الدور القذر الذى يقومون به منذ آلاف السنين ودورهم الخسيس فى الحرب الفائتة..ودورهم فى كل نكبة تحل

بالعالم..لقد أخبرنى الزعيم شخصيًا بأنه تَحَصَّلَ على أوراق هامه تدل على دنائة هؤلاء القوم..وتدل على خستهم وأثارنى بالعديد من المواقف التى حدثت فى العالم وكان اليهود ورائها وخاصة تلك الفئه والتى تنتمى إلى يهود الخزر..وقيام حركتهم الماسونية التى تهدف إلى القضاء على كل ما يخالفهم والتحكم فى العالم بعد عشرات السنين..وإظهار أنهم شعب الله المختار فى أرضه..فبعد قرائته تلك الوثائق وتأكده من كل حرف جاء فيها كان علينا أن نُخَلِّصَ ألمانيا منهم أولًا..القضاء عليهم كفئرانٍ وإن استطعنا أن نعدمهم من على وجه الكرة الأرضية لفعلناها يا ارنست..وغير كل ذلك أنسيت دورهم القذر فى الحرب الماضية..لذلك قبل كل شىء علينا القضاء على تلك الحشرات إلى تنخر فى عظام ألمانيا حتى نستطيع العلاج من الصفر.

ارنست- لا زلت مُصِرًا أنك وهتلر على خطأ.

جوبلز - أهم القوانين التى سَيُقِرُّهَا الزعيم بمجرد تولى زعامة ألمانيا هو قانون الجنسية وَسَتُلْغِى حق المواطنة من اليهود وإسقاط جنسياتهم الألمانية..وكذلك قانون حماية الدم والشرف الألمانى الذى سَيُلْغِى أىَ علاقة بين اليهود وغيرهم من الألمان..بمنع الزواج وحتى العلاقات الجنسية بين اليهود..ومنع عمل الخادمات اليهوديات فى منازل الألمان والعكس..

فرانز هيرمان (عضو الحزب النازى)- وما الهدف من تلك القوانين يا سيدى.؟

جوبلز -الهدف من القوانين هى إقامة خلفية تشريعية وسياسية لكره اليهود واضطهادهم والفصل التام اجتماعيًا وقانونيًا بين اليهود وباقى الشعب الألمانى..

فرانز- هناك ما هو أهم من ذلك..يجب التحديد فى تلك القوانين من هو اليهودى كفرد وليس كَمُسَمًى..

جوبلز- عظيم يا فرانز ها قد بدأت تؤتى ثمار أفكارك..نعم فلنقل مثلًا أن اليهودى هو أىّ شخص يكون الجد الثالث أو الرابع من أصله يهودى فهو يهودى أيضًا..حتى لو كان هذا الشخص لم يمارس العقائد اليهودية منذ سنين أو حتى لو كان هذا الشخص قد تحوّل للمسيحية أو أىّ ديانة أخرى.

فيريك - سوف تعمل القيادة الألمانية يا سيدى كل جَهْدِهَا للتخلص من اليهود بكل الطرق الممكنة سواء بترحيلهم إلى الخارج وطردهم أو بإنشاء العديد من المعتقلات لإلقائهم فيها.

جوبلز - ما فى رأسى هو أسوأ من ذاك ولكن فى وقته يا فيريك عندما أعطى لك الإشارة..سنبدأ فقط من الآن فى مصادرة أموالهم وتحويلها لفقراء الشعب الألمانى وحرمان هؤلاء الهمج من كافة الحقوق السياسية والاجتماعية.

****

الفصل السابع

(كل منا لدية نقطة ضعف..لكن شروخنا وضعفنا معًا هى من تصنع حياتنا بطريقة عجيبة ومثيرة ..يجب علينا جميعًا أن نتقبل بعضنا البعض على ما نحن به وننظر لما هو حسن لدينا)

بعد الإجتماع فى قصر السير تشارلز شاوْل بإسبوعان كان الأربعة رجال فى طريقهم من بكين إلى أحد القلاع الموجودة فى سور الصين العظيم بعد أن وصلوا أول أمس بعد رحلة طيران مُضْنِيَة توقفوا فيها فى ثلاث بلدان مما جعلهم يستقرون فى أسِرَّتِهم لم يفارقوها إلا بعد عشرون ساعة كاملة..كان أقامة ألبرت وبن أوليفر فى غرفة ضيقة بينما احتل دان ونور الغرفة المقابلة لهم فى أحد فنادق بكين الرخيصة الأمر الذى اثار استياء نور لكون منفق الرحلة يهودى..وبذلك سيكونوا فى أسوأ وأرخص الأماكن ولكن ألبرت أقنعه بأن ذاك هو المُتَاح وإلا لظلوا فى بريطانيا يندبون حظهم للآن.

كانت الرحلة تستغرق قرابة الساعتين فى طريق الصعود ناحية تلك القلعة للإتجاه سيرًا إلى سور الصين العظيم..ليأخذهم مرشدهم السياحى إلى أحد زعماء المقاطعة للحديث حول السد لأن لديهم من الأسئلة ما عَجَزَ هو عن إجابته..وطوال الطريق كان ألبرت يقرأ فى الإنجيل كالمعتاد..بينما استغرق بن أوليفر فى كتابة بعض الملاحظات لرحلتهم وتدوينها..أما دان فكان يتطلع إلى الخرائط التى معهم..ونور يتطلع من بعيد إلى ذلك السور الذى يعتبر من أعظم ما صنع الإنسان..نظر بن أوليفر تجاه نور وحاول أن يتودد إلية قائلًا:

- هل تعلم أنك تنظر إلى اعظم ما صنع الإنسان على وجه الأرض؟ إننا بعد دقائق سنقف أمام أعظم بناء فى العصر القديم هذا السور اشترك فى تشييده مليون ونصف المليون جندى ومدنى..وليس هناك مواد بعينها تم تشييد السور منها..ففى المناطق الصحراوية مثلًا تم تشييد السور من مواد مكونة من الصفصاف نظرًا لقلة الصخور والطوب الأصفر..أما فى مناطق هضبة التراب فبُنِىَ بالتراب المدكوك أو الطوب غير المحروق لكنه لا يقل متانة عن السور غربى الصين وتوجد

قنوات لتصريف المياه والأمطار بشكل تلقائى على قمته..والتى تتيح للزائر رؤية أجمل المناظر الطبيعية معطية فرصة للتأمل والصفاء الذهنى..لقد كنت هنا منذ سنوات ووقفت مشدوهًا أمام تلك العظمة.

- أُدرِكُ بعضًا من ذلك ولكنى لم أتوقع أنه بهذا الطول..
- من بكين يمكنك أن تراه..ولكن رحلتنا إلى تلك المقاطعة والاستراحة التى هناك سوف تجعلنا نصعد فوقه..أتعلم هناك مَثَل فى الصين يقول أنت لست رجلًا حقيقيًا إذا لم تذهب إلى السور العظيم وهذا السور يمر بتضاريس جغرافية مختلفة ومعقدة حيث يعبر الجبال ويخترق الصحراء ويجتاز المروج ويقطع الأنهار..وللسور نفسه قصة تحكى ذكاء الصينيين القدماء وعظمتهم فهو أطول بناء فى التاريخ على الإطلاق شُيِّد كله يدويًا..تخيل!!
- إن الجبال وتلك الوديان التى تغطيها الخضرة والتى تمتد إلى مالا نهاية تثير فى النفس الكثير من الهدوء الذى طالما نقصنا فى الفترة الماضية.

دان (بعد أن تدخل فى الحوار) - تلك هى الصين..إنها أكثر البلاد روحانية فى العالم..أنت لم تر شيئًا مقارنه بالتبت الصينية والتى فى جدول نهاية رحلتنا..هناك سترى السلام النفسى الحقيقى.

ابتسم لهم لى ماو يونج المرشد الخاص بهم وأشار لهم بإنجليزية واضحة نحو طريق ملىء بالتماثيل:

- هنا يا سادة مرقد أباطرة أسرة مينغ..وسوف نزور ذلك الممشى المقدس بمجرد انتهائنا من رحلة السور وذلك لأن الرجل المطلوب هو الحكيم شونج يان حارس تلك الأضرحة المقدسة..وأعتقد أن لديه الإجابة على تساؤلاتكم فيما يتعلق بالموضوع الذى أثرته يا مستر ألبرت..وبعد حوالى نصف الساعة سوف نكون فى أحد القلاع بجوار السور وأود أن

ألفت انتباهكم أنه إلى الآن لم يتم فتح الموقع كأثر سياحى..إنما يقتصر الأمر على بعض الرحلات الترفيهية.

ألبرت- أخبرنى يا مستر لى لماذا فى طريقنا وجدت أن هناك الكثير من أجزاء السور مُهَدَّمَة؟

لى- هذه حقيقة يا سيدى فإن ما يقرب من ثلث سور الصين العظيم قد اختفى بشكل كامل بسبب عوامل عدة أهمها التآكل الطبيعى والتخريب البشرى المُتَعَمَّد.

.نور- مُتَعَمَّد.؟ ومن يقدر على هدم هذا الأثر النادر.؟

لى- السور يتعرض للسرقة من قبل بعض القرويين..بهدف استخدامها فى بناء بيوت جديدة..وفى بعض الأحيان يتم بيع أحجار للسياح بأسعار زهيدة بصورة غير قانونية..وأتمنى أن يأتى يومًا ما يعاقب القانون الصينى كل من يقوم بسرقة أحد أحجاره.

سكت الجميع وتطلعوا من النافذة إلى تلك المساحات من الأراضى الصينية الخضراء والتى تمتد فى بعض الاحيان إلى مالا نهاية حتى وصلوا بعد فترة بسيطة إلى المكان المفترض نزولهم فيه..كان هناك العديد من الشباب الصينى من مختلف الأعمار فى القلعة القديمة نفسها..أخرج بن أوليفر الكاميرا التى بحوذته وبدوأ جميعًا رحلة الصعود إلى السور..كانوا وقتها فى منتصفه تقريبًا..فهو يمتد من خلفهم عشرات الكيلومترات ويرتمى أسفل أقدامهم ثم يصعد لأعلى الجبال ويتلوى معها.

ألبرت - لقد جاء هذا السور بالفعل تعبيرًا عن اسم الصين وشعبها..إنه مثل تنين خرافى قادم من قلب أساطير هذا البلد.. ترتفع الجبال فيرتفع

معها..تنبسط الأرض فينخفض معها بلاتردد..جزء منه من الصخور وجزء أخر من الخشب..فهو جاء خير معبر عن البيئة التى يسير فيها.

لى - بالفعل يا سيدى كل ما تقوله حقيقة فهو فى حد ذاته شىء عبقرى..عبقرية السور لم تأت أبدًا من مجرد عملية التشييد التى تحدت عوامل الزمن والطبيعة فقط..ولم تأت من أن الصينيين تفتقت عبقريتهم غير العادية فى ابتكار وسائل وآليات لتقوية وتثبيت أحجار السور عن طريق استخدام حِسَاء الأرز فى بعض الأماكن مما جعله صلبًا ومنيعًا..بل جاءت من كون بناء هذا السور جاء تعبيرًا عن أخطر مشروع دفاعى ونظام قيادى عسكرى متكامل لم ينتبه له الكثير.

استكمل الجميع الصعود إلى استراحة فى وسط السور..وهناك وجدوا غرفة واسعة من غرف الحراسة حيث جلس الجميع على تلك الكراسى الصخرية الموجودة بالداخل وهم لايزالون مشدوهين من عظمة البناء.

أشار لى إلى الناحية الأخرى من السور قائلًا:

- السور نفسه ليس مجرد سور واحد فقط بل هو سورين المسافة بينهما حوالى عشرة أمتار وفى الوسط درجات من أحجار الجرانيت الصخرية وعرض كل سور منهما حوالى متر كامل..كل سور يمتد من أرضية الجبال الواقف فوقها لحوالى سبعة أمتار تقريبًا بينما هو من الداخل غير مرتفع بسبب وجود درجات الجرانيت المرتفعة..وكل عدة أمتار يوجد برج مراقبة..البرج شاهق فى الهواء أعلى من السور..وبه فتحات للمراقبة والدفاع..ها ما رأيكم..أنستمر فى رحلة الصعود إلى الجبل حتى نقطة الحراسة القادمة؟

بن - السور الذى سنصل له لن يختلف عن السور الموجود فى أىّ منطقة يتلوى فيها..سيكون بنفس الشكل ونفس الهندسة المعماريه والمقاسات ولن يختلف شىء عن بقية السور الممتدة عبر الأميال الأخرى سوى نوع مواد البناء التى تتفق وطبيعة البيئة التى يمتد فيها السور..أليس كذلك يا مستر لى؟

نور - ما قصة بناء السور يا مستر لى إنك لم تخبرنا حتى الآن بذلك.؟

لى – هذا ما كنت سأخبركم به هناك تاركًا لكم المجال حتى تتخيلوا عظمة الصانع ولكن بما أننا لن نذهب إلى هناك فدعونى أخبركم بعظمة الأجداد.

وقام من على كرسية الحجرى واقفًا فى منتصف غرفة الحراسة وكأنه ممثل على خشبة المسرح وبدأ فى الإشارة بذراعيه قائلًا:

- كانت بلدان الصين وما جاورها فى قديم الزمن ممالك متحاربة فيما بينها..لكل مملكة حدودها التى لو غفل عنها حكامها يومًا فقط لأغار عليها حكام الممالك المجاورة لها وضموها إلى أراضيهم فى غارات مستمرة..أو حتى تلك القبائل المتوحشة التى تعيش على السلب والنهب..وكان هناك الكثير من تلك القبائل التى تعيش على السرقة والإستيلاء على القُرى المجاورة وترتكب بأهلها أشنع الافعال..ولهذا لجأت كل مملكة إلى بناء الأسوار الفاصلة بينها وبين الممالك الأخرى..أحيانًا كانت أسوار جيدة وكثير منها بدائى..ولبعض تلك الأسوار أبراج مراقبة وحراسة لحمايتها وإنذارها بهجوم أعدائها..ويقال أن هذه الأحداث وُجِدَت فى القرن السابع قبل الميلاد وعندما وحد تلك الممالك الإمبراطور الأول من أسرة تشين فى سنة 221 قبل الميلاد..ربطت تلك الأسوار والقلاع ومدت حتى بلغ طولها ألفى كيلو متر..وقد استخدم فى ربطها وتمديدها قرابة مليون شخص هلك منهم

أعداد كثيرة..وفى عهد أسرة (هان) أضافت إلى السور خمسمائة كيلو متر أخرى من جهة الغرب حتى وصل إلى مقاطعة قانصو..وكان مبنيًا من الحجارة والطين..ثم اندفع المغول الذين كانوا من ألد الأعداء والذين شيد السور لصدهم عن الهجوم على الصين..فتخطواالسور وقلاعه..واحتلوا الصين وحكمتها أسرة (يوان) حيث سقطت هذه الأسرة أخيرًا واستولت على الحكم أسرة (مينغ) التى شيدت بناء السور فى مناطق أخرى من جهة الشمال..لتوسع بذلك حدود الصين شمالًا حتى تجاوزت بعض مناطق السور القديم..وهذا هو السور الموجود أمامكم اليوم.

بن - إذن تم تشييده من الأصل لصد هجوم القبائل المُغِيْرَة.؟لماذا لا يكون هذا هو سد ذو القرنين يا لى وتكون القبائل المغيره هى قبائل جوج.؟

نور - بالطبع لا يجوز ذلك.

لى- ليس لى علم ببعض المعتقدات الدينية يا سيدى وأعتقد أن عند الحكيم شونج القصة سيكون لها طعم أخر.

نور- وبالنسبة لأسرة مينغ هل هى ذات الأسرة التى سنمر على مقابرهم فى طريقنا إلى الحكيم شونج؟

لى - نعم سنمر فى طريق مقابر أسرة مينغ المقدسة..وهى مكان من أروع ما يكون.

دان - أعتقد أن أىّ مقابر هى مكان ليس بهذه الروعة يا مستر لى.

لى - سترى يا سيدى..إن الروعة فى شعورك بالقدسية والمهابة بمجرد سيرك على الطريق المقدس وهم على جانبيه.

دان – إذن هل نتحرك الآن؟

لى- بالفعل سنتحرك وعلينا البدء فى النزول حتى لا نتأخر على الحكيم شونج يانج.. لأنه يبدأ فى سباته عند حلول الظلام.

ألبرت – إذن هيا بنا وأعتقد أن النزول لن يكون سهلًا كصعوده..ويبدو أن الإرهاق سيبدأ من بعده.

لى – لا تقلق.. فقد رتبت أمر راحتكم الليلة بعد هذه الرحلة المتعبة.

وبالفعل بدأ الجميع فى النزول الغريب فى الأمر أن الهبوط كان قاسيًا للغاية وهو أمر بالفعل أثار دهشتهم لأنهم لم يشعروا بهذا التعب أثناء صعودهم أما السبب الذى أخبرهم به لى أن درجات السور الموجودة بين السورين الممتدين فى الهواء عالية وليست منبسطة بما يسمح للشخص بالنزول مستريحًا..ولكى تهبط لابد أن تمسك بشىء يسند جسدك حتى لا تسقط..ولذلك أحيطت جوانب السور بالحديد..

وبعد فترة كان الجميع بالسيارة التى بدأت طريقها إلى مقابر أباطرة أسرة مينغ المقدسة..وبعد فتره من الوقت توقفت السيارة على مسافة بسيطة عنها وقال لى أن عليهم النزول والسير على الأقدام نظرًا لمنع السيارات من السير فى تلك المنطقة لقدسية المقابر..انفرد لى بالسائق وأفهمه أن ياتى فى صباح الغد ليقلهم من ذات المكان.

سار ألبرت بهدوء وهو يتأفف مما يحدث له فقد أصبح يجد مشقة فى السير رغم أن لى أخذ حقيبته ليحملها بدلًا منه.. واستند فى طريقه إلى المقابر على يد لى والذى كان يسير فى هدوء وخشوع وكان يتمتم بصلواتٍ ما فى رأسه..وبعد قُرَابَة الخمس عشر دقيقة وصل الجميع إلى بوابات المقبرة المفتوحة..كان المنظر العام فعلًا يوحى بالروعة والقدسية..فهناك بعد البوابة الفرعية للدخول وجدوا العشرات من التماثيل على مرمى

البصر..وبالقرب منهم توجد عدة تماثيل للتنين الصينى مصطفة على الجانبين فى ممشى يصل إلى عشرات من الأمتار..سار الجميع بالفعل مشدوهين من روعة المكان بينما كان بن يقوم بالتصوير فى كافة الإتجاهات. أما أكثرهم خشوعاً فكان لى..والذى بدأ يتكلم فى خفوت وهم يسيرون بجوار تلك التماثيل الحجرية بعد أن طلب منهم الهدوء والسكينة التامة.

- هنا يا سادة تقع مقابر أسرة مينغ..عند سفح جبال تيان شوه حيث دُفن ثلاثة عشر من أباطرة مينغ..ولذلك فإن تلك المقابر معروفة فى اللغة الصينية بالقبور الثلاثة عشر.. وهى شىء مقدس فى تراثنا الصينى وتنتشر المقابر على مساحة يبلغ محيطها أكثر من 40 كيلومترًا..وبالقرب من هنا سوف نمر على المقبرة الأولى لاسرة مينغ والتى بناها الإمبراطور الأول لاسرة مينغ تشو يوان تشانغ لأجداده فى بلده سى تشو القديمة..وحسب السجلات التاريخية فإن مقبرة أجداد الإمبراطور الأول لأسرة مينغ كانت مُحَاطَة بثلاثة حوائط وثلاثة جسور بها وآلاف من القصور والمكاتب الضخمة و..

دان (مقاطعاً)- دائمًا يختلط الأمر علىَّ يا مستر لى كلما سمعت أسمائكم..فاعذرنى أشعر أنكم جميعًا متشابهون فى الحجم والإسم وحتى الوجه..

لى – ما علاقة ذلك بما أقوله يا سيدى؟

دان – لا عليك..لا عليك ولكن فى المرة القادمة حاول أن تتحدث ولا تذكر لى أىّ اسماء حتى لا أفقد التركيز.

وبالفعل ما هى إلا دقائق حتى وصلوا إلى مكان فسيح تراصت فية عدة تماثيل عملاقة منحوتة من الصخر للعديد من الأشخاص.

لى – هنا أيضًا تقع آثار مقبرة سياو لأسرة مينغ وبسبب أضرار الأمطار والرياح والحروب التى استمرت ستمائة عام دمرت كافة القصور ذات الهياكل الخشبية.

كانت الساعة تشير إلى الرابعة عصرًا..وعلى الرغم من ثقل ما يلبسونه إلا أن شعورهم بالبرد كان طاغيًا..وبعد عدة دقائق من السير وسط تلك التماثيل لاح فى الأفق معبد صغير على شكل كوخ..وما هى إلا لحظات حتى وصل إليه الجميع ليدخلوا ساحته..كان هناك العديد من الفلاحين فى مدخله يرتدون زيًا موحدًا أخبرهم لى أنهم خُدَّام المعبد..سألهم عن الحكيم شونج فأخبره أحدهم أنه جالس فى الناحية الخلفية للمعبد.

سار الجميع خلف لى حتى وصلوا إلى الفناء الخلفى الذى تراصت به العديد من الكراسى الخشبية بجوار السور أما فى وسطه فقد شيدت بِرَجُولَةً خشبية وفُرِشَت الأرضية ببعض السجاجيد المصنعة يدويًا وبألوان وزخارف مبدعة ويجلس علها رجل مسن وبجواره عدة أطفال..وما أن رآه أحدهم حتى اقترب من العجوز ليخبره بوجود زوار فأشار إلهم بالإنصراف عندما رأى لى الذى اقترب منه وحياه وجلس إلى جواره وقدم له الجميع.

شونج يانج- وصل لى رسولك بالأمس يا لى وأخبرنى أن هناك بعض السادة لديهم استفسارات عن تاريخنا القديم..وها أنا ذا أمامكم فأخبرونى بكل ما لديكم .

لى - ها هم سيدى لكن اعذرنى فسوف أقوم الآن لِأُشرف على طعام الغذاء لنا جميعًا حتى أنال شرف مشاركتك للوليمة..أستاذنك الآن.

وبالفعل خرج لى من الفناء بينما اقترب أحد الخدم بصينية كبيرة علها بعض الأكواب المليئة بالماء وفوقه عدة أنواع من النعناع الاخضر

الجبلى..كان ألبرت هو من يتولى زمام المبادرة مع الحكيم شونج فأخبره باقتضاب أنهم يقومون بالبحث عن بعض أصول الجوج وهل هناك علاقة بين السد العظيم و قبائل الجوج؟

بن - بالفعل يا مستر شونج يتبادر إلى ذهنى تساؤل منذ رأيت السور..وهو لماذا لا يكون هذا هو السور المنشود وأن جوج فى مكانٍ ما خلفه أو أسفله أو أيًا كان.؟

شونج - إن فى عائلتى العديد من المسلمين يا سيدى وإذا كنت تعلم بعض تعاليمهم فسوف تنكر تمامًا أنه السور المنشود.

ألبرت - إن أحدنا هنا مسلم يا سيدى وهو السيد نور وهو يُجزِم تمامًا أنه ليس السور المنشود.

شونج - عظيم فلتخبرنا برأيك يا سيد نور عن استحالة كونه المقصود.

نور- يا مستر شونج نحن هنا فى الصين لتخبرنا أنت ولتَقُصّ علينا أنت بمفهومك الصينى عن ما نريد أن نعلمه.

شونج - نعم لديك الحق..قطعًا أن سور الصين العظيم ليس هو سد جوج للعديد من الأسباب أولاهما هو اختلاف تاريخ بناء كل من السور والسد..والأخر أن من بنى السد شخصية معروفة..وهو ذو القرنين الذى يذكر المؤرخون أن اسمه كورش الذى ذكرت قصته فى قرآنكم الكريم ..يا سيد نور

نور- ولكن ليس كورش هو من قام ببناء السد لعدة أسباب فيجب أن..

ألبرت (مقاطعًا) – دعك من ذلك الآن يا نور فلتكمل يا سيد شونج.

شونج - أما بناة سور الصين العظيم..فهم أباطرة الصين الذين تتابعوا على مر العصور..وقد ذكر أجدادنا الأسر الحاكمة التى بدأ بناء السور فى عهدها والأسر التى انتهى بناء السور فى عهدها أيضًا..لذلك فإن تاريخنا محدد ومعلوم.

ومن الأسباب كذلك أن سد جوج لم يقم ببنائه أهل البلد الذين تضرروا من هجوم عدوهم وهم قبائل الجوج..بل كانوا عاجزين عن القيام بذلك..ولهذا استعانوا بذى القرنين فى بنائه.

أما سورنا العظيم..فقد بناه أباطرة الصين أنفسهم لحماية ممالكهم.

دان- ومن الأسباب أيضًا اختلاف مواد بناء كل من السد والسور..فمواد السد كانت من قطع الحديد والنحاس..أما مواد سوركم فهى مختلفة.

شونج- نعم فقد كانت أولًا من الحجارة واللَّبِن..ثم أصبحت كما هى موجودة الآن.

نور- ونقطة أخيرة أخرى أن السور به العديد من المناطق المُهَدَّمَة والغير مبنية بعكس سد ذو القرنين الذى لن يُهدَم إلا فى أخر الزمان..وبهذا لا شك فى أن سور الصين العظيم لا صلة له بسد جوج.

شونج- نعم هو لا علاقة له بالفعل..والآن علينا أن نتناول طعام الغذاء ثم سيكون لنا حديث أخر..

(ومد يده بجواره لياخذ جرسًا ما صغير الحجم ورجُه يمينًا ويسارًا)

وما هى إلا عدة دقائق حتى حضر العديد من الخدم يحملون الصوانى التى تراصت عليها الأطباق الممتلئة بالوجبات الصينية الشهية..ولكن كان من العسير أن يتذوق بعضهم هذا الطعام المجهول بالنسبة لهم إلا بعد أن

أخبرهم لى بمكونات كل طبق من الأطباق الكثيرة والتى لم يتناولوا منها إلا الأرز المقلى وكور الدجاج والخضار وطبق الفيتوتشينى الذى أعجب نور ودان جدا..بينما جلس شونج فى وسطهم لا يتناول إلا طبق وحيد به حساء أخضر اللون خاص به.

بعد الغداء غسل الجميع أيديهم فى صواني أتى بها الخدم مع بعض القوارير من ماء الورد..وما هى إلا دقائق أخرى حتى كان الجميع يتناولون الشاى الصينى بطعمه المُثِير وهم يستندون على بعض الوسائد القطنية..وقتها شعر الجميع بالوخم بعد أن سرى الطعام الدسم فى أوصالهم.

كانت الساعة تقترب من السادسه مساء وبعدها يحل الظلام خلال الأربعون دقيقة المتبقية ولعدم وجود أىّ تيار كهربائى بالمعبد فسوف يذهب شونج ورفاقه إلى النوم لذلك كان عليهم أخذ كافة التفصيلات التى كانوا يريدونها من الحكيم قبل نومه..بدأ شونج فى تناول الشاى بمنتهى الهدوء ولم يقاطعه أحد وكأنهم آثروا على أنفسهم التمتع بتلك الطبيعة الساحرة والهدوء النفسى..كان المشهد العام يوحى بالخمول وخاصة عندما بدأ تصاعد البخور فى المعبد وتلاوة بعض الخدم ترانيمهم بصورة خافتة..ساد السكون مع بداية دخول الليل..وما هى إلا دقائق حتى راح الجميع فى سُبَاتٍ عميق.

لم تمض سوى ساعة أو يزيد حتى أفاق دان مذهولًا مما حدث..

دان - ما هذا البرد.؟أين أنا.؟بل أين الحكيم شونج.؟وكيف نمنا طوال هذه المدة.؟

افاق الجميع على صوت دان فتمطأ ألبرت ونظر نور إلى ساعته فوجدها تشير إلى السابعة والنصف..بينما جذبت أصواتهم أحد الأشباح البعيدة

عنهم بمسافة وهو يدخن سيجارته فما لبث أن أطفأها و اقترب منهم بهدوء حتى تبين لهم أنه لى:

- إنه الهدوء يا مستر دان الذى جعلك تنام هذه الساعة..هيا علينا الصعود إلى غرفكم فى المعبد حتى لا تشعرون بالبرد..فهنا الصقيع قارص وبداخل أسِرّتكُم سوف تشعرون بالدفء تفضلا معى.

وبالفعل سار الجميع خلفه بهدوء وكأنه يحفظ المكان عن ظهر قلب فدخل من أحد الأبواب الجانبية ولم يضطر إلى الإلتفاف حول المعبد وما لبثوا أن تبين لهم وجودهم فى المطبخ وبعد عدة أمتار دلف إلى اليمين وهم خلفه..صعدوا سلم من خمس درجات ثم اقتربوا من عدة غرف على الجانبين..وهنا فتح لى أحد الغرف وأشعل أحد المصابيح القديمة وأشار اليهم قائلًا:

- مستر ألبرت ومستر بن هنا أسرتكم..أما فى الغرفة المقابلة ستكون أسِرّتكُم يا مستر دان ومستر نور.

دخل الجميع إلى الغرف وأشعل دان المصباح القديم واخفت ضوءه وهو يقول لنور:

- إنها الثامنه فأخبرنى كيف سنقضى ليلتنا الطويلة هذه حتى الصباح.؟
- لا أدرى أنا عن نفسى سوف أغمض عيناى وأنا واثق أنها مجرد دقائق حتى أذهب فى سبات عميق.
- ستنام؟ أبعد كل هذه الأحداث يا نور.؟
- أىُ أحداثٍ يا دان.؟ أشعر أن هذا الموضوع أقرب لنا كرحلة ساحلية منها إلى بعثة اسكتشاف.
- هذا ليس من شأننا..فها أنت ترى أن الوصول إلى تلك القبائل يكاد يكون مستحيلًا.

- - إن كان مستحيلًا فكيف وصل مستر ادوارد ؟
- - انتم تقولون أنكم بحثتم يا نور فى مئات الكهوف المحيطة بالمكان ولم تجدوا أىَ أثر أليس كذلك؟
- نعم لكن ربما حالفنا الحظ وعثرنا نحن يا دان..ولا تنس أننا اقتربنا كثيرًا من الأسرار التى لم تكن معلومة لنا من قبل.
- أعتقد أنها ليست أسرار بقدر ما أنها موجودة فى الكتب الدينية وأىُ متابع أو شخص دينى سوف يكون على دراية بكل ذلك..هى نقاط فقط أنت تجمعها وتضعها على الكلمات.
- ماذا تقول.؟شخص دينى.؟وكتب دينية.؟ارى أن من داخلك تميل أحيانًا إلى التعقل والتفكر بإله الكون يا دان..أنت طيب يا صديقى ولكن هناك بعض المُكَابَرَة بداخلك.
- أتدرى يا نور..لا أقول أنى أشعر بشىء ما مختلف..وأكاد أتحول إلى شخص أخر لا أدرى ما هو..وكل ذلك نتيجة موقف ما..أتذكر عندما كنا فى كنيسة القديس بطرس وقفت أمام تمثال السيدة العذراء..حين كان هناك العشرات من الأشخاص يبتهلون ويتضرعون..تسائلت أيكون كل هؤلاء على خطأ وأنت يا دان على صواب..توقفت أمام نفسى ودعوت أنا الأخر ثلاث دعوات..منها أننا كدنا أن نيأس..كنا مفلسين..تائهين..ليس معنا ولا بنس ومع ذلك مستمرين فى طريقنا..ودعوت أن نستطيع استكمال ما بدأناه..وفجأة تحققت الدعوة بأن وجدنا ممول لرحلتنا.
- وما الدعوتان الأخرتان.؟
- ستجدهما فى حينهما يا نور لا تقلق..

قهقهه نور وأردف - أنا عن نفسى أعلم واحدة منهم..

- صدقنى ليست كما تبدو يا صديقى..ليست كما تبدو..سأهبط إلى الفناء الخلفى فالليل هنا طويل جدًا ولن أستطيع النوم قبل خمس ساعات على الأقل..أتهبط معى.؟
- لا سأخلد إلى النوم..لقد تعودت فى الجيش النوم بمجرد حلول الظلام..
- كنت أظن أنك لم تختلط بالجيوش وعملها يا نور..أنا لم ألتحق به أبدًا ولم يُجِبْ نور فقد ذهب بعدها فى سبات عميق.

هبط دان إلى الاسفل مستخدمًا قداحته حتى وصل إلى الفناء الخلفى عن طريق المطبخ..أشعل سيجاره كان قد اقترضها من لى وتنفسها بعمق ورغبة شديدة..كان الجو شديد البرودة فذهب إلى البُرْجُولَة ليجلس ويحتمى تحتها حتى ينتهى من سيجارته ولكن فزع عندما وجد شخصًا عجوزًا جالسًا القرفصاء على أحد الوسائد شارد النظرات ومحدقًا فى المجهول..اعتذر دان على اقتحام خلوة الرجل لكن لدهشته الشديدة رد عليه الرجل بإنجليزية واضحة.

- لا عليك يا مستر دان أنا فى جلسه سكون مع الرب الاعظم وإن كنت تسمح لى سأجلس فى هدوء ولن يصدر منى صوتًا.
- أنا الذى يجب أن أعتذر لك يا سيدى لاقتحامى تلك الخلوة..ولكن كيف لك أن تعرف اسمى؟
- لقد كنت معكم فى جلسة الحكيم شونج..لكنك لم ترانى وحضرت كافة مناقشتكم.

تنهد دان - أتمنى أن تمر تلك الأيام على خير فأنا فى أشد حالات الحيرة يا...ما اسمك يا سيدى؟

- تشيو تشونغ نى..يا ولدى..لكن قلبك هو ما يتعبك وليس عقلك؟
- قلبى .؟ كيف لك أن تشعر بذلك؟

- قلبك يا ولدى هو من يتعبك وليس عقلك..
- نعم سمعت.. فهو من يجعلنى أشعر دائمًا وكأنى شخص مُشَوَّه..شخص ليس له أىّ فائدة من الدنيا..ليس له أهمية لدى أحد..لا يقدر حتى على إنشاء علاقة عاطفية..أحاول جاهدًا أن أتواصل مع كل من حولى لكن الفشل هو ما أُحَصِّلَهُ فى النهاية..حاولت كثيرًا أن أقوم بعدة أشياء ذات أهمية لكن دون فائدة..لذلك سأقاتل فى سبيل إنجاح تلك المهمة.

لم يلتفت إلية العجوز وهو يتحدث ولكنه نظر إلى الأفق وأردف:

- كان عند امرأة صينية مُسِنَّة إنائين كبيرين تنقل بهما الماء..وتحملهما مربوطين بعمود خشبى على كتفها..وكان أحد الإنائين به شرخ والإناء الأخر بحالة تامة ولا ينقص منه شىء من الماء..وفى كل مرة كان الإناء المشروخ يصل إلى نهاية المطاف من النهر وبه نصف كمية الماء فقط ولمدة عامين كاملين ظلت السيدة على هذا المنوال حتى تصل إلى منزلها بإناء واحد مملوء ونصف الأخر فقط..وبالطبع كان الإناء السليم مزهوًا بعمله الكامل والإناء المشروخ محتقرًا لنفسه لعجزه عن إتمام ماهو متوقع منه..وفى يوم من الأيام بعد عامين من المرارة والإحساس بالفشل تكلم الإناء المشروخ مع السيدة الصينية:
- أنا خَجِلٌ جدًا من نفسى لأنى عاجز ولدى شرخ يُسَرِّبُ الماء على الطريق إلى المنزل.

فابتسمت السيدة الصينية وقالت له:

- ألم تلاحظ الزهور التى على جانب الطريق من جهتك وليست على الجهة الأخرى ؟ كنت أعلم تمامًا بالماء الذى يُفقد منك ولذلك غرست البذور على طول الطريق بجانبك حتى ترويها فى طريق عودتك للمنزل

ولمدة سنتين متواصلتين قطفت من هذه الزهور الجميلة لأزين بها منزلى..مالم تكن أنت بما فيك ما كان لى أن أجد هذا الجمال من حولى..

يا ولدى كل منا لديه نقطة ضعف..لكن شروخنا وضعفنا معًا هى من تصنع حياتنا بطريقة عجيبة ومثيرة..يجب علينا جميعًا أن نتقبل بعضنا البعض على مانحن به وننظر لما هو حسن لدينا.. ونتنفس عبق الزهور التى بجانب الطريق.

- ولكنى مُتْعَبٌ يا سيدى..ولا أجد أىّ طريق للخلاص.

وقف العجوز مقتربًا منه ووضع يده على قلب دان قائلًا:

- هنا الحل..دع قلبك يسطع بنور الحقيقة وقتها سينير الطريق لخلاصك.

****

- دان..دان هل جننت ؟ هيا استيقظ.؟ (قالها نور وهو يرج يد دان الذى وجده نائمًا أسفل البرجولة الخشبية)

أفاق دان فاتحًا عينيه فى غشاوة..فوجد نور الشمس يكاد يسطع على الفناء الخلفى للمعبد فوضع يده على عينية قائلًا لنور :

- نور.؟ كيف غفوت هنا.؟ وكيف جئت إلى هنا ليلًا.؟
- أتسألنى أنا يا دان.؟كل ما أذكره دخولنا غرفتنا وحديثك عن شعورك بالأرق وما هى إلا دقائق حتى ذهبت أنا فى نوم عميق لم أستيقظ إلا على يد أحد الخدم يوقظنى لمقابلة الحكيم شونج..وعندما لم أجدك إلى جوارى أخبرنى أحدهم أنه وجدك نائمًا فى الفناء الخلفى.

- نعم لقد تذكرت..كانت ليلة عجيبة يا نور وقابلت شخصية فى منتهى الغرابة ولكن كلامه قد مس قلبى بالفعل.
- من الذى قابلته بالأمس..الحكيم شونج؟
- لا لا شخص أخر..عَرَّافًا كان أو ساحرًا لا أدرى..لكن فى وجوده شعرت بتبجيل ومهابة لا حدود لها..أخبرنى أين ألبرت وبن.؟
- ألبرت ذهب لتلاوة صلواته فى الغالب..والأخر لتصوير بعض التماثيل..
- يبدو كذلك يا نور فها هم أتيا من خلفك وبن يحمل كاميرته كالعادة..
- يا ربى يا دان ..كم أمقت ها الرجل المسمى بن..

وما هى إلا عشر دقائق حتى وصل إليهم الحكيم شونج بعد أن أدّى صلواته الصباحية وجلس حيث الأمس..نظر دان إلى حاشيته فلم يجد العجوز وكاد أن يسأل عليه لكنه توقع أن يكون مازال نائمًا فى هذه الساعة..بدأ ألبرت حديثه عن مكان جوج الحالى..وعن تلك النظريات الصينية الموجودة منذ القدم.

شونج - أىّ نظريات تقصد يا سيد ألبرت ؟

ألبرت - نظرية الأرض المجوفة وما يهمنا أكثر هى نظرية الشامبالا تحديدًا.

شونج -برزت نظرية الشامبالا عند احتكاك الحضارة الشرقية بحضارتكم يا سيدى..فتلك النظرية تعتبر من أدق الأسرار فى الثقافة البوذية ولم ولن يطلعك عليها أحد..لأنها تعتبر من المقدسات فى التبت..وتعنى كلمة شامبالا أرض السلام والسكينة..وهى فكرة أتت من أرض التبت..وتتناول مخلوقات مثالية تعيش لتنير الدرب لتطورالبشريه..وتحكى الأساطير أنه لا يعيش فى شامبالا إلا من كان له قلب صاف..ومن يعيش فيها يستمتع بالسعادة والراحة ولا يعرف أىّ معنى للشقاء..فالحب والحكمة يحكمان السلوك..والعدل شىء غير معروف..لأن كل من هناك يتميز بكافة

الصفات المحمودة..أماالقاطنين فى شامبالا أعمارهم مديدة وأجسادهم جميلة ومثالية ويملكون قدرات خارقة..معارفهم الروحانية عميقة وتقنيتهم متقدمة جدًا..قوانينهم معتدلة ودراستهم للفنون والعلوم تتقدم بأشواط عديدة على ما وصل إليه العالم الخارجى..ويقال أن شامبالا مملكة لها شكل زهرة اللوتس بتيجانها الثمانية وهى محاطة بجبال تغطى قممها الثلوج.. وسكانها يتمتعون بصحة ممتازة وقصورهم لها شكل قبب تشبه النمط العمرانى للمعابدالبوذية المكسوة بالذهب.

نور- إذن فقد رأيتها ومكانها معلوم لديك؟

شونج - لا بالطبع..إن أراضى شامبالا مخفية عن الأنظار حيث باءت محاولات العديد من المستكشفين والساعين إلى الحكمة الروحانية بالفشل لمعرفة مكانها الجغرافى على الخريطة..نعم فهناك الكثير من الناس يعتقدون بأنها تقع فى المناطق الجبلية التى تضم قارتى آسيا وأوروبا وتحيط بها جبال تغطى قممها الثلوج فتخفيها عن الأنظار..لكن عددا أخر من الناس الذين عادوا من رحلات الإستكشاف يعتقدون أن ليس لها وجود من الأصل إلا فى كتب الأساطير والحكايات الخيالية..

أخبرنى أحد الدالاى لاما منذ سنوات عديدة أن هناك غموضًا مقصودًا فى النصوص القديمة التى تتحدث عن مكان شامبالا والغاية من ذلك هى إبقاء تلك الأراضى مخفية عن أعين الهمج والذين يرغبون بالإستيلاء على العالم.

ألبرت- ولكن ما علاقة ذلك بجوج يا سيد شونج.؟وهل هناك علاقةما بين سكان مملكة شامبالا وقوم جوج من خلال ما ذكرناه؟خاصة أن جوج مختفون عن الأنظار ولهم مملكتهم وبلا شك هم أعداد هائلة وبالتأكيد أن

لهم ملك ونظام حاكم.. وربما هم لديهم الفكرة العدائية أن البشر حاقدين عليهم وسوف يهجمون عليهم فى يومٍ ما..ولا ننسى ما فعل ذو القرنين وجيوشه بهم ومنعهم من الخروج..لذلك هم حاقدين على كل البشر وهذا يفسر كل أفعالهم الوحشية حين يخرجون..ونحن نعتقد أن جوج هم فى جوف الأرض مما يؤيد فكره نظرية الأرض المجوفة..وبحسب ما نعتقد أن ذلك السد وما جاء فى وصفه أنه سد عالى ما بين جبلين..فهم ليسوا خلف هذا..لأنهم لو كانوا خلفه سوف يجدون مخرجًا بالتاكيد سواء من أعلاه أو من جانبيه أو أىّ مكان أخر ما داموا على سطح الأرض..ولكن هذاالسد كان فوقهم بحيث أنه تحتهم مطبقًا عليهم ولا يستطيعون الخروج.. أعتقد أنه إذا كانت مملكة شامبالا حقيقة فهى تحت الأرض أيضًا . فما علاقة تلك الأراضى بقوم جوج.؟

شونج- تتحدث الأسطورة حسب مزاعم الدالاى لاما عن أن الإنهيار التدريجى للجنس البشرى مرده إلى إتباع المنهج المادى والذى ينتشر فى أنحاء الأرض..وحينما يأتى وقت يتبع فيه الهمج هذا التصرف وتتوحد صفوفهم تحت قيادة ملك شرير ويظنون أنه لم يعد هناك شىءٌ أخر يمكنهم الإستيلاء عليه عندها ستزول الغشاوة والغموض عن جبال شامبالا فتظهر قممها الثلجية فيحاول الهمج الهجوم عليها بجيش ضخم مجهز بأسلحة رهيبة ولكن ملك شامبالا الثانى والثلاثون سيقود حشده الضخم ضدالغزاة..وفى تلك المعركة النهائية العظيمة سيخسر الملك الشرير وأتباعه ويُدَمَّرُونَ نهائيًا.

نور- وبعد ذلك؟

شونج – التنبؤات فى البوذية واضحة..ففيها مخلص قادم من شامبالا أو بلاد البركة حيث يهزم البربر وينهى الظلم ويقود إلى عصر ذهبى جديد..وكما

فى كل الأديان هناك حرب نهاية زمان ومخلص أو مسيح كما تدعون فى كتبكم المقدسة.. فلدى البوذيين تنبؤات بحرب نهاية العالم التى ستهزم فيها قوات شامبالا عدو همجى..وهم يشجعون جميع البوذيين على وضع خلافاتهم الطائفية جانبًا والإنضمام إليهم ليكونوا جبهة واحدة..إذًا بعد هذا البحث والتحليل عن أسطورة شامبالا ومن خلال كل ما يتعلق عن جوج فأعتقد بأن هناك علاقةٍ ما بينهما..ل أن ليست كل أسطورة خرافة.. فلكل أسطورة أساس لليهودى مخلص..وللمسيحيين مخلص.. وللمسلمين مخلص أيضًا واليوم عرفتم أن للبوذيين كذلك مخلص..وكلهم سيأتون فى نهاية الزمان..والأديان السماوية ذكرت أسطورة الكائنات الوحشية القادمة المتمثلة فى جوج ..والبوذيين يعتقدون أن هنالك شعب فى مكان ما سوف ينتصر فى نهاية الزمن على من سماهم الهمج والغزاة..والجميع مؤمن بمعتقداته وما ذكر فى آياته المقدسة..ويبدو أن الأرض على موعد مع هذا السيناريو الدرامى .

قطع هذا الحديث وصول لى ليخبرهم أن السائق قد وصل وينتظرهم فى الخارج وعليهم أن يجهزوا خلال دقائق..جمع كل منهم حاجياته ولكن نور تذكر أمرًا ما فالتفت ناحية شونج متسائلًا:

نور - سيدى هل لديك أىّ علم عن ما يسمى نظرية المفاتيح المقدسة.؟

شونج- إنها نظرية قديمة يا ولدى ولست متذكرها تحديدًا..عليكم أن تتجهوا للتبت لمعرفه بقية القصة هناك..وأتمنى لكم التوفيق.

ألبرت - سيدى أشعر أن هناك من الأمر ما تخفيه.

ابتسم شونج وقام من مكانه ولم ينبت ببنت شفة..أما دان الذى كان لا يزال متسائلًا عن العجوز الذى قابله بالأمس فاتجه إلى شونج قائلًا:

- أود قبل أن أرحل أن ألقى التحية على الحكيم الآخر الموجود هنا.
- شونج- ايَ حكيم يا ولدى؟
- بالأمس بعد سباتكم نزلت إلى هنا ووجدته وظللت لأكثر من نصف ساعة أتحدث معه.

شونج (مُنَادِيًا على أحد الخدم وسأله بلغته الصينية فنظر الخادم إلى دان وهز رأسه نفيًا).

شونج- لم يكن هنا ايَ أحد بعد نوم الجميع يبدو فقط أنها أضغاث أحلام من تأثير العشاء الذى لم تعتادوا على طعمه بعد.

- لا لقد كنت فى منتهى اليقظة ولم أنم أو أُخَدَّر أو أُهَلْوِس..كان يجلس أمام هذا الكرسى الرخامى وكان ينظر من بعيد إلى سوركم العظيم.

تنبه شونج فجأة واقترب منه متسائلًا:

- هل أخبرك باسمه يا ولدى أو هل لك أن توصفه.؟
- كان ممتلىء الجسم يرتدى العديد من العباءات الصينية وبيده عصى ربما أطول من عصاك قليلًا وهو بنفس طولك وبنفسك سنك تقريبًا.

انتبه الجميع على كلام دان واقترب بقية الخدم منه بينما انبرى أحدهم للترجمه للباق وهو يردف:

- أعتقد أنه اسمه أخبرنى..امم أنه..على ما أتذكر اسم صعب تذكر أو نطقه حتى إنه ..تشين..أو تشيو..شانغ.

قاطعه شونج وقد بدأت عيناه فى اللمعان - هل اسمه تشيو تشونغ نى.؟

- نعم يا سيدى ..هو تشيو تشونغ لى وقد...

وقتها حدث ما لم يتوقعه أحد فقد ركع الجميع أمام دان حتى الحكيم نفسه جثا على ركبتيه وقد بدأ بالبكاء مما أثار دهشة الجميع.

جثا دان إلى جواره مساعدًا إياه على النهوض متسائلًا عن السبب الذى دعا الجميع إلى الإتيان بهذه الحركة القدسية.

شونج- إنك لا تدرى يا سيدى..لقد تحدثت بالأمس مع نبينا وملهمنا كونفشيوس..

ألبرت- ماذا؟ الحكيم كونفشيوس.؟ ولكنه مات منذ آلاف السنوات يا سيد شونج.

شونج- نعم ولكن روحه لا تزال تزور كل المناطق التى زارها أو كان يقيم فيها..يا ولدى لقد انتظرت أنا عشرات وعشرات السنوات لكى أراه ولو دقيقة واحدة هنا فى الفناء الخلفى..قيل لى أنه أتى هنا قديمًا جدًا وأقام عدة ليال وبعدها ظهر لأحد أجدادى وقام بالحديث معه تمامًا كما فعل معك..هل لك أن تقص لنا تحديدًا ما حدث.؟

وبالفعل جلس الجميع وكأن على رؤوسهم الطير أمام دان الذى قص عليهم كل ما حدث ليلة أمس..فهو لم يكن يحلم بل يبدو أن روح كونفشيوس لا زالت تحوم حول المكان..أخبرهم بقصة الإنائين مما أجهش الجميع بالبكاء..وبدا المعبد وكانه قد تحول إلى صالة جنائزية اشترك الجميع بها فى النحيب والعويل..اقترب نور من دان قائلًا بهمس:

- إن تلك فرصتنا يا دان انفرد بالرجل واسأله ما بدا لك من أسئلة وأنا على ثقة أنه سيكون فى منتهى الصدق.
- يبدو كذلك.. معك كل الحق.

وبالفعل اقترب دان من شونج هامسًا فى أذنه ببعض الكلمات فنهض شونج وأخبره أن يأتى خلفه وحده..سارا حتى دخلا إلى الغرف الداخلية حتى وصلا إلى غرفة كبيرة دخلها شونج ومن خلفه دان..الذى اقترب منه قائلًا:

- أخبرنى يا سيدى كيف أصل إلى هؤلاء القوم.
- صدقنى لا أعلم..هى مجرد أضغاث أقاويل ولكن خذ هذا الخاتم.

ومد يده إلى أحد الأرفف الخشبية ومد يده وتناول خاتم فضى به حجر كريم أخضر اللون رسمت عليه نقوش صغيرة وكأنها زهرة اللوتس فأخذ دان الخاتم منه وأخفاه فى جيبه الداخلى.

- هذا الخاتم يا ولدى يخص أحد كبار مساعدين كونفشيوس إن لم يكن له شخصيًا وهو شىء مقدس فى تراثنا الصينى..وهو سيسهل لك الأمور فى الأراضى الصينية الخاضعة لسيطرة التبت هناك وليكن معلومًا لك أن جميع شعب التبت ورهبانه يؤمنوا بالشامبالا وبالأرض المجوفة وأن بجوف أرضنا مدن وممالك وحضارات وأمم بشرية ونور وغابات وأنهار وبحيرات..وهناك معلومات ترجح بأن عاصمة التبت لها معبد مُتَّصِل بنفق سرى بشكلٍ ما يُوَصِّلُ إلى الأرض المجوفة.والذى يمتد من عاصمة التبت إلى مملكة شامبالا التى فى العالم الداخلى..ومدخل هذا النفق محروس من قبل الرهبان.
- وكيف أصل إلى تلك المعلومات.؟
- عن طريق هذا الخاتم سوف أرسلك إلى أحد الرهبان الذين أثق بهم وهو تسانغ غيانج..تذكر هذا الاسم جيدًا هو راهب من رهبان الدالاى لاما وبمجرد دخولك إلى أراضى التبت فلتسأل عنه ولتعطه هذا الخاتم ولكن سرًا..أفهمت!! سرًا يا ولدى..وسوف يُسَهِّلُ لك كل الأمور على

الرغم من أن صعب الأشياء هو البوح بأسرار المعابد البوذية..ولكنه سر خاتم كونفشيوس يا ولدى.

- بالمناسبة يا سيدى هل لديك أىّ علم بالمفاتيح المقدسة.؟
- أىُ مفاتيح يا ولدى؟
- عندما كنا فى كنيسة القديس بطرس جلسنا مع أحد رجال الدين هناك وبدأ يشرح لنا أن هناك سرًا ما فى مفتاح كنيسة القديس بطرس بشكلٍ ما هو ومفتاح أخر يشبهه وتم وصوله إلى الكاتدرائية.
- ياه يا ولدى إن ذلك من مئات السنوات..ويعتبر سرًا هو الأخر لدى رهبان التبت وما حدث أنه كان هناك أسطورة عن راهبًا ما فى الأزمان الغابرة استطاع أن يحبس الشيطان داخل كهف ما من تلك الأماكن المتصلة بالأنفاق التى تحت الأرض والتى تشتهر بها أراضى التبت..وهذا الشيطان ما هو فى اعتقادى إلا أنه أحد المخلوقات الغريبة و ربما كان أحد نسل قبائل جوج الذين تحثون عنها..وهذا الراهب أغلق هذه الفتحة بباب له مزلاجين حديدين وتم إغلاقه للأبد ولكن سرق المفتاحان من الراهب وتقول الأسطورة أن هذه المفاتيح سُلِّمت لأقدم كنيسيتن فى العالم وذلك لحماية الباب من فتحه مطلقًا.
- لاأدرى كيف أشكرك يا سيدى وأتمنى أن تسمح الظروف أن نتقابل مرة أخرى.
- سيحدث يا ولدى..إن لم يكن فى هذه الحياة فسوف نتقابل فى الحياة الأخرى وكن على ثقة أننا سنتحدث كثيرًا..وكثيرًا جدًا.

وقام من كرسيه ومد يده إلى دان الذى استقبلها واستند عليه حتى وصلا إلى الفناء الخلفى حيث ترك بقية رفاقه.

وَدَّعَ الجميع الحكيم شونج وما هى إلا لحظات حتى كانوا يسيرون جميعًا فى طريق الذهاب إلى العربة الخاصة بهم بينما كان نور يسال دان عن سر مقابلة الغرفة ولكنه لم يتحدث..بل أخبرهم أن عليهم الصمت الآن..سار الجميع فى طريق العودة المُقَدَّس وسط تلك التماثيل والتى شعر دان لأول مرة أنها تنظر لإليه..لا يدرى لماذا فى هذه اللحظة بالذات نظر إلى المعبد من بعيد وخُيِّلَ إليه..بل رأى كونفشيوس وهو ينظر إليهم من على بُعْد عشرات الأمتار.

****

بعد ساعتين عاد الجميع إلى الفندق فى قلب العاصمة بكين حيث الضجيج والصراخ المُتَوَاصِل والزحام طوال الوقت مما كان يثير دومًا استيائهم..وعند اجتماعهم فى بهو الفندق قَصَّ عليهم دان ما حدث بداخل الغرفة وتوصيته له بالذهاب إلى أحد الرهبان..وأراهم الخاتم الذى وضعه فى علبة زرقاء اللون ولكنه لم يَقُصّ على أحد أسطورة المفاتيح المقدسة لسبب لا يعلمه ولكنه فَضَّلَ أن يحتفظ بهذا السر.

نور- ولكن بعد غد سوف نذهب إلى تينفشيا حيث عاد ادوارد بأحد تلك المخلوقات.؟ فهل نلغى رحلتنا ونذهب إلى التبت أولًا أم نستمر على ما تم ترتيبه ؟

دان- فلنذهب أولًا إلى تينفشيا على حسب ما تم تخطيطه لرحلتنا ثم نغوص بعد ذلك فى أعماق التبت.

ألبرت- ولكن كيف سنتوصل إلى التبت من الأصل.؟ أو أحد هذه المعابد؟

بن- التبت يا مستر ألبرت..تقع فى الشمال من أعلى جبال الهيمالايا وأعتقد أنه سيكون من العسير جدًا الوصول إليها لأن هضبة التبت هى الأعلى فى العالم وعلى ارتفاع 5كم فوق مستوى سطح البحر..ولذلك سوف يكون هناك مشقة بالنسبة لكلينا فأنا الأخر غير قادر على الصعود إلى تلك الأماكن المرتفعة..ويوجد فى جبال التبت الأديرة البوذية الشهيرة. وسوف نجد هناك راهبك المنشود يا مستر دان لأن رهبان التبت لا يخرجون عن تلك الأديرة .

ألبرت- يا إله السماوات خمسة كيلو مترات فوق سطح الارض.؟كيف سنصعد إذن إذا قُدِّرَ لى الصعود معكم فى هذه الرحلة؟ وكيف سنصل الى تلك الأراضي أولا.؟

بن - بالسيارة يا مستر ألبرت للأسف فالمسافة بين التبت وبكين يقارب من 3500 كيلو متر.

نور- يا ربى.؟ أىّ سيارة وأىُّ جَهْد لنقطع تلك المسافة لمقابلة راهب بوذى قد يرشدنا إلى أحد الأساطير وقد لا نستطيع مقابلته من الأصل.

دان- سأسير فى طريقى لأخره..وإذا لم يقدر أحد على القدوم معى فلن أضغط عليكم..

نور- لم يقصد أحد أننا لن نأتى معك فنحن لن نتركك المشكلة فقط فى ترتيب الرحلة فمن أين نبدأ.؟من تنغشيا ثم هل نعود هنا مرة أخرى لنذهب إلى التبت؟

دان- سنرحل فى القريب إلى تنغتشيا بمجرد عودة لى معنا ثم نرتب الأمر معه لنرحل إلى التبت وأعتقد أنه لابد من وجود وسيلة أسرع للإنتقال من هناك..أما أنت يا ألبرت فأنا أيضًا أعتقد أنه من الخطورة الصعود كل تلك المسافة وأخاف أن يُدَاهِمُكَ اىّ أزمة قلبية ونحن لا نعلم اىّ مشفى طبى هنا.

ألبرت - دعونا نهتم برحلة تنغتشيا فقط ولننتظر ما تخبأه لنا الأيام.

بن – أما أنا فاعذرونى سأذهب إلى القنصلية لإرسال العديد من الصور وبعض المقالات إلى جريدتى.

دان- لا أظنك تنشر ما نقوم بعمله فى الوقت الراهن يا مستر بن؟

بن – لا بالطبع أنا أدرك أن الأمر كله لابد وأن يكون فى غاية السِرّيّة..كل ما هنالك أنى أرسل الصور أولًا بأول حتى لا تتعرض للفقد أو الضياع فيبدو أن اللصوص فى كل مكان.

نور(وقد وضع يده على رأسه) - أسرِقَ منك شيئًا يا مستر بن.؟

بن- لا فليس لدىّ شيئًا ما يسرق.. لكن عند عودتى للغرفة صباحًا وجدت العديد من أشيائى مبعثرة وعلى الرغم من وجود ساعتى الثمينة والكاميرا وبعض النقود فإن السارق لم يمد يده إليهم..بل كان يبحث عن شىء معين لا أعلمه.

نور- الأدهى أنه لو سرق شىء منك فلن تستطيع إفهام هؤلاء من الأصل..

دان- ما بك يا نور أشعر أنك تتألم من شىء ما؟

نور- هذه حقيقة فأنا أشعر بالبرد رغم حرارتى العالية فيبدو أنى قد أصِبْتُ بالحمى من أحد هؤلاء الصينين.

ألبرت- فلتصعد إلى غرفتك إذن وحاول أن تأخذ قدرًا من الراحة وسأوافيك فى الحال بعدة أقراص ستجعلك تشعر بتحسن..

وبالفعل قام نور إلى غرفته بينما استمر الباق فى حديثهم..

* * *

الفصل الثامن

(عندما تكون غارقًا فى الحب حتى أذنيك فإنه من المستحيل أن
ترى عيوب نصفك الأخر..فوقتها تغشى عينيك سحابة سوداء تُخَيِّمُ
على حواسك)

فى مساء هذه الليلة كان ألبرت ودان فى البهو الرئيسى بعد تناولهم طعام العشاء بينما كان نور فى غرفته لا زال مريضًا بإحدى نزلات البرد مما جعله يلبث محموماً فى فراشه..أما بن فكان مختفيًا منذ الصباح لإرساله التقارير اليومية التى كان مُلْزَمًا أن يبعثها إلى جريدته..وأثناء انتظارهم دخل عليهم وهو يمسك جريدة المساء.

بن- أرأيتم أخر أخبار ألمانيا لقد توفى الرئيس هيندبرج.

دان- وماذا فى ذلك يا مستر بن؟أعتقد أن هتلر دفع الرجل إلى الإستقالة قريبًا وقام بتهميش نائبه وبالتالى موته أو حياته لن تؤثر.

بن- هتلر لم يتولَّ رسميًا وبعد وفاة الرئيس لا شك أنه سيتم إجراء انتخابات رئاسية فى القريب العاجل وحتمًا سيفوز هتلر بمنصب الرئيس..ومعنى ذلك أننا سوف ندخل فى عصر ديكتاتورى بغيض.. ويعلم الله هذا المجنون هل سيقود العالم إلى حرب أخرى.؟

ألبرت - لعنة الله على الحروب وعلى كل من يشعلها..الحروب يشعلها الساسة ولا يدفع ثمنها إلا الشعوب.

بن- بالمناسبة سوف نؤجل رحلتنا إلى نينفشيا إلى بعد ثلاثة ايام لتكون رحلتنا الجمعة القادمة بدلًا من الخميس ولقد اتصلت بمرشدنا وأخبرته بذلك..

دان - وما الداعى لذلك يا مستر بن.؟هل كان هناك أى سبب يستدعى التأجيل؟

بن- نعم فهناك فرد ما سوف ينضم إلى البعثة.

دان (غاضباً)- ماذا تقول.؟ ومن سيكون هذا الشخص.؟ وهل أنتم من تقررون من ينضم إلينا دون حتى الرجوع وأخذ رأينا فى هذا الأمر.؟أنا أعترض ولو وصل الأمر إلى رجوعى لندن فسأعود.

بن- مهلًا يا مستر دان إن هذا الشخص ليس بغريبا عنك..بل أقرب إليك أكثر مما تظن.

ألبرت- من ذلك الشخص إذن يا مستر بن؟

بن - على الرغم من أن الشخص طلب منى إلا أوضح شخصيته حتى يخبرك بنفسه إلا أن غضبك الآن يدفعنى للإفصاح عنه إنها البروفيسورة روزاليندا..

دان (مندهشًا) - وما علاقة روزى بذلك وكيف وصلت إليها أو كيف علمت أنها سوف تأتى؟

بن - مهلًا يا مستر دان..إن الآنسة روزى ووالدتها البروفيسورة اليزابيث هم من توسطوا إلى السير شارلز شاؤل لتدعيم بعثتكم..وأود أن أشير لك أننا إذا لم نجد جدية من بعثتك ما كنا مَوَّلنَاهَا من البداية..ولو كان الملك جورج بنفسه هو من توسط لتمويل بعثتكم..أما كيف عرفت ذلك فالمسألة بسيطة وصلتنى برقية منذ ساعة تخبرنى فيها بوصولها إلى بكين صباح الخميس القادم..ولذلك أجَّلتُ رحلتنا لأنها تنوى مشاركة الرحلة معنا.

ألبرت- ولكن ما العلاقة التى تربط بينكم وبينهم لتكون لهم تلك الكلمة المسموعة للسير شارلز؟

بن- أرجو أن تعفينى من الإجابه يا مستر ألبرت.

دان - أستأذنكم سوف أتريض قليلًا بالخارج..الجو هنا أصبح لا يطاق.

وخرج إلى زحام البشر..وعلى الرغم من اندهاشه من الأمر ككل إلا أن ذلك لم يمنع قلبه من الخفقان بشدة عندما تخيل أن روزى ستكون أمامه خلال يومان..لا يدرى ما السبب الذى جعلها تتوسط لدى السير شارلز وطلبها الوصول إلى بكين قاطعة كل مئات الكيلومترات للوصول إلى بكين..هل يكون ذلك لمجرد رؤيته ومشاركته تلك الرحلة التى يود أن يثبت فيها نفسه فقط؟ام أن الأمر يتعلق فعلًا بجديتها فى الإنضمام لهذا البحث العلمى.؟هو يرى أنهم لازالوا حتى هذا اليوم يدورون فى حلقة مفرغة لم يصلوا فيها إلى أىّ شىء.

جلس على أحد الكرامى الرخامية الموجودة فى الشارع الفسيح الذى يقع فيه الفندق بالاضافة إلى عدة فنادق تحمل نفس الطراز الصينى..ومن حوله ظهر الكثير من صور الرئيس الصينى كعادة أغلب الدول الشيوعية..أفكار كثيرة كانت تدور فى رأسه..تمنى من قلبه أن يخبره الراهب البوذى عند مقابلته أغلب الأسرار التى يود الوصول إليها.؟ولماذا لم يخبر رفاقه بموضوع المفاتيح المقدسة..أيتمنى أن يصل إلى الموضوع أولًا.؟ نور لا يهمه سوى السير على خطا أستاذه ادوارد..أما ألبرت يقلب الأمور من ناحية دينية بحته ويتنزه وليس فى ذهنه سوى التبشير فقط..أما بن فهو الأخر يريد نسب مجد لنفسه ولجريدة السير شارلز..وبالتالى لن يكون هناك إلا هو و روزى..ابتسم عندما شعر أنها ستشاركه أخيرًا حلم ما.

أفاق من تأملاته على يد تلمسه برفق التفت ففوجئ بنور يجلس بجواره ضاحكًا:

- ما بك يا صديقى تبدو مذهولًا كمن وجدت شبحًا.؟

- بل ما بك أنت يا نور.؟من المفترض أنّك فى غرفتك طريح الفراش من نزلة البرد التى ألّمت بك.
- نعم هذا ما حدث ولكنى عندما أفقت وجدت نفسى بصحة جيدة ربما كان ذلك بسبب الحساء المخصوص الذى أعده لى أحد الطهاه الصينين فى الفندق وطلب منى احتسائه والنوم بعد أن وضع لى القليل من الأعشاب..إن له مفعول السحر يا دان.
- ولماذا خرجت؟
- لم أجد أحدًا منكم فخرجت قليلًا أتنزه فى أحد المقاهى هنا..هيا بنا سأجعلك تشرب مشروبهم الوطنى..لتنسى أىّ شىء يزعجك.
- فى وقتٍ أخر يا نور فأنا لست مستعد لسماع أىّ ضجيج وأنت ترى بمجرد دخولنا مكان صينى ستجد أن هناك آلاف وآلاف من البشر الذين لا يَكُفُّونَ عن الثرثرة.
- ما بك يا دان.؟ أشعر انك لديك ما تُخفِيه..
- نعم يا نور هناك الكثير والكثير..رحلتنا إلى نينغشيا تأجلت إلى صباح الجمعة وذلك لوصول روزاليندا للإنضمام إلى رحلتنا وعلمت ذلك من بن التى أرسلت له برقية تخبره بوصولها صباح الخميس بعد غد واتضح أنها ووالدتها هما من توسطا لمستر تشارلز لتمويل رحلتنا.
- آه تذكرت تلك تفسير جملته حينئذ هم بعض الأصدقاء المشتركين الذى كان يخبرنا عنهم.
- يبدو كذلك.
- وهل هذا ما يضايقك ؟ كنا نشعر بالضيق لوجود بن وعلى الرغم من ثِقَلِ ظِلِّهِ إلا أننا اعتدنا عليه..ما حقيقة الأمر يا دان.؟

وَقَصَّ عليه دان كل ما يتعلق بعلاقته بروزى منذ أن وقعت عيناه عليها من عدة سنوات وكيف أنها تهرب منه كل مره..وربما تجرحه فى كثير من الأوقات دون قصد منها أو بقصد لا يعلم..كل ما يعلمه أن قلبه لا زال يدق بعنف كلما رآها..وظل يتحدث معه حتى اقتربت الساعة من منتصف الليل فعادا إلى الفندق.

*****

صباح يوم الخميس كان الجميع فى انتظار وصول روزاليندا إلى الفندق وفى تمام الحادية عشر تمامًا دخلت عليهم أخيرًا..كان وقع المفاجأة واضحًا على ملامح دان الذى هرول إليها مادًا يده إليها وكذلك بن الذى أخذ حقيبتها وصاح على أحد الخدم ليحملها إلى الغرفة التى قام بحجزها لها صباحًا..وقام ألبرت بتحيتها هو الأخر أما نور فقد حياها واستأذن فى الإنصراف قائلًا لروز:

- أنا فى قمة الخجل فلابد من انصرافى..اعذرونى فيبدو أن المرض عاودنى فجأة..نحمد الله على سلامتك يا مس سميث.
- فلتنادينى روزى كما يدعونى أصدقائى فأنا أكره الرسميات..أليس كذلك يا دان.

دان- نعم بالطبع..عليكِ أن تستريحى فقد كانت الرحلة بالطبع مُجْهِدَة.

روزى- ليس بالشكل الذى تتوقعه فأنا الآن فى قمة الراحة..كنت أود أن يكون قدومى مُفَاجَأة ولكن يبدو أن مستر بن قد أفسدها.

بن- إنه دان يا مس روزى..كاد أن يرحل إلى لندن بمجرد إخبارى له أن أحدهم سينضم إلى الرحلة معنا.

روزى- لديه كل الحق بالطبع..فليس بعد أن وصل إلى كل هذه الخطوات يأتى أحدهم ليشاركه نجاحه..لا تدرى يا دان أنَّكَ يومًا ما ستجعل بريطانيا تفخر بك.

دان- أنا فى منتهى السعادة يا روزى أننا سنتشارك أخيرًاشيئًا ما.

روزى- ومن يعلم يا دان ربما تكون مشاركتى القادمة أكبر مما تتوقع والآن هل لك أن تخبرنى بكل شىء يا عزيزى.؟

دان - يجب أن تستريحى بعضًا من الوقت ونبدأ ليلًا فى إخبارك كل شىء؟

روزي- لا لا أنا على أحرّ من الجمر..لا أُطِيْقُ الجلوس هكذا..فتلخبرنى.

نور- إذن سأذهب إلى غرفتى لأستريح قليلًا.

بن - فلتأخذنى معك يا مستر نور ونظر إلى ألبرت نظرة فهمها فأردف قائلًا:

ألبرت- ها.. نعم نعم..أنا لم أتناول فطورى بعد....سألاقيكم بعد الغداء.

وذهب الجميع مُفسحين المجال لدان الذى أخذ روزى ليجلسا على أحد المناضد البعيدة عن الضوضاء وبدأ يَقُصُّ عليها كل شىء..أخبرها بكل التفاصيل التى كان يحتفظ بها لنفسه طالبًا منها عدم إخبار الجميع بما أفاض لها من أسرار.

- وبذلك يا دان يكون هناك مفتاحان مقدسان..أحدهما سُرِقَ من كنيسة القديس بطرس والأخر مجهول الهُوِيَّة.
- تمامًا يا روزى..فنحن الآن تواجهنا مشكلتان..إحداهما فى أىّ مكان يوجد المفتاح المُقَدَّس الأخر..والمشكلة الأخرى أين يوجد هذا المُسَمَّى كهف الشيطان؟

- لن يُخبرك أحدًا إلا الراهب الموجود فى المعبد..وبالطبع لن يخبرك إلا بالخاتم المقدس الذى لديك.
- لن تصدق ما رد فعل الحكيم تشونج عندما أخبرته بتلك القصة ياروزى..أيكون كونفشيوس هذا بكل هذا التبجيل والإحترام؟
- أنت بالتأكيد تَهْذِى..كونفشيوس هو أول فيلسوف صينى يفلح فى إقامة مذهب يتضمن كل التقاليد الصينية عن السلوك الإجتماعى والأخلاق فقلسفته قائمة على القِيَم الأخلاقية الشخصية وعلى أن تكون هناك حكومة تخدم الشعب تطبيقًا لمثل أخلاق أعلى..وقد ظلت هذه الأفكار تتحكم فى سلوك الناس أكثر من ألف عام..ولقب بنبى الصين..و كثيرًا ما وصف كونفوشيوس بأنه أحد مؤسسى الديانات..وهذا تعبير غير دقيق إن لم يكن خاطئًا فمذهبه ليس دينًا..فهو لا يتحدث عن إله أو السماوات..إنما مذهبه هو طريقة فى الحياة الخاصة والسلوك الإجتماعى والسلوك السياسى ومذهبه يقوم على الحب..حب الناس وحسن معاملتهم والرِقَّة فى الحديث والأدب فى الخطاب..ونظافة اليد واللسان..احترام الأكبر سنًا والأكبر مقامًا..تقديس الأسرة وعلى طاعة الصغير للكبير وطاعة المرأة لزوجها..ولكنه فى نفس الوقت يكره الطغيان والإستبداد ويؤمن بأن الحكومات إنما أُنْشِئَت لخدمة الشعب وليس العكس..وأن الحاكم يجب أن يكون عنده قِيَم أخلاقية ومُثُل عُلْيَا..وما لبثت تعاليم كونفوشيوس يا دان أن ترسخت فى كل مكان وانتشر تلاميذه وكهنته فى كافة أنحاء الصين..واستمرت فلسفة كونفوشيوس تتحكم فى الحياة الصينية قُرَابَة عشرين قرنًا.
- عشرون قرنًا وما زال الناس هنا يقدسونه إلى هذه الدرجة.؟ ما سبب تعلقهم بهذه الصورة؟

- إيمان أهل الصين بفلسفة كونفوشيوس فيعود إلى سببين..أولا أنه كان صادقًا مخلصًا..ولأنه شخص معقول ومعتدل وعملى..وهذا يتفق تمامًا مع المزاج الصينى..بل هذا هو السبب الأكبر فى انتشار فلسفته فى الصين..لم يطلب إليهم أن يغيروا حياتهم أو يثوروا عليها..وإنما أكد لهم كل ما يؤمنون به فوجدوا أنفسهم فى تعاليمه..ولذلك ظلت فلسفة كونفوشيوس صينية..ولم تتجاوزها إلا إلى اليابان و كوريا..ولكن هذه الفلسفة قد انحسرت تمامًا عن الصين..بعد أن تحولت إلى الشيوعية واتجهت الصين إلى المستقبل وانتزعت نفسها من هذه الديانة.
- وذلك بالطبع للمد الشيوعى والتطور العالمى فى المفاهيم القدسية.
- بالطبع يادان.
- لقد أبهرنى الرجل حقًا..يبدو أنى لم أُقَدِّرَهُ عندما رأيته..فى المرة القادمة سوف أركع أمامه (ضاحكاً).
- لا تستخف بمبادئه وقيمه يا دان..
- لا لا على العكس كل ما أقصده أنى سأتعلم مبادئه وأقترب أكثر من التعاليم المقدسة.
- عندما ننتهى فيما جئنا من أجله..سترى فى المعابد البوذية ما هو أكثر من التعاليم.
- إذن كل ما علينا الآن هو الإنتظار إلى ما بعد عودتنا من نينغشيا.
- أنا لا ارى أىّ فائده من تلك الرحلة عبر الكهوف هناك يا دان..لقد أخبرتنى سابقًا أن الألمان بحثوا فى كل هذه المناطق فكيف لم يصلوا إلى شىء ونحن سنصل؟
- أخبرت نور بذلك وكل ما قاله أنه ربما نكون أوفر حظًا لأننا نسير على الدرب الصحيح.
- أنا لا أثق فى أىّ شخص فى البعثة يا دان؟

- بالمناسبة أود أن أشكرك على ترشيحك لنا لمستر شارلز لتمويل بعثتنا..
- لا داعى للشكر المهم فقط النجاح..والآن أستمحيك عذرًا سوف أذهب إلى غرفتى لأنى بدأت فعلًا أشعر بالتعب.
- بالطبع سأوصلك حتى باب الغرفة يا روزى.

و قاما من مكانهما بالبهو الرئيسى للفندق حتى وصلا إلى غرفتها..ألقى عليها التحية وانصرف وهو فى أشد حالات الفرح والسعادة..ولكن على الرغم من ذلك..كان يشعر بشىءٍ مُبْهَم يدور بخاطره..شيئًا ما لا يدرى ما هو ولكنه كان كفيلًا بأن يقلب الأيام القادمة رأسًا على عَقِب.

*****

فى المساء اجتمع الجميع على العشاء وسط الإبتسامات والمُجَامَلَات المُصْطَنَعَة وكان واضحًا جدًا من تصرفات دان أنه يهيم عشقًا بروزى التى كانت أيضًا تهتم به لكن ليس بالشكل الذى يتمناه..الوحيد الذى كان يشعر بابتساماتها المُصْطَنَعَة هو نور..وحاول العديد من المرات أن يتحدث إلى دان فى أمرها لكن دون فائدة..استأذن الجميع فى الإنصراف بعد أن أخبرهم بن بموعد قدوم لى غدًا فى السابعة صباحًا للسفر إلى جبال نينغشيا حيث كهوفها فى منطقتها الصحراوية حيث سيقيمون فى أحد أكبر كهوفها تشعبًا كما خطط لهم المرشد السياحى فى رحلة عبر الأنفاق بداخله فربما حالفهم الحظ فعليًا.

كانت الساعة تشير إلى التاسعة مساءًا عندما صعد الجميع إلى غرفهم لتجهيز حقائبهم وما هى إلا دقائق حتى فزع نور بدقات سريعة متتاليه على باب غرفته ودان وهو يصرخ خارجها.

- ما بك يا دان؟ ما الذى حدث؟
- لقد سُرِقَ يا نور..لقد سُرِقَ الخاتم؟
- يا إلهى.؟سُرِقَ..!!كيف سُرِقَ ومتى.؟
- لا أدرى.؟ أخر مرة رايته عندما كنت معك بالخارج ورجعت إلى غرفتى فوجدت العلبة الزرقاء الموجود بها ولكنى لم أفتح العلبه..الآن فقط عند تجهيزى للحقائب لم أجده بل كانت العلبة فارغة.

خرج ألبرت وبن على صوت دان فى الممر بين الغرف..دخل الجميع إلى غرفة دان..ووجدوا أن الغرفة لم يظهر عليها أىَ آثار للسرقة.

بن – أخبرتك يا مستر دان..أخبرتك أن هناك من يعبث بغرفنا وأنت لم تهتم.؟أخبرتك أن أحدهم يبحث عن شىءٍ ما بالغرف وأنت تحتفظ بهذا الخاتم فى تلك العلبة الزرقاء دون أن تُخْفِيَهُ حتى.؟ فلتخبرنى إذن كيف سنتصرف.؟ وكيف سنقوم برحلتنا إلى التبت دون الخاتم.؟

ألبرت- مهلًا يا بن الرجل لم يقصد تعريضه للخطر ولكن لم يعى أن الخاتم مطمع للكثيرون.

دان- أصبحتم جميعًا تُسْدُونَ النصائح الآن..لو كان الخاتم فى حوزة أحدكم لتمت سرقته أيضًا..أما كيف سنكمل رحلتنا للتبت فلا أعلم.

بن - سأذهب لِأُبْلِغْ الشُرْطَةَ ربما يكون هناك أحد الموجودين بالفندق له سجل إجرامى فى سرقة الغرف.

وبالفعل ذهب بن إلى أمن الفندق ليقوما بإبلاغ الشرطه..وما هى إلا دقائق حتى لحقت بهم روزى..بعد أن أخبرها بن بسرقة الخاتم المُقَدَّس.

روزى- يالك من شخص مهمل..كيف تحتفظ بهذا الخاتم فى خزانة ملابسك ظاهرًا للعيان.؟ أىَ عامل تنظيف يدخل الغرفة ويجده سوف يأخذه.

نور - لا يا مس روزى إن الخاتم ليس مُهمًا..الخاتم تكمن قيمته من الناحية الدينية فقط..وأعتقد أن أحدهم درس جيدًا الغرفة وعرف مواعيد دان ومتى يخرج منها ومتى يدخل حتى دخل وسرق الخاتم.

روزى- متى أيها التَعِس سُرِقَ منك هذا الخاتم.؟

دان- روزى من فضلك أنا لا أسمح لكِ أنتِ الأخرى بتوبيخى هكذا..قلت لكم أنا لا أدرى متى سُرِق كل ما أعلمه أنى أرى هذه العلبة يوميًا ولكنى لم أفتحها لأرى الخاتم إلا الآن أثناء تجهيز حقائبى فلم أجده..هل شعرتى بالراحة الآن؟

حَاوَلَت أن ترد روزى بعد أن تَخَضَّبَ وجهها بالإحمرار ولكن طرقات مُتَتَابِعَة على باب غرفة دان الجمتها..فتح دان باب غرفته ليجد شرطيان صينيان ومعهم شخص من أمن الفندق يتولى الترجمة بالإضافة إلى بن..خرج الجميع تاركين دان مع الشرطة للتحقيق فى الأمر ليدخل الجميع إلى غرفة بن المُقَابِلَة لهم.

وفى داخل الغرفة تراصت العديد من الأوراق التى تحتوى على خرائط وعدة صور لمناطق جبلية معلقة على حبل أُعِدَّ خِصِّيصىً لوضع الصور عليه..بدأ نور يتطلع إلى الصور الموجودة على الحبل..وجوه أطفال..صينين فى الشوارع..مزارعين..صور لألبرت ودان وحتى لنور شخصيًا..كان بن مولى ظهره إلى نور وكان يتحدث مع ألبرت وروزى..استمر فى مشاهدة الصور حتى فوجئ بصوره اندهش من رؤيتها..كيف.؟ بل متى تم أخذها.؟ هذه الصورة كانت تؤكد شكوكه ومخاوفه..نظر حوله لم ير أحد ناظرًا إليه..مد يده بعفوية وأخذ الصورة المُعَلَّقَة دون أن يشعر به بن ووضعها فى جيبه.. وتظاهر بأن شيئًا لم يحدث.

****

صباح اليوم التالى كان الجميع فى الطريق إلى نينغشيا تلك المقاطعة التى تقع فى شمال الصين.

لى - تلك المقاطعة تُعتَبَر من أكبر المُقَاطَعَات الموجودة فى الصين وبها أكبر عدد من الأقلِّيَة المسلمة يا مستر نور ويتدفق عبرها النهر الأصفر..يمتد على طول حدودها الشمالية الشرقية سور الصين العظيم..تبلغ المسافة بينها وبين بكين حوالى خمسمائة كيلو متر سنقطعها فى ثمانى ساعات وسوف نقف فى عدة استراحات وهى...

قاطعه دان بفظاظة :

- لى من فضلك لا نريد أىَ شرح لأىً شىء..كلنا لدينا ما يكفينا من ضجر..فاعذرنا وألزم الصمت وإذا وددنا الإستفسار عن أىّ شىء سنخبرك فلا تقلق.

لى- أعتذر يا مستر دان..أعتذر لكم جميعًا أنا فى خدمتكم دائمًا (وغاص فى كرسيه والتزم الصمت).

كان كلًا منهم لديه فعلًا ما يكفيه من الضجر..أمًا أكثرهم فكان دان..فكيف فشل فى الإحتفاظ بهذا الخاتم الذى كان سيكشف الكثير من الأسرار..والآن هو لا يعلم فى حوزة من.؟ هل أحد من أصدقائه.؟ هل أحد عمال الفندق.؟هل أحد كان يتتبعهم وعرف أهمية هذا الخاتم.؟أيكون أحدهم رآه وسرقه دون أن يدرك أهميته؟عشرات وعشرات من التساؤلات والتى لن يجيبه عليها أحد؟

ولكن فعلًا ما يؤلمه هو طريقة مُخَاطَبَة روزى له أمام الجميع.

أما هى فلم يكن يشغلها سر الخاتم المسروق بل كانت تفكر إلى ما هو أبعد من ذلك..فى تلك المفاتيح المقدسة..فاذا كان هناك كما يقول دان أسطورة

تتحدث عن ذاك الراهب البوذى الذى حبس الشيطان أو كائن من جوج وأغلق الباب بمفتاحين إلى الأبد وتمت سرقتهم..فإذا كانت أحد تلك المفاتيح فى الفاتيكان فى كنيسة القديس بطرس فأين المفتاح الأخر.؟ أىَ كنيسة لا تقِلُ أهمية عن الفاتيكان.؟ألبرت ذاته لا يعلم وقد سألته عن أهم الكنائس الموجودة فى العالم حاليًا..فلم يجب.

أما ألبرت فكان يَغُطُّ فى نومٍ عميق لا يقطعه سوى ارتجاج السيارة لصعودها أحد المرتفعات الصخرية..فما يلبث أن يفيق حتى يغلبه النُعَاسُ مرة أخرى.

ونور لم يطرف عينه قط عن روزى..كان يريد أن يفهم تلك الشخصية التى أمامه كيف تتظاهر بهذه الرقة بينما من داخلها هى من أشرس ما يكون.؟كان لا يريد الإصطدام بها فى أىَ وقت من الرحلة..ولكنه يعلم أن الصدام قادم لا محالة..وعليه أن يضع ذلك فى حسبانه.

وبعد حوالى ساعة راح الجميع فى سُبَاتٍ عميق إلا أحدهم..وإن تظاهر بالسُبَات..ينظر فى ساعته كل فترة..ويراقب الطريق من خلفه دون أن يشعر به أحد.

كان يعلم أن هناك من ينتظره فى بلدة ينغتسن وهى أول استراحة ستقف بها السيارة..مد يده إلى حقيبته الصغيرة ليتحسس الخاتم المسروق..

واحتضن الحقيبة فى هدوء وأكمل تظاهره بالنعاس

****

وبالفعل لم تمض ساعة إلا وكان الجميع يجلسون على أحد المناضد بداخل الإستراحه بينما وقفت روزى تتمطأ لتفرد يداها إلى أقصى ما تستطيع الوصول إليه وبدأت فى التثاؤب قائله:

- سأذهب لأسير قليلًا بعد تلك الجلسة التى كادت أن تُيَبِّسَ أطرافى.

ألبرت- إننا لا نزال فى بداية الطريق يا بنيتى والأمر سيزداد صعوبة كلما صعدنا إلى أعلى فالبلدة تقع على ارتفاع كبير عن سطح البحر.

دان – هيا يا روزى سأسير معك.

روز(غاضبة)- قلت سأسير وحدى..أفضل السير بمفردى..أريد أن أُصَفِّ ذهنى ولا اريد أن أفكر فى شىءٍ قد يُنَغِّصَ علىّ بقية الرحلة فلتنتظر هنا.

وبالفعل أسرعت الخطو خلف الإستراحة أما دان فغاص فى كرسيه أكثر من إحراجه بهذا الشكل.

ألبرت- إنها عنيدة كوالدتها تمامًا يا دان..سأقوم لإحضار القهوة هل تودون أن أحضر لكم شيئًا؟

نور- شكرًا يا مستر ألبرت سأذهب لأصلى وبعد ذلك سأشرب القليل منها..

دان - شكرًا يا مستر ألبرت..بالمناسبة أين بن؟

نور- لقد أخذ كاميرته وذهب بعيدًا ليقوم بتصوير بعض الجبال..(وقام من كرسيه ليسير خلف مستر ألبرت الذى سبقه واتجه إلى داخل الإستراحة)

تذكر نور أمرًا فعاد إلى دان وهمس له فى أذنه:

- دان أود أن أُسْدِىَ لك نصيحة قد تعمل بها أو لا..ولكن ابتعد عنها فهى تخدعك وإن تظاهرت بحبك فذلك لمجرد استدراجك فى الحديث.

- لماذا تقول لى هذا؟

- ألا ترى يا رجل كيف تعاملك.؟ هل الحب أعماك إلى تلك الدرجة.؟ أنها لا تفكر إلا فى نفسها وبنجاحها فقط أما أنت فتأتى فى مرحلة تالية وربما لن تأتى أبدًا.
- نور..من فضلك صداقتنا لا تسمح لك بالخوض فى الحديث عن روزى هذا شىء خاص بى أنا وهى..أنت لا تعلم أىَ شىء عن علاقتنا.
- إذن فلتخبرنى..هل أخبرتها بكل ما لديك من أسرار.؟ هل تلك الأشياء التى لا نعلمها نحن وأخفيتها عنا..هل أفضت فى ذكرها معها.؟
- أىُ أشياء.؟
- أنت تعلم جيدًا ما أقصد..شرودك بعد عودتك من حجرة الحكيم شونج كان يوحى بأن لديك الكثير من الأسرار..دان لماذا لا تشعر أنها قد تخدعك وأنها قد تكون ......
- دان (مقاطعًا)..من فضلك فلتكف عن الحديث عنها.
- اعتدل نور فى وقفته عندما لمح بن قادمًا مُبْتَسِمًا من بعيد مُشِيْرًا إليهم.
- سَأَكُفُ..ولكن تذكر أنه فى وقتٍ ما أخبرتك بذلك..وقتها لن ينفع ندمك.

وتركه وهو يلعن هذا المأفون فى سره عشرات المرات..أما دان فكان من داخله يود أن يضع حَدًا لتلك التساؤلات عن علاقته بروزى..لذلك قرر أن يواجهها الآن وما أن هَمَّ من على مقعده حتى أتى إليه بن قائلًا:

- لقد قمت بالتقاط عدة صور فى أماكن يستحيل أن تراها فى بريطانيا فذلك الوادى الممتلىء بتلك النباتات الصحروايه تُضِيْف ...
- اعذرنى يامستر بن سأذهب لأتريض قليلًا بدلًا من جلستى تلك..ستجلس عدة ساعات أخرى.

قام وسار فى نفس الطريق الذى سارت فية روز وما هى إلا لحظات حتى وجدها تقف مع رجلين صينيين اقترب منها سريعًا حتى وصل إليهما:

- روزى هل هناك من يُضَايِقُك.؟ هل أساء إليكِ هذان الرجلان.؟
- مهلًا يا دان أنا أبتاع بعض الأشياء..ألا ترى تلك السلع.؟

وبالفعل نظر دان من حوله فوجد أنه يقف فى سوق صغير به العديد من التذكارات السياحية ونظر إلى الرجلان اللذان بادلاه تلك النظرة السطحية فجلس على الأرض واختار تمثال صغير لبوذا وخاتم يشبه المفقود منه..فابتسمت روز على الرغم منها:

- أتعتقد أن هذا الخاتم شبية بخاتمك المفقود يا دان.؟
- لا بالطبع ولكن سأحتفظ به مع التمثال ربما تصيبنى بعض البركة فى تلك الرحلة الملعونة.
- بركة.؟ يبدو أن حرارة الشمس قد أثَّرَت على عقلك يا عزيزى..
- روزى..احذرى عندما تخاطبينى المرة القادمة أرجو أن يكون هناك حد فى التعامل بيننا..يبدو أن علاقتى بك قد أوحت لَكِ أنه قد يكون مسموحًا لك بتجاوز كل حدودك..ومُخَاطَبَتِى كَمُرَاهِق يستجدى مشاعرك..ترفضين حتى ليس هناك أدنى مشكلة فى ذلك ولَكِ مطلق الحرية..لكن أن تستمرى فى التحقير من شأنى بهذا الشكل فلن أسمح لكِ.
- يبدو أن فعلًا حرارة الشمس أثَّرَت على عقلك.؟ كيف تجرؤ وتُوَجِّه لى هذا الحديث.؟ أىّ حدود وأىّ علاقة وأى حب.؟أنت تُصِرُّ على معاملتى كحبيبتك وأنا أوضحت لك آلاف المرات أن العلاقة بيننا لا تتعدى سوى الصداقة فقط ولكنك تُصِرّ..وأريدك أن تفهم أن العلاقة بيننا عمل ولكنك لا تريد أن تفهم ذلك أبدًا..فهمت الآن..أنتَ صديق مقرب وزميل فى الرحلة ليس أكثر..وأنا إنسانة غير صالحة للحب..ليس هذا

رفضًا لك..بل للموضوع باكمله..أدركت الآن يا دان.؟ أرجو أن تُغلِقَ هذا الموضوع إلى الأبد وألا نتحدث فيه مرة اخرى.

تمنى دانٍ وقتها لو الأرض شُقَّت وابتلعته وحاول أن يرد ولكن غُصَّةٌ فى حلقه منعته من الحديث..وتركته وانصرفت أمَّا هو فظل فى مكانه عاجز عن الحديث ومن أمامه لازالت تلك النظرة البلهاء فى عينى الصينيان..ولكن فَزَعَهُ الأكبر عندما حَدَّثَهُ الصينى بإنجليزية قائلًا:

- لاتحزن سيدى لو إردت إحضار فتاة لك الآن سأُحضرها ولكن سوف تدفع بالطبع..وضحك الرجلان فما كان من دان إلا أن هرب من أمامهم بعد أن دفع ثمن التمثال والخاتم..

عاد دان مرة أخرى إلى تلك المنضدة فوجد الجميع إلا نور الذى تأخر وانتظره الجميع وما لبث أن أتى حتى ركبوا السيارة فى طريق الصعود نحو الإستراحة القادمة على بعد مائة وخمسون كيلو مترًا..كانت الساعة تشير إلى الثانية عشر والنصف ظهرًا وأمامهم ساعتين على الأقل للوصول إليها..لذلك وضع كل منهم رأسه على كرسيه وكان لكل منهم ما يشغله ولكن أكثرهم كان دان..فسمح لنفسه أخيرًا بدمعتين تنسابان من مقلتيه..ولكن مرارة الألم منعتاها من الإنحدار على وجنتيه فتسلتتاإلى جوفه..

لى- يا سادة سيحدث تعديل بسيط فى جدول الرحلة سوف نبيت ليلتنا فى الإستراحة القادمة والتى نصل إليها بعد ثلاث ساعات تقريبًا لوجود بعض الصخور التى تُعِيقُ طريقنا ولن نستطيع السير بأكثر من هذه السرعة البطيئة..لذلك سوف أرتب لكم الإقامة فى أحد الأماكن هناك.

ألبرت- وكيف عرفت يا مستر لى .؟

لى – من أحد السائقين القادمين من الإتجاه الأخر.

نور- ولماذا نقضى ليلتنا فلنستمر فى طريقنا حتى نصل إلى نينغشيا.؟

ل- كيف يا سيدى إننا لم نقطع سوى مائه كيلو متر والساعة الآن الثانية عشر والنصف وعلى هذا المعدل سنكون قد قطعنا نصف المسافة بحلول الرابعه ولو استمرينا فمعنى ذلك أن نسير فى تلك الصحارى ليلًا لهبوط الظلام سريعًا وهذا مستحيل خوفًا على سلامتكم..ما رأيكم؟

دان - فلتفعلوا أىّ شىء فلست مهتمًا سواء وصلنا الآن أو حتى بعد غد.

ل - حسنًا بمجرد اقترابنا من البلدة القادمة سأخبركم...نومًا هنيئًا.

*****

فى مساء تلك الليلة كان دان يَقُصُّ على نور كل ما حدث نهار اليوم وهما مستلقيان فى أحد الغرف الموجودة لدى أحد الأُسَر الصينية بعد أن رَتَّبَ لى إقامة ليلتهم أما بقيتهم فقد تكفلت بهم أحد الأُسَر الأخرى.

- لقد أخبرتك يا دان..ولكنك لم تلتفت لى..كنت أرى نظرة عينها إليك..لا يوجد بها أىّ شعور بالحب.
- ولكنى كنت غِرٌ ساذج يا نور..بمجرد رؤيتها أفيض معها بكل مشاعرى وأسرارى..طوال الطريق وأنا أُفَسِّرُ كافة مواقفها معى..طوال الطريق وقد راجعت مئات المواقف بيننا..فعلًا لم يكن هناك أىّ بادرة حب..كيف وقعت فى فخها يا نور.؟ لاأستطيع أن ألومها بل أنا المُلام..
- أتدرى يا صديقى..عندما تكون غارقًا فى الحب حتى أذنيك فإنه من المستحيل أن ترى عيوب نصفك الأخر..فوقتها تغشى عينيك سحابة سوداء تخيم على حواسك..وما أن تتنازل أول خطوة فى سبيل حبك فلن تشعر بنفسك وإلا قد بدأت سلسلة من التنازلات التى لن تنتهى إلا عندما تفيق من غيبوبتك..حينئذ سوف تنظر إلى الموضوع بنظرة

محايدة..نظره شخص أخر يسدى لك النصيحة..وقتها ستبدأ فى مراجعة نفسك ومواقفك عشرات المرات..لتندهش كيف لك أن تنازلت خطوة فخطوة..وستدرك كم أخطأت بدخولك هذه التجربة مع هذا الشخص بالذات..

- يبدو أنك أصبحت فيلسوفًا هذا الأيام يا نور.
- لست فيلسوفًا ولكنى أستنتج بعض النتائج من بعض البدايات الخاطئة..دان..هناك أمرًا أخر أريد إخبارك به بخصوص روزى ولكن أرجو أن يظل الأمر فى طَىّ الكِتْمان..
- أمر.؟ ماذا تريد إخبارى هذه المرة.؟هيا فإن المصائب لا تأتى فُرَادَى.
- هناك شيئًا ما بين روز وبن.
- شىء.؟ما طبيعة ذاك الشىء..لا تخبرنى أنها تَهِيمُ عشقًا بذلك القزم.
- ألا يوجد فى عقلك يا رجل إلا أحبت من وكرهت من؟ الحياة ليست حب فقط..انتبه ولتنس هذا الموضوع للأبد..هناك علاقة ما بينهم لا أدرى طبيعتها ولكن شيئًا ما مريبًا يدور فى الأجواء.
- فلتتحدث إذن ولا تُلْقِ لى بألغاز فعقلى لا يستوعب الان أىَ تفكير.
- انتظر..(وأخرج من حقيبته الصورة التى وجدها داخل غرفة بن)..انظر إلى هذه الصورة يا دان التى سرقتها من غرفة بن وأخبرنى ما رأيك؟

أخذ دان الصورة ونظر فيها مَلِيًّا..لم يجد فيها سوى وجه روزى المُبْتَسِم بجوار أحد التماثيل الرُخَامِيَّة الموجوده فى الميدان الرئيسى.

- وما فى هذه الصورة يا نور؟ وجه روزى الضاحك ..وتلك الغَمَّازَة التى..
- داااااااااان بربك.؟أىُ غمازة..اصمت أيها الأبله ولتخبرنى أين رأيت هذا التمثال.؟

- لا أتذكر طبعًا.
- هذا التمثال فى الميدان الرئيسى الموجود به ساحة الفنادق..أتتذكر عندما قابلتك فى الميدان منذ أيام؟
- نعم.
- هذا التمثال يوجد فى أخر الناحية الغربية من الحديقة المُطِلّة على الميدان وكان بين مكان جلستنا ومكانه حوالى عشر دقائق سيرًا.
- وما فى ذلك أيضًا..روز تتزهت وقام بن بالتقاطها.
- هذه الصورة أنا أخذتها من غرفة بن كما أخبرتك تلك الليلة التى اكتشفت فيها سرقة خاتمك..هذه الليلة التى وصلت فيها روز صباح اليوم..هذه الليلة المُفْتَرَض أنها مُتْعَبَةٌ من الرحلة وقامت بالذهاب إلى غرفتها..ألا تعلم أن تحميض الفيلم ذاته قد يحتاج إلى ست ساعات.
- نور لا أفهم أىَّ شىء فلتدخل مباشرة فيما تريد قوله.
- أريد القول بأن روز لم تكن فى بكين يوم الخميس بل قبل ذلك..وبكثير..
- ولماذا أخفت ذلك؟
- لا أعلم ولكن يبدو أنها قابلت المستر بن قبل ذلك ورَتَّبَا أمر دخولها معنا إلى الرحلة لسببٍ ما..ولم يكشفهم إلا اتخاذ هذه الصورة فى يوم من الأيام الأسبوع الماضى..دان هناك أمرًا ما يدور فى الخَفَاء لا أدرى به ولكن خذ حذرك يا صديقى..الآن حاول أن تنال قسطًا من الراحة فسوف يدق لى بابك بعد أربع ساعات فقط.

وتركه واستلقى على فراشه..ليحاول أن ينام بضع ساعات أما دان فكان يُقَرِّرُ شيئًا أخر ولكن فى انتظار الصباح.

* * *

الفصل التاسع

(كان يسمع أن من يقترب أَجَلُهُم يمر عليهم شريط الحياة أمام أعينهم وها هو شريط حياته يمر الآن ..لا يجد فيه أىّ شىء يَسُرّ ..حتى الله لا يعلمه ولم يؤمن به)

بدأت الرحلة مرة أخرى للذهاب إلى نينغشيا فى بداية بزوغ النهار..وبعد عدة ساعات أخبرهم لى أنهم على مشارف المقاطعة..والتى كانت أقرب إلى الطبيعة الصحراوية فى بعض مناطقها.. بينما ظهر على مرمى البصر مئات الأفدنة من المناطق الزراعية على ضفتى النهر الأصفر الذى يخترق تلك المساحات الخضراء فى تناسق عجيب..بينما لاح سور الصين العظيم فى الأفق مما أضفى على المشهد العام رهبة ما وخاصة عندما ظهرت مناطق الكهوف على يسارهم فى الطريق..

وصل الجميع إلى العاصمة نينغشيا فى حوالى الساعة الحادية عشر صباحًا ومنها أخذوا الطريق بجوار النهر الأصفر حتى وصلوا جميعًا إلى فندق ينتشوان..ولم تمض ساعة حتى كان الجميع فى بهو الفندق مرة أخرى بعد أن صعدوا إلى غرفهم ليغتسلوا ويقوموا بتغيير ملابسهم استعدادًا للرحلة إلى الكهف المنشود..وما هى إلا دقائق حتى ركبوا السيارة فى طريق الصعود إلى منطقة الجبال الصحراوية.

*****

وصل الجميع أخيراً إلى تلك الكهوف التى تمتاز بها نينغشيا وهناك فى داخل أحدها نجح إدوارد فى الوصول إلى أحد هذه المخلوقات..وبدأ الجميع فى النظر إلى عددها والتى يبدو أنه لا حصر له..أما خلف هذه الكهوف كان مناطق جبال ووديان..شعر الجميع بالرهبة والرغبة فى العودة من حيث أتوا وخاصة ألبرت الذى بدأ يشعر بقليل من التعب لمجرد التفكير أنه سيسير إلى تلك المنطقة.

قطع السكون الموجود فى المكان صوت لى وهو يقف فوق صخرة قائلًا:

- أرجو أن تعيروني انتباهكم يا سادة سوف نسير على أقدامنا قرابة الخمس كيلو مترات حتى نصل إلى منطقة الكهوف الموجودة على اليسار وسوف نبدأ رحلتنا داخل تلك هذه الكهوف..أود الإشارة أن السير داخل الصحراء والمعابد والطرقات شىء..والسير بداخل الكهوف شىءٌ أخر..هناك الظلام دامس..هناك العديد من الزواحف..يجب الإلتزام بالحذر وإشعال مصابيحكم..بداخل كل حقيبة معكم ستجدون مياه وحبل ومدية وعدة إسعافات أولية والعديد من المعلبات التى تكفى عدة أيام..مده رحلتنا ثلاث أيام وسوف يعود إلينا السائق فى منطقة تم تحديدها صباح اليوم الرابع بعد اجتياز تلك المناطق إلى الجهة الأخرى..واذا ضللنا الطريق فسوف نجد خلف تلك الجبال العديد من القرى وقتها سوف نسأل عن أىّ وسيلة مواصلات تُقِلُّنَا إلى فندقنا ينتشوان الموجود بنينغشيا تذكروا الإسم..ينتشوان..وسوف نصطحب معنا دليل لتلك الكهوف ومساعد لنا..سنكون ثمانية أفراد وسيتم السير اثنين اثنين..حتى نصل إلى الجهة الأخرى المحددة لنا..أرجو أن تنتبهوا إلى خطواتكم..إذاضللتم الطريق ستكون مشكلة لأننا سنعود للبحث عنكم وحينئذ سنظل نسير فى حلقة مفرغة..الكهوف واسعة بقدرٍ مُخِيف يا سادة فمن فضلكم أخر مرة..أحذركم..أحذركم انتبهوا إلى خطواتكم..سيرواخلفنا زوجين هل لأحدكم أىّ استفسار.؟

صمت الجميع فبدأ الدليل فى السير..اقترب دان من لى قائلًا:

- لى أريد منك أن تسدى لى معروفًا.؟ أريد شراء سلاح نارى.
- ماذا تقول يا مستر دان.؟ إن فى ذلك خطر شديد لك وقد يعرضك.

- لى..لا تسدى لى نصائح من فضلك..إن لم تحضر لى ما طلبت سوف أذهب وأشتريه بنفسى..
- لا تفعل ذلك بحق الإله..سوف تكون عرضة لرجال العصابات فى بكين أو فى أىّ مكان..إنك سائح وهذا فى حد ذاته مطمع لكثير من اللصوص.
- إذن فلتشتريه أنت..
- ولماذا تريده يا مستر دان.؟ أهناك خطرٌ ما تشعر به؟
- وأىُّ خطرٍ أشعر به أكثر من ذلك يا لى..وأنا أرى أن رحلتنا محفوفة بكثير من المخاطر والتى أنت نفسك تراها..وهذا السلاح لمجرد الدفاع عنا واستخدامه فى الدفاع فقط.
- إذن فلتترك لى هذه المهمة عدة أيام لبعد عودتنا.
- اتفقنا وأرجو أن يظل ذلك سرنا حتى لا يشعر الجميع بالذعر من وجوده معى.

كان الطريق يزداد صعوبة كلما اتجهوا ناحية الكهوف..مما أثار تعب الجميع إلا الدليل الذى كان يسير كماعز جبلى يجرى على أرض منبسطة..بينما الكل يسارع الخطا خلفه وقد قَسَّمَا أنفسهم كما أخبرهم لى..فكان فى المقدمة الدليل والمساعد..ومن خلفهم كان لى ومستر ألبرت والذى يطلب كل فترة الجلوس على أحد الصخور الموجودة فى الطريق ليلتقط أنفاسه تاركًا حقيبته ليحملها له لى..ومن خلفهم كان بن يسير مع مس روز وكان يتبادلان أحاديث جانبية فشلت كل محاولات نور للتنصت عليهما..وفى الخلف كان نور ودان الذى لم يتكلم طوال الطريق..كانت الساعة تشير إلى الثالثة والنصف عصرًا والشمس قد أصبحت فى الأفق البعيد فى طريقها للغروب بعد عدة ساعات..ولكن تأثيرها على الرمال الصفراء زاد من حرارة الجو وخاصة مع عناء حمل الحقائب..وهكذا ظلوا

فى السير حتى لاح لهم أخيرًا فى الأفق الكهف المنشود بعد أن كان لى ينظر كل فترة إلى منطقة الكهوف ويقرأ العلامات الموجودة فى الخريطة المرسومة أمامه ويقف دقيقتين ثم ينظر يمينًا ويسارًا طوال الطريق حتى التفت أخيرًا ناظرًا إلى نور مشيرًا إلى أحد الكهوف الكبيرة والذى كان على ارتفاع أكثر عن سطح الأرض..وبمجرد وصولهم إليه بعد خمس عشرة دقيقة أخيرًا..نزع الجميع حقائبهم للجلوس والراحة فى مدخل الكهف وبدأ المساعد تينغ فى إعداد الطعام..وما هى إلا دقائق بعد انتهاء وجبتهم والراحة حتى بدأ الجميع رحلتهم داخله..كان من الداخل أكبر بكثير مما كانوا يتوقعون..اقترب الدليل من لى وأخبره ببعض كلمات.

لى- أخبرنى سونى دليلنا فى الرحلة أن هذا الكهف من أكبر الكهوف الموجودة وسنمر من خلاله إلى المنطقة الأخرى الجبلية..هناك مناطق خطرة بداخل هذا الكهف فيجب توخى الحذر كما أخبرتكم.

نور- أسنعبر إلى الجهه الاخرى خلال ساعات الليل فقط يا لى.؟

لى - لا تتعجل يا مستر نور إن الكهف أكبر بكثير مما تتخيل ولن نعبر إلى الجهة الأخرى إلا بعد عدة كيلومترات من السير لن أخبركم بها ولكن أتمنى أن تكون الرحلة مفيدة وتجدون فيها ما تبحثون عنه.

روز- أشك فى ذلك يا مستر لى فوجود دليلك هنا ومعرفته بالطرق التى سنسير فيها معنى ذلك أن هناك العشرات ممن اجتازوا هذه الأماكن كرحلة ترفيهية..وبالتالى فإنه من المستحيل أن نجد أثرًا ما أو إشارة تدل على وجود أىّ مخلوقات هنا.

لى - وما الحل من وجهة نظرك يا مس روز.

روز- لتخبره أن يسير بنا من الطرق الجانبية التى تصلنا فى النهاية إلى الناحية الأخرى ولكن من طرق لم يسير بها أحد..هل يقدر على ذلك.؟

لى - سأخبره بذلك ولكن قد يكون الطريق ذاته محفوفًا بالمخاطر.

روز- ولماذا اخترناكم إذن.؟إن رحلتنا ليست عادية فهى محفوفة بالمخاطر وعلى ذلك قررنا أن نسير فيها للنهاية ولكل شىء ثمن يا لى.

لى- مس روز اسمحى لى أنا يهمنى فى المقام الأول سلامتكم وليس المال.

بن- لى فلتفعل ما تقوله روز من فضلك ولا تقلق سوف تمر الأمور بسلام.

لى – حسنًا يا سيدى..(واتجه نحو الدليل سونى الذى بدا رافضًا فى أول الأمر لكن بعد فترة من حديث لى وافق أخيرًا) .

لى – لقد وافق سونى يا سيدتى ولكن يحذركم أنه فى حال فقدكم بداخل أحد الكهوف فلن يعثر عليكم أحد ولو استعنا بالجيش الصينى بأكمله

روز- حسنًا وأنا على أتم استعداد.

و بالفعل بدأ الجميع فى السير بعد أن نظر لى إلى دان وكأنه شعر لماذا كان يجب منذ البداية وجود سلاح نارى بالفعل.

بدأ الجميع فى السير بداخل الكهف والذى نبتت صخور حادة بداخله أشعل الجميع مصابيحهم الكهربية بعد عدة مئات من الأمتار فى طريق يبدو أنه لا نهاية له..كان الجميع فى سكون ينيرون الطريق أمامهم إلا روز التى كانت تبحث عن شىءٍ ما فى الجدران فلم تجد إلا تلك الصخور الصماء..وبعد فترة تغيرت تلك الصخور الحادة لتتحول إلى صخور متجمعة فى تكوينات مُغطِيَةً أشكالًا أكثر رعبًا بداخل الكهف..كانت الساعة تشير إلى السادسة مساءًا وذلك معناه أنهم ظلوا ساعتين سيرًا على الأقدام فى هذا

الممر ولكنهم لدهشتهم لم يشعروا بأى اختناق وهذا يدل على وجود عدة فتحات تهوية فى عدة أماكن أخرى بداخل الكهف..كان الممر يصعد بهم إلى أعلى دون أن يشعروا.

ظلوا هكذا يسيرون فى مجموعات خلف دليلهم..حتى وصلوا جميعًا إلى كهف أكبر بكثير جدًا فكان سقفه يبعد عنهم قرابة التسع أمتار..وأمامهم على الجدران نبتت العديد من الطحالب الغريبة الشكل..اقتربت روز وأخذت عَيِّنَة من الطحالب ووضعتها فى حقيبتها..افترش الجميع الأرض وبدأ تونغ فى إعداد الطعام وعلى الرغم من إحساسهم بالشبع إلا أن لى أخبرهم أنه يجب تناولهم الطعام المخصوص فى مواعيده لهم حتى لا يشعر أحدهم بأى تعب.

لى- هناك يا سادة عدة تفريعات للكهف..كان من المفترض أن نسير فيه حتى نصل فى النهاية إلى الجهة الأخرى..ولكن لإصراركم سوف نأخذ أحد هاتين الفتحتين فأما إحداها تصل أيضًا إلى الخارج ولكن بصعوبة لأننا سنمر على مناطق صخرية أرضية حادة فإذا ما قُدِّرَ لأحدكم الوقوع فهو مكسور لا محالة..أما الناحية الثانية فهى تهبط بنا إلى مكان ليس معلومًا ولا يدرى سونى أىّ شىءٍ عنه وخوفًا من أن نضل الطريق فلن نسير فيه.

روز- هو ذا..من فضلك يا لى هو ذاك الممر الذى ننشده.

لى (صارخاً)- لا بالطبع يا مس روز لن أسمح لكما.

روز- أنت فى موقع لا يسمح لك أن تقول نعم أو لا..أنت مجبر على إيصالنا إلى ما نريد إننا فى رحلة استكشاف ولسنا رحلة سياحية..وهدفنا فى المقام الأول هو البحث عن آثار وأنت لا تفهم أن بمرورنا فى أماكن سار فيها عشرات من الأشخاص فإنهم بذلك يطمسون كل ما نبحث عنه.

لى - أولًا أنا لست مجبرًا يا سيدتى إن ما يهمنى فى المقام الأول هو إيصالكم إلى بر الأمان..ليس لى شأن بأى استكشاف أو ما تقومون به ما يهمنى هى سلامتكم فقط وأعتقد أن زملائك بالرحلة لن يوافقوك الرأى..

روز- ليس لك شأن بزملائى فلتقل أنك خائف من السير فى تلك المنطقة.

لى - لى لا يخاف أبدًا يا مس..ولكن اسألى زملائك فإن وافقوا فأنا معكم..

روز - جميل جدًا من منكم يوافقنى الرأى (ونظرت إلى الجميع).

أجابها بن - أنا معكِ بالطبع أما ألبرت فنظر إلى دان ونور ولم يُعَقِّب وقال ليس لى رأى فأنا معكم فى الحالتين..بينما رفض دان بالطبع.

بن - إذن فلتخبرنا برأيك يا مستر نور؟

نور- ممم..اعذرانى يا سادة فأنا مُلْزَمٌ بتحقيق حلم أستاذى الراحل..أنا موافق يا مس روز.

تهللت أسارير روز - أرأيت يا مستر لى..موافقون..فلنبدأ.

لى - حسنًا تذكروا جميعًا إن حدث لأيٍ منكم أىَ مكروه فلست مسئولًا عنه..أنتِ يا مس روز ستكونى السبب فى هلاك أحدهم فى وقتٍ ما.

روز- (مبتسمة) لا يهمنى يا عزيزى لا يهمنى فعلًا.

اقترب تينغ فى وضع الطعام فى أوانى خاصة وبدأ فى توزيع الطعام عليهم..اقترب لى من دان قائلًا:

-أنتَ لديك كل الحق بمجرد رجوعنا سوف أحضر لك سلاح نارى فورًا.

****

كانت الساعة تشير إلى الثامنة مساءً! وقد حل الجميع التعب من السير عدة كيلومترات فاقترح نور عليهم أن يبيتوا ليلتهم فى نفس المكان ليبدأ الجميع صباحًا السير فى الإتجاه المنشود..وافق الجميع وأشعل سونى مع تينغ نارًا..حيث بدأت حرارة الجو فى الهبوط داخل الكهف ونام الجميع بينما ظل تينغ وسونى يتناوبان حراستهم ليلًا.

وبعد عدة ساعات فزع الجميع على صراخ روز وهى تناديهم من داخل الكهف المشئوم كما أطلق عليه سونى..هرع الجميع إليها لم يجداها إلا بعد عشرات الأمتار وهى تقفز وتُشِيرُ إليهم بمصباحها الكهربائى وتصيح بأسمائهم.

جرى الجميع إليها حتى سونى الذى غافلته ودخلت الكهف بمفردها وما أن وصلوا إليها حتى وجدوها جالسة على الأرض بجوار أحد الجماجم البشرية الضخمة وعدة عظام.

روز- أرأيتم.؟ ها نحن فى الطريق الصحيح.. تلك هى آثارهم..انظروا لحجم الجمجمة.

دان- ليس هذا دليلًا أنه من جوج..التكوين الجسمانى لا يدل على ذلك.

روز- أنت لم تعلم التكوين الجسمانى لهم..أعتقد أن هذا يشبه المخلوق الذى عثرتم عليه يا نور.

نور- (كان نور فى هذه اللحظة جالسًا يفحص الجمجمة بمصباحه) لا أدرى الحقيقة يا روز..فحجم الرأس هنا أقل..وكذلك الرأس يبدو أنها مُهَشَّمَة كنتيجة لضربة قاتلة تلقاها هذا المخلوق المسكين.

روز- صِغَر حجم الرأس قد تكون أنثى يا نور.

بن – إنكم لم تلاحظوا شيئًا أخر جوار العظام..إن عظم الساق على بعد عدة أمتار ومُقيَّد بسلسلة حديدية وُضِعَت تحت حجر هائل..مما يشير أنه تم احتجاز هذا المخلوق وقتله على ما أظن..(وأشار بمصباحه للناحية الأخرى للجدار)

روز- هذا لايمنع أنه من عائله جوج.

دان- إنك لم تدرسى علم الاجناس يا مس روز..هذه الجمجمة تعود إلى أحد أجدادنا الأوائل وليس بأى شكل من الأشكال جنس النايندرتال حيث تشير المعلومات الكثيرة التى جمعت عن أجدادنا أن أول البشر ظهر فى جنوب إفريقيا..هذه النظرية تجعلنا نعيد التفكير بتاريخ التطور البشرى..لأنه كان سابقًا يعتقد أن أول من هاجر من أفريقيا إلى آسيا وأوروبا شخص طويل القامة ذو عضلات..وذو رأس كبير مقارنة بالآخرين..

روز – وما علاقة ذلك بتلك.؟

دان – لا توجد علاقة..هو من الجوج..أنتِ مقتنعه برأيك ومتشبثة به فليكن كما تريدين.

وتركهم ليذهب حيث مكانه الأول..اقترب ألبرت من روز قائلًا:

ألبرت – أعتقد أنه على صواب يا بنيتى.

روز – فليكن سأحتفظ ببعض الآثار..لأنى أحتاج العديد منها فى أبحاثى.

وبالفعل شرعت فى أخذ بعض من آثار العظام وبعض العينات الموجودة معها..وبدأ الجميع فى مساعدتها..حتى أخذت كل ما يكفيها من عينات وبدأوا رحلة العودة ولكن عند وصولهم اكتشفوا عدم وجود دان.

*****

أما دان..فبعد أن انصرف غاضبًا سار فى طريق العوده ولكنه وصل إلى طريق به ممران..فاحتار فى الأمر ولكنه لم يريد المغامرة فقرر العوده حيث اجتمع الجميع أمام الجمجمة فعاد مرة أخرى وظل يسير حتى اكتشف أنه سار أطول مما ينبغى..وأنه فى طريقه لفقد آثارهم داخل النفق فَهَدَأ من روعه قليلًا وبدأ يقترب من الجدران الملساء ويضع أذنيه عليها حتى يسمع أصواتهم ولكن دون جدوى..وقتها لم تطاوعه كرامته على الصياح عليهم..بدأ يتتبع خطواته مرة أخرى حتى وصل إلى المكان الأول الذى فيه تفريعتان..كان يعلم أنهم فى الجوار فى مكانٍ ما لكنه أدار ضوءه فى جميع الإتجاهات حتى رأى ممر صغير لم يسير فيه..تقدم نحوه واحتار فى أمره هل يظل فى مكانه حتى يكتشفوا غيابه ويبدأوا فى البحث عنه أم يسير هو إليهم.؟ أخذته العزة بالإثم..فاختار أن يبحث هو عنهم وبدأ فى السير داخل الممر وهو يرسل ضوئه إلى أخر مداه فلا يجد إلا انعكاسه على الجدران الصماء التى أمامه..بدأ فى التوتر أكثر فأكثر وخاصة عندما وجد أن تنفسه يزداد صعوبة مما يعنى عدم وجود هواء فى تلك المنطقة مما يزيد الأمر سوءًا ويؤكد أنه فى الإتجاه الخطأ..احتار أكثر فى أمره وقرر العوده مرة أخرى فى نفس مكانه وعندما بدأ طريق الرجوع اكتشف أنه داخل حلقه جدارية وهو يدور داخل دائرة..اخذ ينظر إلى خطواته حتى قادته إلى خارج تلك الدائرة كان هناك القليل من الهواء الآتى من بعيد..تقدم نحوه وهو يشعر بالإختناق وكلما تقدم كلما شعر بتيار أكثر من الهواء وكلما تقدم كان يشعر أن الأرض تهبط به حتى وصل أخيرًاإلى مكان فسيح قليلًا بدلًا من الممرات الضيقة..شعر أن قدماه ثقيلتان..وأنه الآن فقط ضَلَّ طريقه ربما للأبد..استند إلى الجدار الحجرى المُقَابِل له وأغلق عينيه ومصباحه حتى لا يضعف لأن الطريق لا يزال طويلًا.

وبدأت الأوهام تسيطر عليه..كان يشعر بأنفاس ثقيلة إلى جواره فيفتح مصباحه فلا يجد شيئًا فتركه مضاءًا..كان يسمع أن من يقترب أجَلَهُم يمر عليهم شريط الحياة أمام أعينهم وها هو شريط حياته يمر الآن ..لا يجد فيه أىّ شىء يَسُرّ..حتى الله لا يعلمه ولا يؤمن به..وكان يرفض الطريق إليه..فها هو الآن يشعر أن أجله سوف ينتهى فى القريب العاجل..حاول أن يرفض ذلك الواقع فنهض وبدأ فى السير والرجوع إلى مكانه الأول حاول كثيرًا ولكنه لم يُفلِح.

وتدريجيًا بدأ التعقل فى الذهاب ليغزو مكانه التوتر والقلق بل والرعب..ليس لديه لا طعام ولا شراب والضوء ما هى إلا ساعات ويذهب أيضًا إلى الابد..كان يرفض الجلوس وانتظار الموت..بدأ فى التحرك أكثر وأكثر وهكذا ظَلّ لمدة ساعة يسير فى اتجاهات متضاربة أملًا فى العثور على نقطة التفرع التى بدأ منها دون جدوى..بدأ يحاول أن يتذكر كل الصخور أو الطريق الذى أتى منه..حتى بدأ ضوء مصباحه فى الخفوت.

بدأ طريقه فى الصعود مرة أخرى ولكنه اصطدم بحائط صخرى قضى له على كل آماله فى النجاه..وقتها بدأ فى الصراخ والصياح على مجموعته لعلهم يسمعوه..ولكن لا يوجد حتى صدى لصوته..لا يوجد إلا الصخر الأصمّ..حتى الضوء البسيط بدأ فى الخفوت تدريجيًا حتى انتهى..وأخيرًا ظلام دامس لا يرى فيه كف يده..وبدأت صرخاته الملتاعة بصوتٍ أعلى..بدأ فى الرعب أكثر وبدأ يجرى يمينًا ويسارًا..يتحسس الصخور والجدران يقع ويتعثر وينهض ويتعثر مرة أخرى..لم يناله سوى ارتطام رأسه بالصخر المدبب ودمه الذى بدأ يسيل على وجهه..كان يشعر بشبح الموت قريبًا منه..قريبًا لدرجة أن صوت أنفاسه كانت إلى جواره..وقتها فقط شعر أن

هناك ميتة بشعة فى انتظاره..حاول أن يدعى الله أن ينجده ولكن كيف بعد سنين كفره وعدم إيمانه به؟

ساعات وساعات وهو يحوم كالفأر فى المصيدة دون أىّ طريق للخروج وقتها هوى إلى الأرض جثة هامدة فى انتظار الموت..التصقت أذناه بالأرض عندما أغمض عينه فى انتظار نصيبه المحتوم..خُيّلَ إليه أنه يسمع همهماتٍ بأصواتٍ تأتى من تحت الأرض..فتح عينيه عن أخرهما لعلهم يكونون أصدقائه ولكن لذعره اكتشف أن تلك اللغة والهمهمات بلغة غريبة التكوين..كأنها تصدر من الحلق وليس الفم..أيُعقَل أن يكون بالقرب من جوج..!!

كان مجرد التفكير فى هذا الإستنتاج يملئه رعبًا وخاصة عندما شعر أن هناك جسداً ما يقترب منه..وشعر بشىءٍ ما يلتفُّ حول قدمه مما جعله يهب مفزوعاً ويرفص هذا الشىء بقدمه الأخرى ليرطمه بالجدار المقابل ليسمع صرخة ثم بكاء طفل..

تَجَمَّدَ الدم فى عروق دان ولعن اليوم الذى قرر فيه استكمال هذه المغامرة الحمقاء وخاصة عندما بدأ يسمع ذلك الصوت..أطفلًا كان أو امرأة لا يدرى.. ولكنه كان يُصْدِرُ همهماتٍ تقترب منه..صوتٌ يتحدث بهدوء ثم يعلو فيصرخ..ثم هدوء أخر..للأسف لم يدرك دان أن هذا الشىء يصيح على بقية قومه..إلا عندما شعر أن هناك العديد من الأصوات قادمة..بدأ دان فى الزحف وهو يكتم أنفاسه خوفاً من افتضاح أمره ولكن بعد عدة أمتار لم يشعر بنفسه إلا وقد هوى فى حفره ألقت به فى غرفة أخرى..ولحسن حظه لم يقع على أىّ صخور بل وجد نفسه محاطًا بالكثير من الأعشاب الجافة..كان هناك ضوءًا ما يأتى من بعيد يُلْقِى بظلال على الغرفة الحجرية وما فيها..ظَلّ فى مكانه قرابة الخمس دقائق وقتها اعتادت عيناه الظلام

تدريجيًا..وقتها أبصر المكان الموجود حوله ولدهشته الشديدة وجد أن تلك الأعشاب مُلْتَفَّة فى ترتيب معين موجود بالغرفة..كانت اسطوانية الشكل كل مجموعة بجوار بعضها البعض وكانت تتفاوت فى الطول..كان الهواء ثقيلًا جدًا بالغرف مع رائحة تُزكِم الأنفاس..اقترب من الحشائش لكنه توقف عندما شعر أنه فى مقبرة جماعية وأن لا يوجد أمامه إلا بعض الجثث المدفونة والموجودة بداخل تلك الحشائش والتى تم دفنها بطريقةٍ ما على حسب شعائر تلك القبائل المجهولة وهذا معناه أنه فى الجوار قبائل تعلم تقاليد الدفن ولديها العديد من الأفكار البشرية حتى وإن كانت بدائية..تَحَيَّرَ فى أمره أيذهب ناحية الضوء وليكن ما يكون أو ينتظر فى مكانه حتى يتم اكتشاف أمره من أصدقائه..ولأن اختياراته كانت خطأ فى كل مواقف حياته فقرر أن يذهب ناحية الضوء.

****

كان لى يصرخ فى الجميع يمينًا ويسارًا ويحاول أن يوجه سونى وتينغ فى البحث عن دان..أما ألبرت وروز فقد تركهم فى مكان المبيت أملًا فى استقباله حين عودته..كانت روز تبكى وهى تشعر أنها المسئولة عن فقدان دان وخاصة عندما بدأ لى يوبخها بأشد الألفاظ وهى لم تقدر على النطق بينما ظل ألبرت يتلو صلواته.

بدأ الجميع التوجه فى السير حيث يخبرهم سونى وهو يقتص أثر دان الذى بدا فى بعض الأماكن يدور حول نفسه وهم يحاولون بصعوبة السير فى نفس الإتجاه الذى سار فيه مع ترك بعض العلامات ليسترشدوا بها فى طريق العودة هذا إن قُدِّرَ لهم العودة كما كان لى يُوَبِّخُ نفسه أنه كيف انساق وراء تلك العالمة المُخْتَلَّة.

كان نور في أشد حالات القلق على صديقه وهو ينظر برعب إلى تلك الكهوف الداخلية ويشعر أن هناك من سيظهر لهم في أيّ وقت فكان يُسَلِّطُ ضوءه دائمًا على تلك الجدران الصخرية بينما كان بن محتفظًا بكاميرته كالعادة وهو يسير من خلف نور حتى أنه صرخ فجأة ففزع الجميع وخاصة نور الذى كاد أن يُغشَى عليه.

بن – انظروا إلى هذا النقش.؟

نظر الجميع ناحية ما كان يشير بن فوجدوا نقوش على تلك الجدران واقترب الجميع منها..وفحصها نور ولكنه لم يُعَقِّب بينما هتف بن أنها نقوش حجرية أرى أنها تعود إلى آلاف السنوات..إن ذلك اكتشاف في حد ذاته يا أصدقائى..لابد من إحضار البروفيسورة روزاليندا إلى هنا.

لى- مستر بن..من فضلك أنا أبحث عن رجل مفقود واذا لم نتحرك سريعًا فسوف نفقده في تلك الكهوف إلى الأبد فمن فضلك دعنا الآن في مهمتنا وبعد ذلك سوف نحضر الجميع لمشاهدة نقوشك اللعينة.

لم ينطق بن لشعوره بالخزى..ولكنه طلب من نور تسليط ضوء مصباحه على تلك النقوش وقام بتصويرها من كل زاوية متاحة.

نور- من فضلك يا مستر بن..هيا من فضلك.

- ما بك يا نور.؟ دقيقة أخرى و سنمضى..ما بك ترتجف هكذا.؟ أرأيت شيئًا ما.؟
- لا.. ولكنى أشعر بضيق في التنفس فقط.
- حسنًا هيا لقد اكتفيت بما صورته..أرجو فقط أن يظهرا بوضوح أثناء التحميض فأنت تعلم أنه ليس هناك أىّ ضوء كاف وهذا.

لى (صارخًا)- من فضلكم هيا لن نبقى طوال الوقت بجوار النقش.

استمر الجميع فى السير تاركين مرة علامات صخرية فى طريقهم..لكن مرات عديدة كانوا يدورون أيضًا فى حلقة مُفَرَّغَة..نظر لى فى ساعته كانت تشير إلى السابعة صباحًا أىَ أنهم فقدوا دان منذ أربع ساعات تحديدًا عندما دخلوا الكهف مُسْرِعِينَ على صيحة روز..وها هم الآن يبحثون دون جدوى..بحث الجميع على أحد الكهوف المخفيّة فى طريق العودة أو مكان لم يدخلوا فيه فلم يجدوا.

استمروا فى البحث مرات ومرات..حتى أعلن لى الكَفَّ عن البحث عندما حَلَّت العاشرة صباحًا واكتشف أنه يدور دائمًا فى حلقة مُفَرَّغَة..ست ساعات كاملة وهم يدورون ويدورون فى نفس الدائرة..فأصَرَّ على العودة من حيث أتوا وليخرج الجميع خارج هذا الكهف الملعون حتى يتم إبلاغ الشرطة وفرق البحث والتى كان يعلم من داخله أن ذلك بلا أىَ جدوى..وأنه فقد دان إلى الأبد..

كانت خطواتهم ثقيلة من عدم وجود هواء بوفرة داخل الكهف وشعر الجميع بالدوار..حتى طريق العودة كادوا أن يضلوه لولا ظهور بعض العلامات الإسترشادية الإحتياطية التى كانوا يقومون بها..كان نور يشعر من داخله أن هناك من يعبث بتلك العلامات حتى يَضِلُوا الطريق أو حتى يفقدوا أثر دان إلى الأبد ولكن على الرغم من ذلك حمد الله على أنهم عثروا أخيرًا على طريق العودة..فقد أجبر على الدخول فى تلك الأماكن على الرغم من عقدته من رُهَاب الأماكن الضيقة والتى أخفى سِرَّهَا عن الجميع.

والآن عليهم مهمة أكثر صعوبة وهى إبلاغ ألبرت وروز بفشلهم فى المهمة..وعندما لاح الجميع لألبرت هرول ناحيتهم ليسألهم عن دان وينظر خلفهم لكن دون أىّ جدوى.. ولكنه صُعِقَ عندما نظر خلفهم.

وبعد أن أخبرهم لى بحقيقة الوضع وقع الأمر على رؤوسهم كالصاعقة وخاصة روز الذى استمرت فى البكاء بعد أن شعرت أنها السبب فيما حدث لدان..أمرهم لى أن عليهم حزم متاعهم الآن ليبدأوا فى رحلة العودة سريعًا لإبلاغ فرق البحث دون أن يسمح لأحد بمعارضته.

وبالفعل بدأ الجميع فى التحرك ناحية الخروج بينما سار بن مع روز محاولًا أن يخفف عنها الشعور بالذنب الذى كان يطغى عليها وسط ابتسامة نور المتهكمة اقترب ألبرت من نور الذى كان ينظر باستهزاء إليها

ألبرت- نور..لماذا لا نعود ونبحث مرة أخرى؟

- لقد بحثنا عشرات المرات يا ألبرت دون جدوى..فأنت بمجرد سيرك عدة أمتار بداخل هذا الكهف الشيطانى فإنك تدور فى حلقة مُفَرَّغَة لا خروج منها لدرجة أنك لا تعلم مدخل الكهف الذى دخلت منه أو سوف تخرج منه..إنها متاهه لا خروج منها..أدعو الله أن يستطيع دان الفكاك بشكلٍ ما منها .
- أتدرى يا نور هناك شيئًا أود إخبارك به حدث قبل قليل.
- أىُّ شىء يا ألبرت؟
- وأنا استقبلكم منتظرًا عودة دان من وراءكم..أقسم لك أنى رأيت مخلوقًا غريب الشكل يشبه الإنسان إلى حَدٍّ كبير يزحف على الأرض خلفكم..لم أبصره جيدًا فيبدو أنه جفل منى أو جفل من مصدر الضوء العالى هنا..كنت أشعر أنى أهزى أو لم أرى جيدًا.

- لا يا ألبرت لا تخبر أحد بذلك..ربما خُيِّلَ لك من تأثير الظلال الموجودة..فلو كان هناك أىّ مخلوقات بداخل هذا الكهف لكنا قد رأيناها يا عزيزى..أو حتى هجمت علينا.
- نعم..لديك حق فى ذلك.اعذرنى فأنا مُجْهَد من تلك الرحلة التى يبدو أنها ستكون مأساوية فى نهاية المطاف.

صمت نور وهو يربت على كتف ألبرت..بينما من داخله كان فى أشد حالات الرعب رغم كذبه عليه..فقد شعر طيلة الوقت وهو بداخل الكهف أن هناك من يتبعهم.. بل ورأى خيال كائنًا زاحفًا على بطنه.

*****

بدأ دان يقترب من الضوء الآتى من بعيد ولم يرض بالمكوث فى تلك المقبرة الجماعية والتى بدت أنه لا نهاية لها إلا فى أخر الممر..اكتشف أن تلك الغرفة متصلة بممر ضيق فى أخره مصدر ضعيف للضوء..لصق جسده بالجدار حتى لا يدوس بأقدامه أحد تلك الجثث وجاهد بصعوبة حتى وصل أخيرًا إلى الممر الذى كان بالكاد يكفى أن يزحف خارجه..استلقى على بطنه وبدأ يزحف على يديه..كان بطول حوالى ثلاثون مترًا وبدأ فى رحلة الذهاب للمجهول ولكنه كان الطريق الوحيد للخروج إذا قُدِّرَ له الخروج.

استمر فى زحفه قرابة الأربع دقائق بعد أن امتلأ وجهه بالتراب والحصى الصغير الذى كان يقطع جلد يديه..لكنه استمر فى الزحف حتى وصل أخيرًا إلى غرفة صخرية..فرد قامته بمجرد الوصول إليها وكان الضوء الضعيف يغمرها رأى أن هناك خمس ممرات تشبه الجحور تمامًا وبنفس شكل النفق الذى سار فيه فعلم أنه فى أماكن الدفن لتلك القبائل..حاول أن يرى

أىّ مكان أخر للخروج لكنه لم يجد..ولكنه لغبائه اكتشف أن الضوء يأتى من اعلاه وليس من جانبى الغرفة..

كان سقف الغرفة قريبا جدًا من رأسه ومنه رأى أن هناك فتحة تكفيه للصعود منها اقترب بهدو ء وحذر فلم يجد أىّ أصوات..رفع رأسه بهدوء كان الضوء هناك أكثر قليلًا فيبدو أن ضوء الشمس يتسرب من مكانٍ ما فى الجوار وأن هناك عدة شروخ فى الكهف يسرى خلالها ضوء النهار..رفع يديه ليستند إليها حتى يرفع ثقل جسمه ليخرج من تلك الفتحة الموجودة وبالفعل خرج منها ليجد نفسه فى مكان فسيح جدًا والشروخ تنقل إليه ضوء الشمس الذى كان يغمر المكان..نظر إلى ساعته كانت تقارب الثامنة تمامًا..شعر بالظمأ ولكن هيهات أن يجد ماء فى هذا المكان القفر ولكنه تذكر أن هناك قبائل أخرى تعيش فى مكانٍ ما بالقرب منه فلابد من وجود مصدر للماء..كان فقط يشعر بالخوف من ظهور أحدهم أمامه..وعندما نظر فى كافة الأرجاء حوله لم يجد أىّ أثر لأى شخص..لكن السبب بالطبع هو ضوء النهار..فتلك المخلوقات ليلية وأعينهم لا تتحمل الضوء المباشر..وبالتالى فهو فى أمان إلى أن تغرب الشمس..وعليه أن يجد طريقه للخروج فى أقرب فرصة.

لم يكن ضوء النهار يغمر المكان بالكامل فهناك فى جوانب الكهف الكثير من العتمة والتى كان لا بد من السير فيها..نظر فى الجوار فوجد عصا خشبية تُقَارِبُ المتر والنصف مَدَّ يَدَهُ لأخذها ولكنه توقف فى اللحظة الأخيرة عندما وجد أن تلك العصا لم تكن سوى عظمة كبيرة لشىء ما..لكنه تماسك وأخذ تلك العظمة لتكون سلاحًا له على الأقل فى حالة الدفاع عن نفسه..سار عدة أمتار فى اتجاه ممر رئيسى وظل فى السير بمحاذاة الحائط

يحاول أن يسمع أىّ همهمات ولكن دون أىّ جدوى..وهكذا ظل فى السير ساعات دون أن يسمع أىّ شىء أو حتى يخرج من هذاالكهف الملعون.

كانت الساعة فى يده تشير إلى الثانية عشر ظهرا وقد بلغ التعب منه مدى لا يمكن الهروب منه فقد أنهكه السير والبحث والدوران حول نفسه منذ تسع ساعات لم يذق خلالها نومًا ولا طعامًا أو شرابًا..كان يريد فقط لو استراح نصف ساعة ليبدأ رحلة البحث عن مخرج ولكن أين.؟ كم تمنى أن يكون معه مصباحه الآن..ظل فى مسيرته تلك يقف حينًا ويسير أحيانًا ويجلس مستندًا على أحد الحوائط الصخرية حتى سمع صوت خرير مياه.

لم يصدق أذنيه فى بادئ الأمر لكنه ظل يضعها على الجدران حتى أصبح الصوت أكثر وضوحًا وخلف ذلك الجدار تحديدًا..أخذ يدور حول الجدار كالمجنون حتى لمح فتحة صغيرة فى الجدار تعبره إلى الجانب الأخر لكنها فى ظلام دامس..ولكنه ليس لديه ما يخسره فهو فى الحالتين مفقود وفى طريقه للهلاك فدخل فى تلك الفتحة وزحف على بطنه حتى وجد نفسه فى أكثر مشهد كان يتمناه على الإطلاق.

كانت الفتحه تنتهى عن منحدر صخرى و كان أسفل منه على بعد ثلاث أمتار جدول صغير يجرى تم تكوينه من الشقوق الحجرية فى الجدار المقابل والتى كان شبح ضوء النهار يسبل من بعض فتحاتها وكذلك كان هناك بعض الشقوق الأخرى يسيل الماء منها إلى الجدول مُطلِقًا رزازًا بسيطًا..كان له وقع السحر على دان..كانت العقبة الوحيدة أمامه هى بُعْد الفتحة عن الأرض الصخرية فإما أن يُغَامِر دان ويقفز داخل المياه وربما كانت ضحلة فتنكسر ساقه..أو يُنْزِلَ ساقيه أولًا ثم يقفز مقتربًا من الأرض..وقد كان..وفى النهاية قفز حتى وصل إلى جانب الجدول.

التفت يمينًا ويسارًا ممسكًا عصاه العظمية مستعدًا لأى حركة مُبَاغِتَة من أىّ شيءٍ بجواره ولكن لم يجد سوى السكون..اقترب من الماء وأخذ بعضه فى يده ليتذوقه أولًا..كانت المياه باردة ولم يتذوق فى حياته فى جمالها قط..ربما كان الظمأ هو ما جعله ينكفئ على وجهه ويشرب ويشرب وكأنه لم يرى الماء طوال حياته.

لكنه لم يشعر بالشيء الذى يقترب منه واضعًا يده على عينه لِيُخْفِى بعضًا من نور الشمس مقتربًا من دان فى صمت.

كان دان لا يزال يشرب مقتربًا من صفحة الجدول التى كانت الظلال تتراقص عليها وقتها خُيِّلَ إليه أن هناك كائنًا ما ينظر إليه فى الماء..جفل فجأة وتوقف عن الشرب وتيبست أطرافه عندما تيقن أن هذا الكائن يقف على يساره تمامًا..التفت دان فى هدوء مُمِيت على يساره ليجد شيئًا ما يقترب طوله من خمسين سنتيمتر واضعًا يديه على عينيه..حاول دان أن يقترب من العصا الموجودة خلف الكائن ولكن دون جدوى..حاول أن يتفرس فى ملامحه بينما اقترب الكائن منه فى سكون وهو يُصْدِر تلك الأصوات الغريبة من حلقه بالفعل وكان يمد يده ليتحسس كتفى دان..وقتها نظر إلى تلك الجمجمة التى أكبر من جمجمة الإنسان بمرة ونصف..ولا يوجد لديه أذنان بل فتحتان صغيرتان على جانبى الوجه الذى كان يشبه ثمرة الكمثرى تمامًا..كانتا عيناه ضيقتان بعيدتان تكادا أن تكونا بجانبى الوجه مع أنف بسيط بفتحتين صغيرتين فوق شفاه دائرية الشكل..أما رأسه فقد تكاثرت التجاعيد عليه بالطول وليس بالعرض..لم يتحرك دان بل ظل يرتعد دون أن يقوم بأى حركه قد تجعل المخلوق يغدر به..ولدهشته ابتسم المخلوق وهو يُطْلِق ذلك الصوت الذى كان يُجَمِّدُ الدم فى أطراف دان..ابتعد عن دان قليلًا وهبط إلى البِرْكَةِ ليشرب كما كان يفعل دان من فترة..حاول أن يراه أكثر فوجد يداه طويلتان تصلان إلى ركبتيه

وأطرافه تشبه إلى حَدٍّ كبير أطراف الإنسان..بدأ الروع فى الذهاب عنه رويدًا رويدًا حتى أنه جلس ليشاهد ما يفعله المخلوق..والذى افترش الأرض أمام دان بينما كان النور بعيدًا عنه فجلس فى منطقة بعيدة عنه وأخذ هو الأخر يتفرس فى وجه دان وَيُحَدِّثَهُ وَيُشِيْرُ إليه..ويبتسم..وقتها شعر أن المخلوق ما هو إلا طفل ويجب عليه ألا يخشاه..وبالفعل اقترب دان منه ومد يده ببطء ناحيته فما كان من المخلوق إلا أنه مد يده لامسًا يد دان الذى سرت قشعريرة فى يده.. فكان جلد المخلوق مُغَطًى بطبقة كثيفة تشبه قشور السمك..أشار له المخلوق أن يتبعه..وسار أمامه ووقف وأشار له أن يتقدم..وكأنما كان دان مسلوب الإرادة فقد سار خلفه وهو لا يعلم مصيره ولكن الفضول بداخله من المستحيل إيقافه.

ظل دان يسير وراء المخلوق قرابة الخمس دقائق فى ممرات فى منتهى الضيق وتكفى بالكاد أن يمر شخص واحد فيها وكلما نظر دان وراءه فى محاولة أخيرة للتفكير فى الهروب كان الطفل يلتف ناحيته هو الأخر ويصدر ذلك الصوت الغريب مشيرًا إليه أن يتقدم.

وصلوا إلى حفرة صغيرة فى أرضية أحد الغرفات الحجرية وأشار إليه الطفل أن يتقدم ويقفز..لكن دان ابتسم مُشِيْرًا إليه برأسه نافيًا ذلك..كرر المخلوق الطلب وهو يشير إلى دان بالقفز ..لكن دان أخذ يشير بيديه إلى الحفره صارخًا:

- لا.. ألاتفهم.؟كيف سأقفز أيها الغبى إن الحفره يبدو أنه لا قاع فيها.

أشار إليه الطفل مرة أخرى وأخذ فى الحديث وهو يشير بإصبعه ناحية شيئًا ما لم يتبينه دان..فاقترب أكثر هو ينظر إلى ما يشير..وفجأة ودون أىّ مقدمات وجد دان نفسه مدفوعًا إلى داخل الحفرة والتى لم تكن سوى ممر منزلق لا يدرى كيف صنعه والذى يشبه الأنفاق المنزلقة فى ملاهى الأطفال..

استمر الهبوط قرابة نصف دقيقة وهو فى أشد حالات الرعب وخاصة عندما لم يلمح المخلوق وراءه وما هى إلا ثوانٍ أخرى وهبط من الممر المنزلق ليجد نفسه داخل كهفٍ أخر..ولدهشته كان يوجد به نيران مُشْتَعِلَة..لم يتبين أن هناك من ينظر إليه بفزع فى أول الأمر ولم يشعر إلا ومخلوق ضخم أخر يقترب منه فى هيستريا وهو يهوى على رأسه بقطعة خشبية وهو يُطْلِقُ صُرَاخًا حادًا..

****

خرج عدد من رجال الشرطه خارج النفق ليذهب رئيسهم إلى لى الذى كان يسير أمام مدخل الكهف يمينًا ويسارًا وهو يلتفت إلى بقية المجموعة حيث كانوا فى أشد حالات القلق وهو ينتظرون رجال الشرطة الذين ذهبوا لاقتصاص أثر دان منذ أكثر من ست ساعات ولكن دون أىّ بادرة أمل..وبالفعل التف الجميع سريعًا حول الظابط الذى أخبر لى بأنه لا يوجد أىّ أثر لدان رغم بحثهم عشرات المرات فى كافة أرجاء الكهف باستعمال المصابيح القوية وحتى كلاب الشرطة التى استعانوا بها.

لم ينتظر الجميع ترجمه ما قاله الظابط بل لمح الجميع خيبة الأمل التى لا حدود لها فى أعين لى :

لى - لا يوجد أىّ أثر فالكلاب تقف عند نقطة معينة خلف الجدران وتظل تنبش دون وجود أىّ فتحة للدخول..هناك سِرٌّ ما داخل تلك الأحجار لا يمكن حلها..احزموا حاجياتكم فسوف أُلغِى الرحلة ولنعد إلى الفندق وندعو الله أن يخرج دان أو يميته ميتة لا عذاب فيها.

كان نور ينظر إلى روز بمنتهى الجِدَّة والتى حاولت أن تتلاشى الإصطدام به بينما ألبرت ظل يدعو الله ويبتهل لعله يجعل لدان مخرجًا أما بن فظل يكتب فى أوراقه جميع ما حدث.

****

أفاق دان تدريجيًا ولم تعتد عيناه الظلام الموجود..ثم شيئًا فشيئًا وعلى ضوء بعض النيران المشتعلة أبصر عيونًا كثيرة تُحِيطُ به..هَبَّ من رقدته جالسًا فوجد المخلوق الضخم الذى هوى بقطعة خشبية على رأسه يقترب منه ويبدو عليه علامات الأسف بينما قفز الطفل بجوار دان وهو يحاول أن يشرح له لكن دون أىّ جدوى..وضع دان يده على موضع الألم فوجد العديد من الأعشاب المغلية الموضوعة على رأسه.

فكانت هى من خففت نزول الدماء التى كانت تغطى قميصه..كان يشعر على الرغم من هيئة الجميع المُزعِبَة إلا أن الجو العام كان يوحى بالود والإطمئنان..وبدأ يلتفت حوله فوجده يجلس فى مكان فسيح ملىء بالعديد من تلك المخلوقات التى تشبه الإنسان إلى حَدٍّ كبير مع اختلاف حجم الرأس وطول اليدين والقوة الجُسْمَانِيَّة..بدأ أحدهم فى الحديث إليه..أشار دان يمينًا ويسارًا على أنه لا يعى كلمة مما يقوله المخلوق الذى يبدوا أنه فهم وصمت.

ولدهشة دان قرر المخلوق أن يفعل أخر شىء..فجلس على الأرض بجوار دان وبدأ فى الرسم بإصبعه على الرمال الموجودة..فغر دان فمه من الدهشة من صنيع المخلوق وبدأ يفهم ما كان يحاول قوله..

بدأ يرسم مثلث كبير وبداخل المثلث بدأ يرسم خطوط مستقيمة كثيرة بجوار بعضها..ومن خارجه بدأ يرسم دوائر..أشار ناحية دان وأشار ناحية

الدوائر ثم عاد مرة أخرى وأشار لصدره ثم الخطوط المستقيمة..وبعد ذلك مسح الرسم ليرسم ذات المثلث وقد دخلت الدوائر فيه ثم رسمًا أخر عدة دوائر حول أحد الخطوط التى أصبحت مستقيمة وكأنها تعتدى عليه..وبعد ذلك رسم دوائر فى كل مكان..

علم دان أن كل ما يقصده المخلوق أن هذا هو عالمنا وأنتم عالمكم خارج هذا المكان وأنتم عندما تدخلون فإنكم تقتلونا وتبيدونا..علم أن هذا المخلوق له فكر وتاريخ ومعرفة وليس بأى حال من الأحوال كائن همجى عدوانى ينتمى لجوج..مسح دان الرسم الموجود وحاول أن يُوَصِّلَ فكرته للمخلوق فرسم عدة دوائر..ودوائر أخرى خلفها..ثم رسم دائرة واحدة تدخل المثلث ثم مسح الدائرة ورسمها فى مكانٍ أخر بداخله وهكذا..ثم رسم خَطًا صغيرًا بجوار الدائرة وأشار إلى الطفل وابتسم.

زمجر المخلوق الضخم ومسح الرسم وقام واقفًا ناحية العديد من بقية قومه..كان ذلك المخلوق ينتمى إلى أحد السلالات البشرية النادرة والتى تسكن فى الكهوف منذ آلاف السنين ولم يعثروا على أىّ دليل مادى لوجودهم ولا ينتمى بأى حال من الأحوال لطائفة الجوج..فهذه القبائل كانت مسالمة ونباتية الأكل وكانت تتكاثر بطرق غريبة وبالفعل كان كل ما أخبر به روز صحيحًا وها هو الدليل المادى أمامه.

شعر أنهم يتشاورون نحو تقرير مصيره..اقترب الطفل منه وهو يبتسم مرة أخرى..وقتها شعر دان أنه كم يود أن يُحَطِّم تلك الرأس الصغيرة التى أودت به إلى هذا المكان.

اقترب أحدهم من دان وبدأ يشير إليه بأن يقوم معهم..نظر فى ساعته كانت تقارب السادسة مساءًا أىّ أنه قضى يومًا كاملًا داخل تلك الأنفاق..كان يشعر بالدُوَّار المستمر وهو يسير خلف المخلوق الذى أشار له أن

يتبعه..ومن خلفه كان هناك ثلاثة أخرون ويبدوا على ملامحهم الرعب دون سبب..لم يُدْرِك أىّ مصير سوف يُلْقُونَ به إلا عندما وجد الطفل يطلق صراخًا حادًا وهو يمسك بتلابيب دان وقتها عرف أنه فى طريقه إلى الموت المُحَقَّق..حاول أن يُقَاوِم ولكن دفعة من أحدهم جعلته يسير على الرغم منه..وهكذا ظلا فى المسير حتى وصلا إلى حائط أصَمّ وقفوا أمامه وبدأوا فى التضرع والإبتهال..شعر وقتها أنه فى سبيله ليكون قربانًا لأحد آلهتهم الوثنية..شعر برغبة شديدة فى البكاء..اقترب المخلوق الذى كان يحاور دان منه..بينما بدأ الثلاثة الأخرون يزحزحون الصخره وهم يطلقون صرخات تُصِمّ الآذانّ مما جعله يرتعد أكثر فأكثر..رفع المخلوق يده ناحية دان ووضعها على فمه بمعنى إلا يتحدث..أو ألا يبكى..أو شيئًا أخر لم يفهمه دان..ثم وضع يده على كتفه بعد ذلك..ومن خلف دان شعر بوجود تيار من الهواء البارد يلفح جسده من الخلف حاول الإتفات ليجد أخر مشهد كان يتوقعه..رأى السماء المُظْلِمَة والتى تراصت بها النجوم أمامه وأن تلك الفتحة ما هى إلا وسيله للوصول إلى عالمه..نظر خارجها فرأى النهر الأصفر يلوح فى الأسفل..وقتها علم أن تلك الرسالة ألا يخبر أحدًا بهم أو بسرهم..التفت ناحيته مرة أخرى أشار إلى فمه واضعًا يده وأشار بالنفى برأسه وابتسم..والتفت مرة أخرى ناحية الفتحة ولكنه تسائل عن كيفيه هبوطه إلى النهر..ولكن دفعة من الطفل القت به من ارتفاع عشرون مترًا حتى ارتطم بمياه النهر المتجمدة.



الفصل العاشر

(الأعداء أقرب إليك أكثر مما تتصور)

كانت رحلة العودة إلى ينتشوان من أقسى ما يكون على أعضاء البعثة فلم ينطق أيًا منهم بكلمة حتى روز التى كانت تشعر بتأنيب ضمير لا حدود له..ربما لأنها أصَرَّت على السير فى طريق ملىء بالمخاطر دون مراعاة ما قد يحدث..من داخلها كانت مقتنعة أنها عالمة فقط..كل علمها سخرته لمعملها وأبحاثها وليس لها فى المغامرات أو الرحلات الإستكشافية..كانت حياتها تسير على وتيرة واحدة هادئة..حتى اقتحم ذلك الغريب حياتها هى ووالدتها..كانت فكرته تتلاقى نظريًا مع ما كانت تحاول أن تقوم به طوال حياتها..جلسوا كثيرًا وكثيرًا فى معملها حتى أدُّوا سويًا عشرات التجارب ليصلوا إلى نقطة معينة..ولتحقيق ما يحلمون به رحلا سويًا إلى الصين..وخططا لتكون ضمن أفراد البعثة..لتحاول الوصول إلى تلك القبائل..وها هو فشل تلو الأخر..حتى وصلت إلى فقد دان..ربما كان الشخص الوحيد فى العالم الذى أحبها بصدق وكانت تصده المرة تلو الأخرى لأن الحب ليس له مكان بقلبها.

ولكن بعد ما حدث هذه الليلة جعلها تقرر العودة مرة أخرى لبلادها..ستذهب إلى فندقه اليوم وتبلغه قرارها الأخير..ومن الغد سوف ترحل إلى معملها ولتكمل أبحاثها الشخصية فى علم الوراثة.

وصلت أخيرًا إلى فندقها وصعدت إلى غرفتها..ولكنها فوجئت بعد دخولها بوجوده ينتظرها..اندهشت عدة ثوانى ولكنها تمالكت نفسها وحزمت أمرها وألقت حقيبتها بجواره على الأرض..واقتربت صارخة:

- اسمعنى جيدًا..أنا لست قادرة على الإستمرار بهذا الشكل..إن مكانى داخل المعمل وليس فى الجبال..لقد فقدت اليوم أكثر شخص أحبنى فى يومٍ من الأيام.

اقترب منها معتذرًا..جلس بجورها وشرع فى التخفيف عنها وبدأ فى الحديث.

****

- يشوان يتشتنوان ..شيشوانتان..

حاول دان أن يتذكر اسم البلدة التى يقيموا فيها أمام الجمع من رجال القرية الصينين الذين أنقذوا دان..بعد أن كان أحدهم يجلس فى قاربه وقفز لينقذه من الغرق ويعود به إلى القرية..حيث استضافه فى بيته وأعطاه ملابس جافة وتركه ليستريح حتى الصباح..وبمجرد ظهور أول ضوء للشمس هَبَّ من نومه فزعًا على إثر كابوس مَرَّ به..ليجد أحدهم فى انتظاره ولكنه فشل فى الحديث معه فلم يكن هناك أىّ شخص بالقرية يفهم الإنجليزية..حاول أن يتذكر اسم البلدة دون جدوى..

فكان اسم الفندق على اسم البلدة ولكن كان من العسير تذكر ذلك الإسم الصينى..فأخذ فى ترديد الإسم حتى اقتربت منه فتاة صينية.

- ينتشوان.؟
- ينتشوان.. نعم نعم هى تلك البلدة كيف أذهب اليها؟

تهللت أسارير دان وهو يحاول أن يُفهِمَهُم بلغ الإشارة أنه يريد أن يذهب إلى تلك البلدة..حتى اقترب منه شابان وطلبا منه أن يتبعهم.

شكر دان رجال القرية وبدأ فى الذهاب مع من تطوع إلى توصيله لأقرب مكان يستطيع أخذ أىّ وسيلة مواصلات حتى البلدة..كانت الساعة تشير إلى

العاشرة صباحًا وهو لا يزال فى السير منذ قرابة النصف ساعة حتى أشار له الشابان على محطة قديمة تلوح فى الأُفُق وبادلاه التحية ثم عادا أدراجهما.

لم يكن دان يتخيل أنها بهذا البُعْد..ظَلّ قرابه الساعة يسير تحت شمس الصين الحارقة فى هذا الوقت من الصباح حتى وصل أخيرًا إلى موقف قديم الشكل به عدة مقاعد حجرية وكشك خشبى إلى جوارهم..اقترب من العجوز الجالس ممسكًا جريدة قديمة يحاول أن يقتل بها الذباب الملتف حوله.

- ينتشوان.

لم يفهم العجوز فرددها ثلاث مرات حتى هَزَّ رأسه وأدرك ما كان يقوله دان..فأخذ يرد عليه بتلك اللغة الماندرينية التى يتحدث بها أهل الصين..ولكنه صُدِمَ عندما اشار العجوز إلى ساعته ورفع علامة خمسة أصابع فى وجه دان وهو يبتسم..مما أثار حيرة دان فهل تأتى العربه تمام الخامسة أم بعد خمس ساعات من الآن؟

كانت الساعة تقارب الحادية عشر..وفى كلا الحالات عليه الإنتظار على أحد تلك المقاعد فى انتظار مصيره..اقترب من أحد المقاعد الحجرية وجلس فى حين ظلت أحداث الليلة الماضية تطوف فى رأسه..ولولا هذا الجرح الموجود بجبينه من ذاك المخلوق الغبى لكان تأكد أنه فى حلم أو فى كابوس طويل..لكن على الرغم من قسوة تجربته واحتكاكه بنوع غريب من القبائل المنقرضة إلا أنه أقسم أن لا يبوح بِسِرّهِم أبدًا..على الرغم من أن ذلك قد يعتبر إنجاز علمى يقترن باسمه إلى الأبد..لكن لبساطتهم ورغبتهم فى عدم تدخل البشر فى حياتهم فهذا أفضل لهم..وحتى بالفرض أنه أخبر الجميع وحاول تحقيق هذا الإنجاز..إلا يدرك أنه سبقه رجال الجيش الألمانى أثناء

اقتيادهم لنور..وبحثوا عشرات المرات دون أن يلوح لهم أىّ أثر فى الأفُق..ربما كان السبب هو ما فعلوه أمامه..فهم لديهم قدرة ما على إخفاء أىّ كهوف أو ممرات خاصة بهم ببعض الكتل الصخرية المناسبة..وكذلك تلك المتزلقات الصخرية التى صنعوها بالداخل..كان يبدو أن بالداخل عالم أخر لكن لم تُتَح له الفرصة كاملة وكان يتسائل أهناك أىّ أمل ليكرر زيارته.

كان لديه العديد والعديد من الساعات المُمِلَّة فآثر أن يتمدد قليلًا على المقعد الحجرى فى انتظار العربة التى لا يعلم متى تجىء..بعد أن شار للعجوز أنه فى طريقه للنوم وإذا جائت العربة فعليه أن يوقظه.

ولدهشته فهم العجوز وما هى إلا دقائق حتى ذهب دان فى نومٍ عميق.

****

فى مساء تلك الليلة كان ألبرت يجلس فى غرفته فى انتظار اجتماعهم مع لى فى بهو الفندق فى تمام الساعة التاسعة..سمع طرقات على بابه وضع الجريدة التى كان يقرأها وقام لفتح بابه المغلق دائمًا بالمفتاح بناءًا على تعليمات الفندق..وما أن فتحه حتى وجد وجهًا غير مألوفًا لديه ويهتف بكل ترحيب:

- كيف حالك يا ألبرت.؟ لقد اشتقت إليك يا صديقى العزيز..ما بك مُحَمْلِقًا هكذا أنسيتنى يا رجل.؟

وقف ألبرت مشدوهًا لمدة دقيقة وما لبث أن فقد وعيه..

****

كان الجميع فى بهو الفندق ملتفين حول دان الذى كان فى حالة يُرثَى لها من التعب والإرهاق بعد رحلته فى العربة حتى وصل أخيرًا إلى ينتشوان ومنه وصل إلى الفندق..كان الجميع فى أشد حالات البهجة والفرح لعودته حتى روز كانت تبكى من فرط سعادتها لعودته..اما ألبرت فكان أشَدَّ سعادة من الجميع.

دان- قبل أن أقُصَّ عليكم أىَ شىء فلابد أن أتناول الطعام وأستَحِمَ وأُبَدِّل تلك الأثمال التى أرتديها وأزيل الغبار الموجود على رأسى وسأوافيكم هنا بعد ساعة.

روز- اعذرنى يا دان أنا لم أقصد كل ما فعلت.

بن- يالها من مفاجأة سارة بالفعل يا مستر دان..لقد شعرنا بالأسف جميعًا لفراقك ونحمد الله على تلك المفاجأة.

ألبرت- تظنون أن لديكم مفاجأة..أنا لدىَّ ما لن تصدقوه أبدًا.

ابتسمت روز و بن بينما اقترب نور من ألبرت متسائلًا:

نور- يبدو أن الجميع على علم بهذه المفاجأة..ما تخبئه لنا يا ألبرت.؟

ألبرت- ستعلم فى منتصف الليل يا عزيزى..والآن هيا يا دان فنحن فى انتظارك هنا لنعلم كل ما حدث لك بمجرد دخولك تلك المتاهة.

مستر ألبرت هوك..مستر ألبرت هوك..قالها أحد الخدم الصينين وهو يصيح داخل بهو الفندق.

ألبرت - إنه أنا ..نعم ما لديك.؟

- المحادثة التى انتظرتها فى انتظارك يا سيدى..

هب ألبرت معتذرًا بينما اقترب بن من الخادم الصينى ليسأله عن صاحب المكالمة الهاتفية فلم يجبه الصينى كل ما قاله هو مكالمة وارده لمستر ألبرت من بريطانيا كان فى انتظارها.

أما نور فقد تركهم ليصعد إلى غرفته وهو لازال يتسائل عن طبيعة تلك المفاجأة..والتى كشفت لهم فيما بعد خديعتهم الكبرى.

****

لم يكن لدى دان الكثير ليقصه على رفاقه فأخبرهم بما رتب من قصه رواها لهم من أنه كيف ضل فى طريق الرجوع إلى مكان مبيتهم ليجد نفسه فى أحد الأنفاق الداخلية والتى فقد فيها مصباحه ولكنه ظل يسير على ضوءٍ آتٍ من بعيد حتى وجد فتحة فى الجبل ومن أسفلها كان يجرى النهر الأصفر ..فقفز فيه وأنقذه رجال القرية حتى وصل اليهم أخيرًا..بينما انبرت روز وشرحت له كيف توصلت إلى بعض العينات التى كانت تؤيد كلامه من أن تلك الآثار هى لأحد القبائل البدائية والتى كانت تعيش فى هذه المنطقة ويبدوا أنها اندثرت أو توجد بعض الآثار البسيطة لبعض المخلوقات الشبيهة بالإنسان الأول والتى تعيش فى مكانٍ ما بالجوار..كانت لهجتها مختلفة تمام الإختلاف عما كانت منذ البداية وشعر دان بذلك..لكنه لم يعد مهتمًا بهذا الخفقان الذى كان يُذِيبُ قلبه قديمًا.

نور – والآن أخبرنا ما هى مفاجأتك يا ألبرت..(وبدأ فى إمساك معدته).

دان- ما بك يا نور أتشعر بشىء.؟

نور(وقد بدأ العرق يتصبب من وجهه)- أشعر بأمعائى تتمزق (وحاول أن يقف ولكنه تهاوى على المنضدة ليقع صريعًا على أرضية الفندق..ساد هرج

فى المكان وبدأ بن فى الصياح لاستدعاء النجدة بينما هَبَّ ألبرت ودان إلى نور الذى كان يبدو أنه فى نزعه الأخير وفى خلال دقائق وصلت عربة إسعاف لِتُقِلَّهُ سريعًا إلى المستشفى وسط اندهاش الجميع.

****

- تسمُم..حاله من حالات تسمم الطعام والتى تكثر بهذه الفنادق يا سادة يبدو أن صديقكم أكل كثيرًا من تلك الوجبات الصينية المقززة..لقد أنقذناه وهو يحتاج فقط للمكوث فى المستشفى هذه الليلة وفى الغد سيخرج معافىً..فلا داعى للقلق.

قالها الطبيب الإنجليزى الذى يعمل فى المستشفى الحكومى التابع لمكتب السفارة البريطانية فى ينتشوان .

ألبرت- ندعو الله أن يتعافى سريعًا لأننا فى حاجة إليه الأيام المقبلة.

دان- سأبيت فى المستشفى إلى جواره.

روز- لا بالطبع فهناك شخصًا ينتظرنا على أحرّ من الجمر.

ألبرت - هيا يبدو أننا سنظل نتحدث حتى الصباح فى الفندق.

وبالفعل سار الجميع إلى الفندق الذى كان خلف المستشفى بشارعين بينما كان ألبرت يسبقهم ويحثهم على السير وهو يبتسم ابتسامة عريضة أثارت قلق دان.

وفى مدخل البهو الخاص بالفندق استقبلهم بن وأشار لهم على منضدة بعيدة يجلس عليها شخصٌ ما..كان أقربهم إليه دان وهو يسير نحو المنضدة وما أن اقترب منه حتى رأى وجه مألوف لديه..كان يحاول أن يتذكر أين رأى

هذا العجوز والذى بدا فى أواخر السبعين من العمر..مَدَّ الغريب يده إلى دان..بينما تسارعت مئات الذكريات لديه.

- تذكرتك أنت مساعد البروفيسورة روزاليندا..نعم لقد رأيتك فى المعمل تقوم بتعذيب ذاك الحيوان المسكين وأنت من أفقدتنى الوعى.

ابتسم العجوز قائلًا: أعتذر لك أولًا على سوء الفهم يومها يا بروفيسور دان..ولكن عد بذاكرتك أقدم قليلًا..

- اعذرنى فلا أتذكر.

ألبرت- كيف يا دان.عُد بذاكرتك أكثر..عد بها لأكثر من عشرون عامًا.

فغر دان فمه قائلًا فى دهشة:

- عشرون عامًا..لا أظن أنك تقصد..؟أتكون..؟

قهقهه ألبرت مهللًا :نعم يا دان..هو البروفيسور ادوارد سمنر..بشحمه ولحمه..

*****

كانت الساعة تناهز الثالثة صباحًا عندما جلس الجميع يحتسون القهوة وهم يستمعون إلى البروفيسور ادوارد الذى عاد من الموت..

- تركتهم يظنون أنى وقعت فى الفخ يا ألبرت..تركتهم يحركونى من بعيد ويتركون جواسيسهم وعيونهم فى كل خطوة أقوم بها..ولكنى كنت أخدعهم جميعًا..ولم يظهر على أىّ من تصرفاتى أنى كشفت حقيقة الألمان..لم أثق إلا فى مساعدى نور والذى علمت أنه تحمل ما لا يطيقه بشر من تعذيب ولكنه لم يعلم شىء..حتى هو الأخر نجحت فى خداعه

خوفًا من اعترافه تحت نيران تعذيب الألمان..أتذكر تلك الليلة جيدًا فى المعسكر..كان علىّ تشتيت انتباه الجميع..وكان عليه أن يقطع التيار الكهربى عن القلعة و يهرب ولكن لا أدرى كيف تم اكتشاف أمره.

ألبرت- هو ضحى بكل شىء لتوصيل تلك الرسالة يا ادوارد.

- الرسالة نفسها كانت خدعه يا ألبرت..كنت أود أن أُشَتِّتَ انتباه الألمان فى حالة نجاحهم فى نزع اعتراف من نور..أوصيته فى حال عدم تلاقينا وكنت مُخَطِّط لعدم اللقاء..كُنتُ مُخَطِّط لموتى منذ البداية..فأخبرته عليه أن يوصل تلك الرسالة لمن يهتم بها..وتركت بها كلمتان..

روز- نعم هارفارد..أناتون..فما سر اختيارك لهما.؟

- أخبرتك أنى كنت أود تشتيت انتباه الجميع حال وصول الألمان بعد تعذيب نور الذى لا يعلم شيئًا إلا عن هذه الرسالة..ولأنى كنت أعلم أنك قد توفيت يا ألبرت..ولم أعلم أنك على قيد الحياة فقد كتبت كلمة هارفارد..تلك الجامعة التى بدأنا فيها أبحاثنا سويًا..فوصول الألمان إلى أمريكا بعيدًا عن بريطانيا والذهاب للجامعة والبحث عمن كان مساعدى هناك فيكتشفون أنه توفاه الله فسوف يَكُفُّونَ عن البحث ويتركون لى المجال لاكمال ما بدأته من أبحاث فى بريطانيا.

بن- ولكن ظهور ألبرت على قيد الحياة بدأ يثير القلق فى نفسك.

- نعم بالفعل لأن نور لن يسكت وسيظل يبحث وبالفعل..حتى علمت أنه وجد ألبرت على قيد الحياة وبدأ فى تجميع كل من يقوم بالأبحاث معى.. وبدأ دان وألبرت فى تجميع المعلومات من كل مكان وخاصة عندما كتبت كلمه أناتون فعلم ألبرت منها أنى أشير إلى تلك الأبحاث الأولى..وكما فعل نور توقعت بذلك أن يحذوا الألمان حذوه.

دان- ولكن نور أقسم لى أن الألمان لم تتبعه.

- نعم ولكن الألمان كما اكتشف نور أن ألبرت حى فلابد أنهم أرسلوا ورائكم عيونهم لمراقبتكم من بعيد.

دان- وأين كنت طوال هذه الفترة يا مستر ادوارد.؟

- لدى اليزابيث..فبعد أن شَتَّتُّ انتباه الجميع دخلت بريطانيا بجواز سفر باسم مزيف وذهبت لأقيم فى تلك الضيعة التى تمتلكها لاستكمال ما كنا نقوم به من أبحاث سرية فى ذلك الموضوع.

دان – وتعمل سرًا بعد تأكد الكل من موتك حتى يكون لك مُطلَق الحُرّيّة..فى استكمال أبحاثك مع روز واليزابيث وهذا يفسر سر رعبك عندما قمت بزيارتكم للمرة الأولى.

- فعلًا يا دان فلم أكن اتوقع زيارتك بهذه السرعة..خاصة عندما قام ألبرت بمحادثة إليزابيث هاتفيًا قبل مجيئك بيوم وإخبارها بكل شىء..هنا أُسقِطَ فى يدى..وعلمت أن الموضوع فى بدايته وكان لابد من أخذ خطوات جدية أكثر وخاصة عندما أخذنا أشواط مهمة فى سبيل خلق إنسان مُقَاوِم للأمراض فكنا نقوم بأبحاثنا على الحيوانات الثديية..أما أنتم فكان علينا أن نُبعِدكُم عن بريطانيا بكل شكل منعًا لقطع أىّ سبيل للألمان فى مراقبتى.

ألبرت- بمناسبة الألمان..كيف استطعت الهروب من تلك القلعة الحصينة وقد أخبرنى نور أنها كانت أقرب منها السجن؟

- لقد بدأت أعد لهروبى من قبلها بفترة..أتعلم واتتنى الفكرة متى.؟ عندما بدأ الفنيون فى تركيب تكييف مركزى فى غرف المعمل..وقته تم

إلغاء المدفأة التى تعمل بالخشب..وأغلقوها من السطح بباب حديدى ضعيف..ومعملنا فى الدور العلوى فكان يفصلنا فقط عن السطح متران..وهى طول المدفأة.. وقبل الهروب بيوم كنت على سطح المعمل أستنشق بعض الهواء كما كان مسموحًا لى بعض الأوقات لأنى كنت أضع عَيِّنَاتٍ فى أطباق وأتركها لضوء الليل وأشعه القمر هكذا كنت أخبرهم..حتى نجحت ذات مرة فى الحصول على حبل طوله متران إلا خمس وعشرون سنتيمتر وقمت بتثبيته فى الباب الحديدى الذى يغلق كوة المدافأة من أعلى وقمت بكسر ذلك القفل الذى يثبته إلى جدار المدفأة تمهيدًا للهروب فى اليوم التالى..حيث سأنجح فى الوصول إلى السطح ومنه سوف أهبط سريعًا بواسطة سلم مُثَبَّت فى أحد الجدران الجانبية الذى سيصلنى إلى خلف الفناء ومنه سأصل سريعًا إلى مكان داخل الأشجار سوف أهرب منه..وهذا المكان لا يعلمه أىّ شخص حتى نور نفسه..كنت أحتاط لأقل شىء قد يحدث ويهدم علىّ خطة هروبى.

ألبرت- وقمت بذلك؟

- نعم..ونجحت الخطة تمامًا فى إلهاء كل من كان فى المعسكر..فبمجرد حدوث الإنفجار كان الجميع أمام المعمل تاركين كل أماكن حراستهم.

دان - وماذا عن الجثة التى وجدوها يا مستر إدوارد.؟وتلك القطع من جسدك وجسد المخلوق ذاته من أين حصلت عليها؟

- الحل سهل جدًا يا عزيزى..فى اليوم الاخير كنت أقوم بالصيد أنا ونور فى أحد المناطق المحيطة بالنهر الأصفر فى اليوم الذى كان مسموحًا لنا بالتريض..وبالسيارة كنت قد أعددت حقيبتين خشبيتين كبيرتين لهذا الغرض..استأذنت من نور وأخبرته ألا يتحرك فى الغابات المحيطة

وعليه أن ينتظرنى حتى أُحضِرَ لنا الشراب وطعام الغداء وبالفعل أخذت السيارة وسرت على شاطىء النهر حتى وجدت ذلك العجوز..كان فى نفس طولى تقريبًا..ترجلت من السيارة ومعى مُخَدِّر قوى وضعته فى هذا المنديل وناديته حتى اقترب منى وأشرت له على الطريق وببعض الكلمات الماندرينية أوضحت له أنى تائه فأعطانى ظهره وبدأ فى وصف الطريق..ولأن لكل مغامرة بحثية واكتشاف علمى ضحاياه فقد خَدَّرت الرجل أولًا..نعم وجدت صعوبة قاتلة فى كتم أنفاسه إلى الأبد..نعم لقد قتلت المسكين لكن انظروا إلى الخدمة التى أهداها إلى العلم.

دان - أىّ خدمة يا مستر ادوارد..لقد قتلت نفسًا.؟ مهما كان هذا الرجل حقيرًا أو تافهًا لديك لكنه كان مُهِمًّا لدى عائلته..معارفه..أصدقائه..ألا يمكن أن يكون هو العائل الوحيد لأسرته.

- أىُّ عائلٍ يا دان إن الرجل كان فى أرذل العمر.

دان - ولكن أعتقد أنكما بنفس العمر يا مستر..وما رأيك يا قِسّى العزيز فى قتل النفس المُحَرَّمَة؟

ألبرت- أنا مُتَحَفِّظٌ على هذا العمل يا ادوارد فهذه خطيئة لابد من ال..

ادوارد (مقاطعًا) - هل أُكْمِلُ لكما أم أجلس على كرسى الإعتراف الآن ؟

ألبرت- حسنًا فلتكمل يا ادوارد.

- وضعت الرجل فى أحد الصندوقين بعد أن تأكدت من موته..وفى الصندوق الأخر وضعت عدة أشياء ليس لها أىّ أهمية وعدت سريعًا إلى نور بعد أن أحضرت لنا طعام وشراب وعدة زجاجات من هذا المشروب الصينى الذى يشتهيه أحد أفراد الحراسة بالمعسكر..وعند

عودتنا للمعسكر أمرتهم بنقل الصناديق للداخل ولا زلت أتذكر نظرة نور المُنْدَهِشَة عند رؤيته ذلك..وبالفعل تم نقل الصندوقين إلى أعلى..وما أن انصرف الحارسان حتى شرعت فى تنفيذ ما خططت له فى انتظار نجاح نور فى فصل التيار الكهربى..كانت الغرفة التى يقبع بها المخلوق تقع فى أخر الرواق ولكن حتى تفتح لابد من فصل التيار الكهربائى لأنها لا تُفتَح إلا بمفتاح خاص مع رئيس المعسكر فقط..وبمجرد فتحها نقلت الصناديق سريعًا إلى الداخل بعد أن مَزَّقتُ كل ما قد يشير إلى طبيعة أبحاثى الماضية..وما هى إلا دقيقة حتى عاد التيار الكهربى مرة أخرى..وقتها ذهبت أولًا إلى ذلك المخلوق المسكين وأخذت من دمائه عينة وضعتها فى محقن مخصوص حتى أستكمل أبحاثى على دمائه وقد حدث كل ما خططت له..وبعد أن أخذت كل العَيِّنَاتِ المطلوبة كنت أعلم أن لدى دقائق قليلة حتى يتم تفجير الباب..أخرجت جثة العجوز وألبسته معطف من معاطفى الموجودة وأخرجت عدة أصابع ديناميت ملئت بها الغرفة الزجاجية الموجود بها المخلوق ووضعت العجوز بالقرب من الغرفة ووزعت الديناميت فى شتى الأنحاء..وكل ذلك ربطته بحبل أخذت طرفه معى وأنا فى طريقى للمدفأة..دخلتها وأمسكت طرف الحبل الأخر الذى كنت أخفيته ليلتها داخلها..شرعت فى تسلقه بصعوبة حتى وصلت إلى أعلى ثم أزحت الباب بِجَهْدٍ لا يتحمله سِنّى ولكنها كانت الفيصل بين الحياة والموت..وقتها أشعلت الطرف المتصل بالديناميت..ولم أنتظر ما يحدث بل شرعت فى الهروب سريعًا حتى ذلك السلم الحديدى المُثَبَّت بالجدار وانتظرت وأنا على أول درجة به وبعد دقيقة واحدة هز انفجار عنيف المعسكر باكمله..

دان- وهكذا هربت.؟

- نعم هربت بكل ما احتفظت به داخل حقيبة صغيرة من عينات احتجتها لإكمال أبحاثى.

دان- ولم تلتفت إلى نور وما مصيره فى حال وقوعه فى قبضتهم..بل منذ بداية الأمر خططت لكى يقع فى قبضتهم..لم تخبره عن مكان هروبك الفعلى..لم تخبره بما انتويته فى ا لأعلى يا بروفيسور ادوارد.

- لقد أخبرتك كان يجب تشتيت تفكير الألمان وجعلهم يبحثون فى اتجاه أخر فى حال وقوع نور فى أيديهم وقد كان.

دان - ولكن وجود ألبرت على قيد الحياة قلب تفكيرك رأسًا على عقب..

- بالفعل وكان علينا أن نُعِيْدَ التفكير ونُكْمِلُ ما بدأناه مرة أخرى بعد دخول روز معكم..ولكن كان خوفنا المستمر من عودة الألمان معنا فكان علينا الإتصال بالمخابرات الإنجليزية وإبلاغهم بكل شىء وفوجئنا بتفهمهم الكامل للموضوع والأبحاث وما هى إلا أسابيع وقد تلقيت دعوتى إلى اجتماع عاجل مع أحدالمسئولين فى الحكومة الإنجليزية..وقتها كنتم أنتم تسيرون فى طريقكم الذى سبق وخططته لكم من إبعادكم عن بريطانيا..وبعد مقابلتى أنا وروز مع هذا المسئول الذى اقترح علينا أن تقوم الحكومة بالصرف على البعثة ولكن دون أن تشعروا بذلك وبالتالى ظهرت شخصية السير شارلز شاؤل عميل المخابرات الإنجليزية الذى تظاهر بتمويل بعثتكم مقابل الأرباح الهائلة التى سوف تنهال عليه من نشر تلك الرحلة فى جريدته ولكن ذلك كان باشتراط مشاركه المستر بن أوليفر الضابط السابق فى الجيش

الإنجليزى والعميل فى المخابرات الحالى..حتى تكون تلك البعثة تحت سمع وبصر الحكومة الإنجليزية.

دان- تبًا لك ولمستر بن وللحكومة الإنجليزية..أكنتم تُسَيِّرُونَنَا وفقًا لأهوائكم يا سادة.؟ لماذا لم تخبرونا بهذا الأمر منذ بدايته..ما فعلتموه كان لمصلحتكم أولًا قبل أىّ شىء.

بن - لا تنفعل يا عزيزى دان..نحن فعلنا كل ذلك من أجلكم فلو أخبرناكم بأننا من نقوم بالصرف على البعثة..لكنتم رفضتم أنت ونور.

ألبرت- وأيضًا كنت سأرفض يجب أن تكون هناك مصارحة لنا منذ البداية.

بن- فلتهدئوا..ها نحن نخبركم الآن ونحن فى بداية الأمر.

دان - أىّ بداية يا مستر بن..لقد فشلنا فشلًا ذريعًا فى كل شىء..لا يوجد أىّ أثر لقبائل الجوج..ما وجده هذا العالم كان من أحد القبائل المُنْقَرِضَة والذى قام بأسره من أحد الكهوف ثم قتله بعدأن فرغ من أبحاثه الموهومة.

روز- اهدأ يا عزيزى دان إن الأمر كله...

دان (صارخًا) - أنتِ لا أريد أن أسمع صوتك يا روز..أنتِ منذ بداية الأمر تستخدمينى وكأننى أداة فى يديكِ..تستاق منى كل ما كنتى تريدينى البوح به ثم تخبريه لهذين الرجلين..ثم تستدرجينى كعادتك دائمًا وأنا لا أتعلم منك أبدًا.

روز- أنا ...لست..

دان (مقاطعًا)- حتى يوم مجيئك لبكين..وصلتى قبلها بعدة أيام ومستر بن كان على علم بذلك ولم يتم إخبارنا إلا فى الوقت الذى قررتموه.

ألبرت - أهذا حقيقى يا روز.؟ولماذا؟

بن- عذرًا يا سادة فقد كان ذلك من اقتراحى لأنه كان يجب فى وقتٍ ما إرفاق البروفيسورة روز إلى البعثة وقد وصل البروفيسور ادوارد مع مس روز قبل إخبارى لكما بأيام وكان لابد من ذلك..لأنى واعذرونى لذلك..لا أثق بكما..فأحدكم رجل دين وليس له أىّ فائدة من الأساس أما الأخر فهو يجرنا من فشل إلى اخر.

دان (وقد حاول أن يمد يديه إلى بن الذى تفاداها بينما أمسك ألبرت يد دان الذى كان يصرخ) - أنتم من تسببتم بفشلكم فى ذلك..الآن فقط وضحت أمامى العديد والعديد من النقاط الغامضة..ولعل أول شىء قمت به هو سرقة الخاتم فى نفس يوم مجيئكم المزعوم.

روز- كيف تجرؤ..؟

دان (مُقَاطِعًا بعد أن أزاح يد ألبرت)- أنا من الآن خارج هذه البعثة الملعونة القائمة على القتل والكذب والخداع والغش.

وقام من مكانه واتجه ناحية السلم وصعد أدراجه وهو يلعن ذلك اليوم الذى قرر فيه الإنضمام لتلك البعثة..بينما ألبرت كان يقف مذهولًا لا يقدر على الرد من حديث بن الذى أصابه فى مقتل.

****

أفاق دان على يد تَهُزُهُ صباح اليوم التالى..وصوت ليس غريبًا عليه يستمر فى إيقاظه ففتح عيناه ببطء لتغشيه سحابة من ضوء النهار الأبيض الذى يملأ الحجرة ووجه نور أمامه :

- نور..متى خرجت من المستشفى.. كنت سأمر عليك العاشرة صباحًا.

- أىُ عاشره يا صديقى الساعة الآن الثانية بعد الظهر.
- ياه.. لقد تأخرت فى النوم بالأمس..آه لو تعلم ما حدث مساءًا يا نور.
- آهٍ لو تعلم أنت ما حدث صباح اليوم.
- أنت لن تصدق أولًا من عاد للحياة يا نور..لو علمت لطرت فرحًا.
- بل أنت الذى لم تعلم من الذى عاد مرة أخرى للموت يا دان ولو علمت لفررت بجلدك.
- ماذا تقصد يا نور؟
- أقصد عالمكم..مَثَلَكُم الأعلى..أستاذك وأستاذى ادوارد سمنر يا دان.
- إذن فقد علمت..ما به.؟
- نعم فألبرت أخبرنى بكل شىء ولكن المشكلة ليست فى ذلك.
- فلتحدث يا نور..أنا لدىَّ من الضجر ما قد يقتل أىَّ إنسان.
- هذا بالفعل ما حدث..لقد وجدوا ادوارد مقتولًا فى غرفته صباح اليوم بعد أن خنقه أحدهم بطريقة بشعة عن طريق حبل الستائر .
- قفز دان من سريره صارخًا :
- ماذا .؟ متى وأين ومن قام بذلك وكيف؟
- اهدأ..إن ألبرت طلب منى أن أستدعيك لأن هناك تحقيقًا يجرى فى الأسفل وعليك أن تواجه الشرطة الصينية ولا تخبرهم عن موضوع أبحاثه وهروبه من الألمان أو حتى وجوده مسبقًا فى الصين..أو أى شىء..فقط أخبرهم أننا بعثة للتنقيب عن بعض آثار الإنسان الأول وهذا شخص إنجليزى صديق قابلناه بالأمس.
- ظل دان يرتجف وهو يقوم بتغيير ملابس النوم وهو يسأل لنور-
- هل قتلته وأنا نائم.؟ من الذى يسبقنا دائمًا بخطوة يا نور.؟
- لا بل قل من الذى لديه مصلحة فى القضاء علينا يا دان.؟
- القضاء علينا؟

- نعم فلقد سَمَّمَنِي أحدهم عمدًا وبعد ذلك قتل ادوارد حتى لا نصل إلى شيء..ثم تتوالى المصائب بعد ذلك.
- لا يهمنى فيبدو أنى سأنسحب من تلك الرحلة المجنونة.
- يا عزيزى لا يهم انسحابك نحن الآن تحت رحمة بن وروز فلا تنس أنهم من يُمَوِّلُونَ البعثة.
- فليكن..هيا بنا الآن وسوف نتحدث فى ذلك لاحقًا.

وهبطا إلى الدرج بينما كان ضابط الشرطة لا يزال يستجوب روز و لى الذى حضر التحقيق وكان يقوم بدور المترجم للشرطة.

*****

وفى مساء ذلك اليوم كان ألبرت مُجْتَمِع مع نور ودان فى بهو الفندق يحاولون إثناءه عن قراره بالعودة بلا رجعة إلى بريطانيا مرافقًا جثمان صديقه..تاركًا كل شيء من البعثة والأبحاث..مُقَرِّرًا العودة إلى كنيسته.

دان- ألبرت..من فضلك لا تتأثر بكلام بن..فلولا مشاركتك لنا فى أول الأمر ورحلتنا إلى الفاتيكان لم نكن وصلنا إلى هذه الدرجة.

ألبرت- ليس ذلك السبب الرئيسى يا دان..لقد تعبت يا ولدى..وأمامك مصير ادوارد..لقد حارب لآخر لحظة فى عمره وماذا أخذ فى المقابل.؟ لم ياخذ شيء ولم تُتَح له الفرصة حتى للتكفير عن ذنوبه..من فضلكم دعونى أستريح أنا الآخر..الأمر بعيد عن أحلامنا..يبدوا أنه من المستحيل أن نعثر على هذه القبائل..وأنا لم يعد سنى أو جهدى يسمح بتلك الرحلات وخاصة

كما تعلم أن رحلتكم القادمة فى التبت وأنا لن أستطيع مجاراتكم ولن أكلف الحكومة بنسًا أخر لرجل ليس له أىّ فائدة.

نور- لا أدرى ما أقول لك يا ألبرت..ولكنى يبدو أن لديك الحق..كان بِوِدِّى أن تستمر معنا حتى النهاية ولكن هذا قرارك.

ألبرت- هذه هى النهاية يا ولدى..صدقنى أنا لا أُخبِطُكُم ولكنى اخترت سطور نهايتى مع رحيل جثمان ادوارد..ولكن أود أن أطمئن هل عَدَلْتَ عن فكرتك فى عدم الإستمرار يا دان؟

- نعم يا ألبرت لقد أقنعنى نور أنه من المستحيل ترك المجال لهذين الفردين للوصول إلى ما كنا جميعًا نصبو إليه ونسب الفضل لهما ولذلك سأستمر حتى أخر خطوة فى حياتى..ولقد أخبرنى لى أنه سيتم ترتيب رحلة إلى التبت بعد عشرة أيام من الآن نظرًا لأن التبت ليست متاحة للزيارة هذه الأيام بمناسبة أحد الأعياد القومية لديهم.
- حسنًا ياو لدى ولكن فلتتوخ الحذر.
- سَأُقِلُّك غدًا إلى المطار.
- لا يا دان..سأرحل فى طائرة السابعة صباحًا والتى سَتُقِلّ جثمان ادوارد..وأدعوا الله أن نتلاقى فى القريب..لا تبخل علىَّ بزيارتك يا دان..أم أنك لازلت لا تهوى دخول الكنائس؟
- لا يا ألبرت..بعد انتهاء تلك الرحلة سأقوم بتغيير أشياء كثيرة بحياتى.
- بمناسبة الكنائس..أتتذكر سؤالك لى منذ فترة عن أهم الكنائس الموجودة وأقدمها يا دان..لقد علمت الجواب أمس ولكن مفاجأة وجود ادوارد أنستنى أن اخبرك..لقد قمت منذ فترة بالإتصال بأحد كبار القساوسة فى كانتربرى وجعلته يبحث لى عن أهم الكنائس

الموجودة وأقدمها..أتانى الجواب منه بالأمس فى مكالمة هاتفية أخيرًا..وحملت لى اكثر من مفاجأة.

- خيرًا يا ألبرت..؟

- كيف نسينا أن أهم كنيسة موجودة حاليًا هى كنيسة القيامة بأورشليم..والتى توجد داخل أسوار البلدة القديمة فى القدس..وقد بُنِيَت الكنيسة فوق الجلجلة وهى مكان الصخرة التى يُعْتَقَد أن المسيح صُلِبَ عليها..وتعتبر أقدس الكنائس المسيحية والأكثر أهمية فى العالم المسيحى وتحتوى الكنيسة على المكان الذى دُفِنَ فيه المسيح واسمه القبر المُقَدَّس وعندما سألته عن أن للكنيسة مفتاح تفاجأ بالأمر وأخبرنى أن للمفتاح أصلًا قصة عجيبة.

- أخبِرنَا يا ألبرت من فضلك..ما دام يوجد مفتاح فلابد أن للأمر أهمية.

- كما أخبرتكم أن هذه الكنيسة التى تعتبر من أقدس المواقع الدينية لدى مئات ملايين المسيحيين فى العالم..وعندما أعلن الخليفة المسلم عمر بن الخطاب أمام جيوشه التى فتحت القدس وقتها بأنه أعطى لأهل الذمة من النصارى عهدًا يتضمن السماح لهم بممارسة شعائرهم الدينية بِحُرِّيَة فى القدس..وعندما غزا السلطان الأيوبى صلاح الدين بيت المقدس من حُمَاةِ الصليب إلا أنه سمح باصطحاب نسائهم وأولادهم بعد دفع الفدية لخزينة المسلمين..ولأن صلاح الدين كان يعى أن السكان النصارى هم غير حُمَاةِ الصليب القادمين من أوروبا فقد أبقى عليهم فى مساكنهم وأديرتهم ومَنَحَهُم حرية التعبير الدينية وإقامة الشعائر التى ورثوها عن أجدادهم..وكل ذلك تيمنًا بخليفته المسلم عمر بن الخطاب..وبموجب اتفاق مع حُمَاةِ الصليب فقد سمح صلاح الدين لحجاج أوروبا بالقدوم إلى القدس..وبدأت بعد ذلك الأفواج تتوالى بازدياد وتجمع الكثيرون منهم أثناء احتفالات عيد

الفِصَح وتضاعف العدد فى السنوات التالية فخشى صلاح الدين أن ينقض حكام أوروبا الإتفاقية وأن يصيبوا أهل بيت القدس بشر..فأمر باتخاذ إجراء وقائى يُجَنِّب أهل بيت القدس المخاطرة وكان أول ما قام به أن أمر بإغلاق أبواب كنيسة القيامة مع إبقاء باب واحد فقط للدخول والخروج..وأمر بتسليم مفتاح كنيسة القيامة إلى عائلة مقدسية مُسْلِمَة..على أن تكون لهذه العائلة جذور عميقة فى مدينة القدس..وكانت هذه العائلة هى عائلة آل غضية التى تعرف اليوم والتى لا تزال تحمل مفتاح كنيسة القيامة..وما لا يعلمه صلاح الدين أن المفتاح كان فى الأصل لدى راهب بوذى تم إرساله إلى كنيسة القيامة وتم عمل مزلاج خصيصًا لهذا المفتاح حتى وصل إلى يد العرب.

نور- وما المفاجأة فى ذلك يا ألبرت.؟

- المفاجأة فى المفتاح ذاته..فصديقى أخبرنى أن هذا المفتاح نسخة طبق الأصل من مفتاح كنيسة القديس بطرس فى الفاتيكان..وهذا المفتاح من الأصل لم يكن للفاتيكان إنما لكنيسة القديس بطرس بتركيا..تلك الكنيسة التى تقع بالقرب من أنطاكية وهى من أقدم وأعظم الكنائس المسيحية وتتكون من كهف منحوت فى الجبل والرسول بطرس هو أول الرسل ومؤسس كنيسة أنطاكية الأولى فى التاريخ وهو من أول من بشر الإنجيل فى أنطاكية..ونتيجة الزلازل والحروب تضررت الكنيسة وأُعِيْدَ ترميمها حيث ساهم نابليون الثالث امبراطور فرنسا بعملية الترميم أيضًا..وحسب أوامر من البابا بيوس التاسع تم نقل بعض التماثيل والمفتاح المقدس إلى الفاتيكان وتم أخذ المفتاحان كشعار للكرسى الرسولى.

نور- عفوًا أنا لا أفهم..هل تلك المفاتيح لتلك الأبواب يا ألبرت.؟

- تقول الأسطورة أنها تُغْلِقُ كهف الشيطان ولمباركة تلك المفاتيح إلى الأبد تم إرسالهم إلى الكنائس السابقة وصنع أقفال خصيصًا لها ثم تم إرسال أحدها للفاتيكان بينما ظل المفتاح الأخر في يد العرب حتى الأسبوع الماضى.

دان- ماذا تقول.؟ الأسبوع الماضى.؟ ماذا حدث يا ألبرت؟

- أخبرنى أن المفتاح سُرِقَ منذ أسبوع فقط يا دان..والأمر بأكمله في طى الكتمان لولا أن لديه بعض أصدقاء في أورشليم الذين استقصوا عن أصول مفتاح كنيسة القيامة.
- من الذى سرقه وكيف ولماذا؟
- دان..هل أخبرت أحدًا غيرنا بموضوع سرقة مفتاح كاتدرائية القديس بطرس أو موضوع كهف الشيطان.؟

لم يُجِبْ دان بل نظر إلى نور وأخفض عينيه خَجَلًا ففهم ألبرت واستمر:

- من سرقه هو من سرق المفتاح الأول..ومن سرقه هو من سرق خاتمك..الأعداء أقرب لك بأكثر مما تتصور يا دان..خذا حذركما يا أبنائى ولندع الرب بأن يحميكما وأتمنى ألا تكون تلك الأمسية هى أخر عهدى بكما..

واقترب منهما واحتضن كل واحدًا على حده..كان العجوز لديه من الحزن مما لا يطيق أحد على حمله..خاصة بعد إحساسه بالفشل والعجز وعدم أهميته فآثر أن ينسحب عائدًا إلى بلاده ..

للأبد..

****

الفصل الحادى عشر

(إننا دولة ديمقراطية شكلًا..ولكن فى الحقيقة متى أعطيت للجُهَلَاءِ حُقُوقَهُم فإنهم لم يلبثوا أن تكون كل اختياراتهم على خطأ..نحن من نختار..ومن نُقَرِّر..ومن سيكتب التاريخ)

بعد ذلك بخمسة أيام فى مقر قيادة القوات الألمانية ببرلين تجمع آلاف من الجنود الألمان مع قادتهم لسماع خطاب هتلر بعد توليه رئاسة ألمانيا..كان الخطاب حماسيًا والهتاف يبلغ عنان السماء من الجنود الذين كانت حناجرهم تئن من صيحات تمجيد للفوهرر..الذى ارتدى زية العسكرى وهو يشير بيديه فى مشهد تمثيلى لا يقل عنهم حماسة وهو يصرخ فى الآلاف المحتشدة أمامه لِيُكْمِلَ خطابه التاريخى :

- (اليوم وقد بدأ وقتٌ عظيم..لقد استيقظت ألمانيا لأننا فزنا برأس السلطة فى البلاد..الآن فقط يجب أن يكسب الشعب الألمانى..أنا أعرف هؤلاء الرفاق الذين يواجهون صعوبات فى بعض الأحيان فى كافة الأماكن..الآن يجب علينا جميعًا مُوَاصَلَة الكِفَاح مرة أخرى..عندما كنت طوال عمرك ترغب فى التغيير الذى أتى علينا الآن..لذلك فأنا أكرر النداء مرارًا وتكرارًا لمواصلة الكفاح لرفعة بلادكم..كلنا يَدٌ واحدة فلا يجب عليك أن تتصرف بنفسك ضد رأيِ الجميع..يجب عليك الطاعة..يجب أن تُعْطِى كل ما لديك من شجاعة..يجب عليك تقديم هذه الحاجة العارمة للطاعة..من أجل ألمانيا.

نقطة أخرى أود الإشارة اليها..يا من تسمعون هذا الخطاب..يا من بدأتم الصراع بين الشعب..يا من بذرتم بذور الكراهية بيننا..يا من أطلقتم أن الشعب اليهودى هو شعب الله المختار فى أرضه لتعيشوا عالة على إنتاجية الشعوب الأخرى..هذا المفهوم يجب أن يزول..من اليوم يجب أن يعتاد اليهود على القيام بنشاط داخل ألمانيا وخارجها لتكوين بناء محترم كما تبنى بقية الشعوب بلادها وإلا عاجلًا أو أجلًا فسوف يواجهون متاعب لم يحلموا بها.

أما إذا دفع رجال المال اليهود العالميين بداخل أوروبا وخارجها العالم إلى شفا حرب عالمية أخرى ثانية كما يحدث فى الخفاء وأنا كُلِّى ثقة على ما هو يحدث الآن..فأحذركم النتيجة لن تكون أبدًا نصرًا لليهود لكنها ستكون فناءًا للأبد للعرق اليهودى هنا وفى أوروبا .

حاذروا..حاذروا..حاذروا..فأنتم تحت المنظار عاشت ألمانيا..عاش الجنس الآرى)

وارتج المكان بصراخ آلاف الجنود وهم ينشدون السلام الوطنى لألمانيا..وبعد عدة دقائق بدأ الجميع فى تحية هتلر..الذى جلس على كرسى كبير نقش عليه شعار النازية بينما كان كبار قادة الجيش بالقرب منه..وعلى يمينه جوبلز وفون بلومبرج وزير الدفاع بينما توالى اصطفاف القادة لتحيته حتى اقترب منه أرنست روم قائد قوات العاصفة بقامته المديدة ومد يده ببرود إلى هتلر قائلًا:

- أدولف كم كنت رائعًا..لكن أرى أن هناك بعض العيوب التى يمكن أن نتلاشها فى خطاباتك المرات القادمة..إن تحذيرك لليهود بأن هناك شيئًا يجرى فى الخفاء كان يجب ألا تعلنه.

لم يرد هتلر بل نظر وقتها إلى جوبلز الذى ابتسم بتهكم إلى روم الذى تركهم واستمر فى مشيته المُغْتَرَّة.

فون بلومبرج - سيدى الفوهرر..لقد تمادى الجنرال روم فى حديثه وهو كذلك طوال الوقت ولا أدرى إلى متى سأصبر على دق عنقه بيدى.

اقترب جوبلز من بلومبرج وزير الدفاع وبدأ يهمس فى أذنه بينما كان هتلر لا يزال يحيى قادته:

- مهلًا يا وزير الدفاع إننا نعلم كل شيء عن هذا المُغتَرّ بنفسه..ولكننا الآن مَن نحتاجه وليس هو..فلا تنس أن من أحد البنود المُذِلَّة فى معاهدة فرساى هى تقليل عدد الجيش إلى 100 ألف جندى فقط مع نزع الأسلحة الثقيلة منهم..وهذا البند تحديدًا قام بتهميش دور الجيش فى الحياة السياسية..وسمح لقوات العاصفة التى شَكَّلَهَا هتلر وقتٍ ما لإداره شئون البلاد والتى يرأسها هذا المعتوه روم أن تحل محل الجيش وتقوم بواجباته وأحيانًا تُنَافِسُه.

لكن هتلر بدأ يكتشف مؤخرًا أنه فى حاجة إلى الجيش.. فإذا كان هتلر ينوى أن يخوض الحروب والمعارك لإعادة ما تم اغتصابه من أراضى ألمانية بعد معاهدة فرساى..وإذا كان لدية نية بغزو أوروبا بالكامل فإن قوات العاصفة لن تُفِيدَهُ أبدًا.

- نعم يا هر جوبلز فالمعارك والحروب تحتاج قيادات عسكرية..عقول سياسية فَذَّة..جنرالات وأبطال قادرين على التخطيط الحربى وقيادة الجيوش..وهذه القيادات غير متوفرة بالمرة فى قوات العاصفة..لكنها متوفرة بكثرة فى الجيش..واعذرنى فلم نسمع أبدًا عن جنرال ......
- أكمل يا فون..جنرال شاذ جنسيًا ويتفاخر بذلك..كلنا على علم حتى الفوهرر نفسه..حتى أنه لم يحاول أن يخفى ذلك ولقد علم ما صَرَّحَ به منذ أسابيع أثناء ممارسته تلك الفضيحة أنه لا يمكن أن يصيبه أىَ ضرر..فلو تم اعتقاله فسيخرج مئات الآلاف من الناس إلى الشوارع..انتظر فقط يا فون..فما علينا إلا الإنتظار.
- سيدى أقولها لك إذا طلب هتلر من قيادات الجيش الإنضمام إليه سيكون هناك شرط واحد فقط وهو تسريح قوات العاصفة

والتخلص من قائدها إرنست روم الذى يحمل العار على ذلك الزى العسكرى.

- لا أحد يُملِى شروطه على الفوهرر يا فون..تذكر ذلك..قلت لك اصبر وسترى ولا داعى للحديث أكثر من ذلك.
- حسنًا يا سيدى..آه تذكرت..ما تم بشأن الرجلين الذين طلبا مقابلة الفوهرر والذى أرسلهم الجنرال كايتهل قائد وحدة الأبحاث العسكرية؟
- الجنرال كايتهل أليس هو من يُحَدِّثهُ الفوهرر الآن..يا فون؟

ونظر وزير الدفاع ناحية هتلر فوجده يتحدث مع كايتهل لعدة دقائق وكان مهتمًا جدًا وحريص على ألا يسمع حوارهم أحد.

جوبلز - إن الموضوع أخطر مما كنت أظن..الأمر يتعلق بأسطورةٍ ما لدى التبت وهتلر نفسه مهتم شخصيًا بتلك الأبحاث..وتلك البعثة التى فى مكانٍ ما فى الشرق الأقصى الآن..لم أحضر اجتماعه السرى مع الرجلان ولكنى مندهش من إصراره الغريب على ذلك لدرجة أنه أرسل مبعوث خاص إلى بلاد التبت.

- لماذا.؟
- لا أعلم يا فون وحتى لو علمت فمن المستحيل أن أتفوه بكلمة وكذلك أنت كل ما دار بيننا من حديث إذا علمت أنك أخبرت به نفسك..لن أخبرك عما سوف تراه.
- أبدًا أبدًا يا سيدى.
- سنخوض حروبًا شرسة فى الجبهة الدخلية يا فون..يجب علينا بناء كل شىء من جديد ومن تحت الصفر..إن الأعداء يتربصون بألمانيا فى الداخل والخارج ويجب علينا أن نظل يدًا واحدة.

- نعم يا سيدى نعم..كل شىء فى سبيل الجنس الآرى..ولكن ألا تخشى أن يذكرنا التاريخ بسوء فى وقتٍ ما.

قهقه جوبلز ضاحكًا وأردف :

- أىُّ تاريخٍ يا فون..التاريخ لا يصنعه إلا المنتصرون.. نحن من نكتب تاريخ ألمانيا..ولن يجرؤ أحدهم بالتشكيك فى وطنيتنا وإلا كانت المقصلة فى انتظاره..إننا دولة ديمقراطية شكلًا..ولكن فى الحقيقة متى أعطيت للجهلاء حقوقهم فإنهم لم يلبثوا أن تكون كل اختياراتهم على خطأ..نحن من نختار ومن نقرر ومن سيكتب التاريخ..فهمت يا فون.؟

قطع كلامه ارتجاج المكان مرة أخرى على تحية الفوهرر الذى كان فى طريقه للإنصراف.

****

بعد عشرة أيام كاملة من رحيل ألبرت وبعد وصول الملل إلى أقصى درجاته نتيجة إغلاق جميع المعابد البوذية لاحتفالات دينية ومنع أىّ زيارات للسائحين..كان دان ونور يستقلان القطار مع بن وروز فى أطول رحلة قاموا بها..كانت الرحلة من بكين حتى شنغهاى والتى استمرت ليومٍ كامل..وبعد دقائق سيستقلان حافلة حتى ناجيكا.. ومنها إلى التبت فى مسافة تُقَارِب الأربع آلاف كيلو متر إلا قليلًا..للوصول إلى أخر أماكن الرحلة.

ركب الجميع فى الحافلة التى أعدها لهم لى وبدأ فى الرحيل من البلدة والصعود فى اتجاه التبت..كانوا فى أشد حالات الإرهاق وَرَفَضَ الجميع المبيت فى أىّ فندق فى البلدة وقرروا جميعًا الرحيل..كانت الأحاديث الجانبية أغلبها مقتضبة من ناحية دان لإخفاء الحقيقة عنه من روز أما

نور فكان يتمنى التخلص من بن فى أقرب فرصة..وبالتالى كان هناك جهتان كلًا منهما تضمر الشر للأخرى وهذا هو ما شعر به لى..والذى حاول كثيرًا تجميع الفريقين دون جدوى.

استمر بن فى تصوير الأماكن التى يمرون بها وكأنه يرسم دوره حتى النهاية بينما استمرت روز فى قراءة بعض الأوراق الهامة الخاصة بها أما نور فكان كل تفكيره ونظره منصبًّا على بن فيما يفعله أو يدونه بينما كان دان يتحسس ذلك السلاح النارى الذى أتاه به لى..

لى - بعد نصف الساعة ستمر بالطريق السريع والذى يسمى الطريق السماوى ويربط بين التبت وسيتشوان ويعتبر من أخطر الطرق فى العالم بسبب الإنهيارات الصخرية والأرضية الطبيعية للمكان..فهو طريق محفور وسط الجبال متعرج الشكل يخاف الجميع أن يعبره من فرط خطورته وغرابة المنطقة المتواجد بها.

دان - ادعُ ربك يا نور أن تهوى بنا الحافلة ونرتاح مما نحن فيه.

تجاهل لى كلام دان واستمر فى التعريف عن التبت:

- سوف نصعد إلى أعلى مكان بالعالم بهضبة التبت وارتفاعها 4500 متر فوق سطح البحر وتسمى بسقف العالم..والقطب الثالث للأرض بعد الشمالى والجنوبى..يحكم شعب التبت الدلاى لاما وهو القائد الدينى الأعلى للبوذيين التبتيين ويمثل القيادتين الروحية والدنيوية فى إقليم التبت..وهو بطبيعة الحال راهب بوذى فى جماعة القُبَّعَات الصُفْر ويعتبر الدالاى لاما الثالث عشر الموجود حاليًا بوذا الحى ونصف الإله فى نظر البوذيين وتجسيدًا لإرادة بوذا..إذا مات شُلَّت الحياة فى الأرض..وقعد الناس فى بيوتهم حتى يُعثر على دالاى لاما بعده..والذى

عادةً مايكون طفلًا فى الثانية أو الثالثة من عمره .وكلمة دلاى لاما تعنى محيط الحكمة..ويتولى هذا الزعيم جميع شؤون البلاد السياسية والروحية..

نور- مهلًا يا لى ما علاقته إذن بكونفشيوس؟كنت أظن أنهم يتبعوه وليس البوذية.

بن- لا طبعًا هناك فرق بين الكونفشيوسية والبوذية..فالديانة الكونفشيوسية ديانة أهل الصين..وهى ترجع إلى الفيلسوف الحكيم كونفوشيوس الذى ظهر فى القرن السادس قبل الميلاد داعيًا إلى إحياء الطقوس والعادات والتقاليد الدينية التى ورثها الصينيون عن أجدادهم مضيفًا إليها من فلسفته وآرائه فى الأخلاق والمعاملات والسلوك القويم..إنها تقوم على عبادة إله السماء أو الإله الأعظم وتقديس الملائكة..وعبادة أرواح الآباء والأجداد..أما البوذية هى فلسفة وضعية انتحلت الصبغة الدينية..أسّسَها سدهارتا جوتاما الملقب ببوذا ومعناها المعتكف..وهى فلسفة تحمل فى طياتها دعوة إلى التصوف والخشونة ونبذ الترف والمناداة بالمحبة والتسامح وفعل الخير..وهى تعتبر نظامًا أخلاقيًا ومذهبًا فكريًا مبنيًا على نظريات فلسفية..وتعاليمها ليست وحيًا..وإنما هى آراء وعقائد فى إطار دينى.

نور- أحسنت يا مستر بن ولكن تعقيب بسيط فقط لا تُسَمَّى ديانه بوذية أو كونفشيوسية..هى تعاليم لأنه لا توجد إلا ثلاث ديانات فقط مُنَزَّلَة.

بن - حسنًا لقد كنت أقصد فلسفة أنا أعلم ما تقصد.

استمر الجدال بينهما بينما كانت روز تختلس النظر إلى دان من وقتٍ إلى أخر..كانت تحاول أن تتحدث معه لكنه يتلاشاها بكل الطرق..كم تمنت أن تخبره بكل شيء..وعن سرها الأخير.

*****

وصل الجميع بعد أن توقفت الحافلة أمام أحد الطرق التى يستحيل أن تكمل مسارها فيه فكان عليهم أن يترجلوا حتى الوصول إلى قاعدة الجبل والتى سوف يبدأ السير من عندها..كان الجبل يقف مهولًا وعليهم السير عبر الإلتفاف حول أحدى الهضاب الصحراوية للوصول إليه..ترجل سونى الذى كان كدليل معهم فى تلك الرحلة ومن خلفه لى..وهكذا سار الجميع صعودًا على أحد الجبال البسيطة ليلتفوا حوله للوصول إلى الجبل المنشود.

ظل سونى يسير حتى توقف وألقى حقيبته أمام الجبل الضخم الذى لم يتوقعوا أن يكون بهذا الحجم..ركع على ركبيته وبدأ فى تلاوة صلواته بصوتٍ حزين..اقتربت روز من لى متسائلة عما يقوم به سونى.

لى- إن هذا الجبل يسمى كانغشينجونغا.

روز- ماذا.؟لو نطقتها آلاف المرات لن أستطيع نطقه..ولكنى لم أسألك على اسمه يا لى.. أسألك ماذا يفعل الرجل.؟

لى-إن اسم هذا الجبل له قصة حيث أن معناه خمس كنوز ثلجية..وأطلق عليه هذا الإسم لأنه يحتوى على خمس كنوز وهى الذهب.. والفضة.. والأحجار الكريمة..والحبوب..والكتب المقدسة..وله قدسية خاصة عند البوذيين فهو من أكبر الجبال الموجودة فى العالم.. وفى منتصفه معبد

تشبونغ المعقل الرئيسى لآلهة التبت داخل عاصمتهم لاسا..وفيه يقومون بأداء طقوسهم المُقدَّسَة وصلواتهم ولذلك كان عليه أن يطلب البركة من رهبانه..لأن الصعود إلى المعبد ليس سهلًا حتى وإن كان هناك درج حجرى..ولكن لبعد المسافة التى تبلغ أكثر من أربعة آلاف وخمسمائة متر فوق سطح الأرض صعدنا منها حوالى ألف ونصف بمعنى أننا سنسير على أقدامنا قرابه الثلاث كيلو مترات صعودًا على درجه الحجرى..توجد استراحة فى منتصف الطريق..وهناك منحنيات خطرة يجب أن نتوخى الحذر جميعًا..ولكن أخر تحذير إليكم هل تودون الصعود على الرغم من المخاطرة للوصول فى أخر الأمر إلى المعبد المطلوب؟

دان- أنا معك للنهاية وبعد ذلك يمكننى البحث عن الراهب المنشود.

روز- وأنا أيضًا على أتم استعداد للسير فى تلك المغامرة لأخر ما تبقى لى.

نور- وأنا أكره المُرْتَفَعَات وأشعر بالضيق ولكن هى أخر خطواتنا ويجب أن نمضى سويًا.

أما بن فلم يُعَقِّب وإنما استمر فى التقاط الصور الفوتوغرافية لهم.

فرغ سونى من أداء صلواته وابتسم وأشار لهم أن يتبعوه وبدأوا فى السير خلفه حتى وصلوا إلى ساحة واسعة ملأتها الحشائش الخضراء والورود ذات الرائحة الخَلَّابَة التى نبتت فى تلك الطبيعة الصحراوية بشكلٍ ما..وبجوار تلك الساحة هناك العديد من الرجال الذى يرتدون ملابس فضفاضة كانوا من يعتنون بمدخل الجبل..كانت الساحة أمام الجبل تمامًا والذى ظهر بوضوح أمامهم أخيرًا..وبمنتصفه ظهر سلم حجرى يلتوى صعودًا إلى أعلى وكأنه طريق إلى السماء..كان الشكل العام فى منتهى الروعة..حيث تلاشت قمة الجبل بين السحب البعيدة..ووقف الجميع مشدوهين أمام تلك

اللوحة الإلهية..حتى استحثهم لى فحمل الجميع حقائبهم وبدأوا فى السير على أولى خطوات الدرج الحجرى بينما كانت قلوبهم ترتجف من هول المشهد.

كان السلم يشق الجبل صعودًا إلى أعلى ولا يتجاوز عرضه المتر وقد ثُبِّتَتْ أعمدة مُتَّصِلَة ببعضها بسلسلة حديدية..بينما نبتت الأشجار على جانبى الجبل فى مشهد مَهِيب..وكان لى يحذرهم جميعًا من الإنزلاق وأن عليهم الصعود بتأنى لأن نتائج الوقوع فى منتهى السوء.

دان - لا أدرى كيف كان ألبرت سيتسلق معنا هذا الجبل..من الأفضل له أنه رحل إلى بريطانيا.

روز- كم كنت أتمنى أن يشاركنا تلك النهاية يا دان..من فضلك أن تحمل لى حقيبتى الصغيرة فأنا مُنْهَكَةٌ من حملها.

أخذ حقيبتها بِضَجَرٍ واضعًا إياها داخل حقيبته الكبيرة وأردف قائلًا:

- وكأنك لا تدرى من كان السبب فى إصابته بيأسٍ قاتل..إنه صديقك الشخصى يا روز.
- ومن قال لك أنه صديقى الشخصى يا دان..أأنت تتلاشانى لذلك؟
- أنتِ على علم جيدًا لماذا أتلاشاكِ..منذ بداية الأمر وأنتِ تقفين فى الصف الأخر.
- لكن الصف الأخر ليس أعدائك يا دان..هم من أرادوا ذلك لمصلحتك.
- ولكنكِ كُنتِ تُخفِين عنى كل شىء ..كنتِ تأخذين أخبارى وما نقوم به وتُخبِرِى به الأخرون.
- حسنًا أنت مُحِقّ وأعتذر لك..هناك شيئًا أخير أود أن أعترف لك به.
- حسنًا..ما لديك لتخفيه مرة أخرى؟

- أتتذكر عندما أخبرتنى بسرقة مفتاح كنيسة القديس بطرس..لقد أخبرت بن وبدأوا فى التقصى عن تلك الأسطورة وكان عليهم أن يرسلوا أحد عملائهم إلى فلسطين لأن المفتاح الأخر كان موجود بكنيسة ال..
- دان مقاطعًا - أين المفتاح الأخر يا روز..أسرقتموه؟
- معك يا دان..لقد وضعته فى تلك الحقيبة الصغيرة.
- وقف دان مندهشًا من حديث روز فأمسكت يده.
- لا تقف هكذا يا دان..بن يراقبنى فتقدم ولا يبدو عليك أىّ شىء..نعم لقد أرسلوا أحدهم إلى أورشليم بعد أن أخبرتهم بموضوع المفتاحان وعن طريق اتصالات بن فى القدس الشرقية وصل إلى كنيسة القيامة وهناك نجح فى سرقة المفتاح المُقَدَّس الذى يحتفظ به بعض العرب دون حتى أن يشعروا..ومنذ يومان وصل هذا العميل حيث تقابل مع بن وأعطاه المفتاح المسروق..وطلب منى الإحتفاظ به لحين استخدامه فى وقتٍ ما..خوفًا من سرقته منه لأنه قد يتعرض للسرقه أىّ وقت.
- ولماذا تعطينه لى.؟
- ربما اعتذار..أو ربما لإظهار حسن نواياى..ولكن لا تخبر أحدًا أنه معك.
- والخاتم ألا تدرى من سرقه يا روز.؟
- لا يا دان ..أقسم لك.
- إن هذا الخاتم كان لِيُسَهِّلَ علىّ الكثير والكثير من الأمور فكيف أُقْنِعُ الراهب بالحديث معى إذا لم تكن معى تلك الإشارة التى أرسلها له الحكيم شونج.
- ولكن معك المفتاح الآن.
- وما شأنه بمفتاح وحيد دون الأخر؟
- لا أدرى ولكن ربما.

لى مقاطعًا من مسافة بعيدة فوقهم:

- مستر دان مس روز..هلا تتقدمان قليلًا إنكم تُبَطِئُونَ حركاتكم..

روز - لقد تعبت يا لى متى يحل وقت الإستراحه؟

لى - إنكِ لم تسيرى سوى نصف كيلو فقط ..الراحة بعد فترة يا سيدتى..

تباطئ بن أكثر حتى يقترب منهم مُتَظَاهِرًا بالتقاط صور لبعض الصخور..وقتها لاحظ دان شيئًا أكثر غرابة..فقد لاحظ محاولة نور الإقتراب منه ليدفعه وعندما هَمَّ أن يفعل ذلك صاح عليه دان :

- مستر بن انظر ..إن هنا منظر خَلَّاب قد يُدْهِشَك.
- حسنًا..أين يا صديقى ..إنى آت.
- ونزل مُسْرِعًا بينما وقف نور فى حنق واقترب من دان الذى بادره قائلًا:
- بحق الشيطان ماكنت تنوى أن تفعل يا نور.؟
- ألا تدرى.؟أريد أن أقتل رأس الأفعى تلك..إن كل مصائبنا بسببه..أنا لا أستبعد خيانته لنا فى أىّ وقت.
- أنا الأخر لا أستبعد أىّ شىء ولكن لا تصل إلى القتل يا نور.
- وماذا بشأن محاولة تسميمى.؟وقتل ادوارد.؟وإزاحه ألبرت من البعثة.

إننا نصعد إلى كهف هلاكنا يا دان..تذكر كلماتى تلك..إننا فى طريق الموت واللا عودة..وتذكر أنك فى وقتٍ ما ربما ستلوم نفسك على إنقاذه أيها التعس.

وتركه ليصعد بجوار لى وروز.. وقتها نظر دان إلى بن الذى كان مستمرًا فى التقاط الصور لهم هذه المرة وهو يُلَوّح له مبتسمًا من أسفل.

وهكذا استمر الجميع فى الصعود حتى أشار لهم لى أن هناك بجوار تلك الصخرة الكبيرة مكان للإستراحة..وبالفعل وصلوا إليها ووضع كل منهم ما كان يحمله وأخرج زجاجة المياه الموجودة بحقيبته بينما التفت دان يمينًا ويسارًا وفتح تلك الحقيبة الصغيرة التى أعطتها له روز..وخفق قلبه بشدة عندما وجد مفتاح صورة طبق الأصل من مفتاح كنيسة القديس بطرس.

أخفى الحقيبه مرة أخرى بأسفل حقيبته ونظر خلفه فوجد أن هناك الكثير من السائحين يجلسون فى المكان ذاته بينما انتبه إلى بن الذى كان مشغولًا مع أحد السائحات والتى اقتربت منه مناوله إياه من حقيبتها شيئًا ما ليضعه سريعًا فى حقيبته..اندهش دان وحاول أن يصيح على نور الذى كان مُنْشَغِلًا فى نفس الوقت بمداعبة أحد الأطفال الألمان من نطقه للألمانية معهم.

وبعد أن استراح الجميع بدأ لى فى تنبيهم للإستمرار فى السير..و مرة أخرى بدأوا فى الرحيل نحو معبد تشبونغ ...فى السماء.

****

وصل الجميع إلى أرض التبت بعد ساعة كاملة من السير والجلوس فترة أخرى..كان الجو المُحِيط يُشْعِرَهُم بالإختناق لارتفاع التبت عن سطح الأرض وقِلَّة الأكسجين لكن لى أخبرهم أنهم سيعتادون الأمر خلال دقائق.

كان الرهبان يسيرون بجوارهم فى هدوء مُلْفِت للنظر أثناء مرورهم فى طريقهم إلى المعبد الموجود فى الطريق المُنْبَسِط أمامهم ولا يلتفتون لهم وكأنهم لا يرونهم.

لى - ما سترونه فى كل مكان حولكم هو اللون البرتقالى المُقَدَّس..وهو لون ملابس رهبان التبت وما من مناسبة دينية أو احتفال شخصى..إلا وتجد هذا اللون البهيج مع اللون الأحمر يحيط بك..ويلبسه الرهبان واسعًا ويلفونه على أجسادهم بطريقة تشبه لف العباءة حول الجسد فى العالم العربى..ملامحهم ودودة..رؤوسهم حليقة.. والهدوء والدعة غير العادية هى أكثر ما سيلفت نظركم..فقليلًا جدًا ما كانوا يثيرون أو حتى يرفعون أصواتهم..والتبت التى احتفلت الأسبوع الماضى بأهم أعيادها الدينية وهو رأس السنة التيبتية التى يطلق عليها لوسار..خلال الأسبوع الماضى أغلق الرهبان الزيارة للسائحين حيث قاموا بأداء شعائر الإستدعاء الكبير تِبَاعًا..حيث كانوا يُرَتِّلُون الكتاب المقدس البوذى متمنين السلام للعالم.

نور- وهل مسموح لنا بدخول المعبد الكبير؟

لى- بالطبع..ولكن جلوسكم سيكون فى جزء محدد لتسمعوا عِظَة الدالاى لاما الإسبوعية فاليوم موعده الأسبوعى ولذلك تجد العديد من السائحين موجودين بكثرة..وبعد العظة ستكون مقابلتكم مع أحد الرهبان كما هو مفترض للحديث عن أصول التبت ومعاناتهم مع الحكومة الصينية..هم يسعون إلى السائحين لشرح مطالبهم لبناء دولة مستقلة ذات سيادة..وأنتم تستطيعون استمالتهم إليكم بالوعد لنشر مطالب التبت.

بن- بالفعل هذه هى الطريقة الوحيدة لاستمالتهم..اسمعوا جيدًا سَنَدَّعِى أننا صحفيون نتبع جريدة الديلى ميرور ونحن هنا لأخذ عدة تصريحات صحفية حول مُسْتَقْبَل التبت وشعبه الذى يطلب الإستقلال.

روز- فكرة ممتازة يا بن وأثناء الحديث نجذبه للحديث عن الأرض المُجَوَّفَة وجوج والكاهن المطلوب.

نور- ربما تلك هى أول فائدة لك فى الرحلة بعد التقاطك آلاف الصور.

بن- مستر نور..إنى كجنتل مان لن أبادر بالرد عليك بصورة قد تُخجِل الانسة روزاليندا ولكنى أعدك فى أقرب فرصة سيكون ردى عنيفًا.

ألقى نور حقيبته على الأرض صائحًا:

- ولماذا أقرب فرصة هيا تقدم وأرنى أقصى ما لديك.

لى (صارخًا)- هل جُنِنْتُم.؟إنكم داخل التبت وما تفعلونه يُعْتَبَر جريمة اخفضا صوتكما تريدان الشجار فلتصبرا حتى تكونا فى الأسفل..لا تُفْسِدَا كل ما خططناه برعونتكم.

سكت الجميع واتجهوا مع أحد الأفواج السياحية الذى كان يقترب منهم فى هذه اللحظة بينما كان دان مندهشًا من كلمة لى الأخيرة ..(لا تفسدا كل ما خططناه برعونتكم).

*****

كان ثوبتين غياتسو الدلاى لاما الثالث عشر يجلس فى أواخر المعبد ولم يستطيعوا رؤيته بوضوح إلا أنه أثناء دخوله فكان يتكأ على عصا ويمشى بصعوبة..وبعد جلوسه وبداية إلقائه الكلمة ظل يسعل فترة ويصمت لفترة أخرى ولا يجرؤ أحد على التحرك من أمامه..فالرهبان فعلًا يعاملونه معاملة الإله..اقترب دان من لى الذى كان يجلس فى خشوع طالبًا منه ترجمة ما يقوله الدلاى لاما وخاصة أن هناك العديد من الرهبان بدوا فى النحيب فترجم لى حرفيًا ما يقوله:

- وتختزل هذه الحقائق تعاليم العقيدة الأصلية.

أول هذه الحقائق هى المُعاناة..فالحياة الإنسانية فى أساسها معاناة متواصلة..منذ لحظات الولادة الأولى وحتى الممات..كل الموجودات.. تتكون من عناصر لها دورة حياة مُنتهية..ومن خصائص هذه العناصر أنها مُجردة من مفهومى الأنا الذاتى والأزلية..كما أن اتحادها الظرفى وحده فقط يمكن أن يُوحى بكينونة موحدة..فتتولد الآلام والمعاناة من غياب الأنا وعدم استمرارية الأشياء..لذا فالمعاناة ملازمة لكل دورةِ حياة..

الحقيقة الثانية عن أصل المعاناة الإنسانية..أن الإنسياق وراء الشهوات والرغبة فى تلبيتها هى أصل المعاناة..فتؤدى هذه الرغبات إلى الإنبعاث من جديد لتذوق ملذات الدنيا مرة أخرى..وتولدت هذه الرغبة نتيجة عدة عوامل إلا أن الجهل هو أصلها جميعًا..إن الجهل بالطبيعية الحقيقة للأشياء ثم الإنسياق وراء الملذات يُوَلِدان الجذور الثلاثة لطبيعة الشّر وهي :الشهوانية..والحِقد..والوَهم..وتنشأ من هذه الأصول كل أنواع الرذائل والأفكار الخاطئة..وتدفع هذه الأحاسيس بالإنسان إلى التفاعل معها فيُقْحِم نفسه بالتالى فى نظام دورة الخلق والتناسخ.

الحقيقة الثالثة عن إيقاف المعاناة..وتقول بأن الجهل والتعلق بالأشياء المادية يمكن التغلب والقضاء عليه..ويتحقق ذلك عن طريق كبح الشهوات ومن ثم القضاء الكُلِّي على ثمار هذه الأعمال..والناتجة عن الأصول الثلاثة لطبيعة الشر..وحتى تتحقق العملية لا بد من الإستعانة بالقديسين البوذيين من الدرجات العليا مثلكم يا أبنائى وأحفادى..وحتى ببوذا نفسه..والذى يواصل العيش فى حالة من السكينة التى لا يعكر صفوها طارئ.

الحقيقة الرابعة عن الطريق الذى يؤدى إلى إيقاف المعاناة ويتألف الطريق من ثمان مراحل..ويسمى بالدّرب الثُمانى النبيل..تمتد على طول هذا الطريق ثمان فضائل والتى توزع إلى ثلاث أقسام:

الفضيلة..الحكمة..والتأمل..ويتم الوصول إلى كل واحد منها عن طريق وسائل مختلفة..وأول هذه الوسائل هى اتباع سلوكيات أخلاقية صارمة..والإمتناع عن العديد من الملذات..وتهدف الوسائل الأخرى إلى التغلب على الجهل..عن طريق التمعن الدقيق فى حقيقة الأشياء..ثم إزالة الرغبات عن طريق تهدئة النفس وكبح الشهوات..وإعمال العقل فى جملة من الأفكار أو الصور..وتثبيتها فى الذهن..حتى يمكن شيئًا فشيئًا أن يتحول العقل ويقتنع بحقيقة العقائد المُختَلِفَة للبوذية..فيتخلص من الشوائب والأفكار الخاطئة والمناهج السيئة فى التفكير..فتتطور بالتالى الفضائل التى تؤدى إلى الخلاص..وتختفى العادات السيئة المتولدة عن الشهوة..باتباع هذه التمارين والتزام الأخلاق النبيلة وبذلك يمكن للراهب البوذى أن يصل وفى ظرف زمنى قصير إلى الخلاص.

سكت لى عن الترجمة بعد أن بدأ الرهبان السجود على الأرض واضعين أيديهم بوضع أُفُقِى ليبدأوا فى ترتيل ترانيم معينة..وما هى إلا دقائق حتى بدأ المعبد بأكمله يرتج بطنين هائل وكأن هناك الملايين من النحل تموج فيه.

****

بعد الجلسه الصباحية كان لى والجميع مجتمعين مع الراهب البوذى تينبا لونغ دور الذى كان يختم حديثه الصحفى المُزَيَّف أمامهم بلغة إنجليزية ركيكة:

- إن ترتيل الكتاب المقدس البوذى فى طقس الإستدعاء الكبير الحالى بمعبدنا يرمى إلى الصلاة من أجل سلام العالم وتمنى النجاح الكامل لنا..ويسرنى أن نقيم طقس الإستدعاء الكبير فى المعبد بوجودكم لتلمسوا الجو الذى يملئه التناغم والهدوء والطُمَأنِينَة..ونتمنى نحن الرهبان للعالم سلامًا وللشعب سعادة وصحة وسلامة لكل شعب التبت والشعوب المجاورة لنا وتحقيق السلام لكل بلاد العالم.

حاول دان لأكثر من مرة أن يجتذب العجوز للحديث عن أهل جوج أو الأرض المجوفة ولكن دون أن يلفت انتباهه وكان رده:

- يا ولدى إن جميع شعب التبت يؤمن بالأرض المجوفة وأنه توجد حياة أخرى بجوف أرضنا..ولكن كيف نصل إليها أو معرفة طريقها ذلك يكاد يكون مستحيلًا ولا سبيل أبدًا للوصول إليه.

دان - ولكن هناك بعض الأقاويل التى ذكرت أن عاصمة التبت لاسا لها معبد متصل بنفق يوصل إلى العالم الداخلى وإلى الأرض المجوفة

- أقاويل يا بنى إنها لا تتعد أن تكون مجرد أقاويل..وكل ما ستسمعه ستكون مجرد أساطير لا يمكن الوصول إليها.

دان - وهل تعلم مصير أىّ من قبائل الجوج القديمة؟

- بالطبع لا أعلم كل ما أعلمه أنهم هناك فى مكانٍ ما على سطح الكرة الأرضية أو فى داخلها..بعض من القبائل الهمجية البربرية والتى لم يكتشف لها مكان إلى هذه الساعة.

دان- وكذلك أسطورة كهف الشيطان..إنها لراهب بوذى على ما أتذكر قام بغلق الطريق المؤدية إلى تلك القبائل للأبد بعد أن لمس شرهم.

- (مبتسمًا) إن السينما الأمريكية والإعلام الكاذب دائمًا لديهم القدرة على خلق كذبة وتصديقها..أؤكد لك أن كل هذا الحديث لا أساس له من الصحة ولا أدرى لماذا يُصِرُّ الأوروبيون على فتح تلك الموضوعات مرة أخرى خلال هذا الأسبوع.

تلعثم دان مندهشًا بعد كلمه العجوز الأخيرة فأردف متسائلًا:

- أىّ موضوعات؟ ومن هؤلاء الذين تحدثوا معك خلال هذا الأسبوع؟
- أوروبيون أتوا هنا الأسبوع الماضى لمقابلة الدالاى لاما شخصيًا. وعندما أخبرناهم أن من تقاليدنا عدم مقابلته للغرباء تلاقوا مع وفد من الرهبان..وقد علمت أنهم رسل رئيس ألمانيا شخصيًا وأرسلهم بصفة خاصة للسؤال عن أسطورة الأرض المجوفة وأعطى دليل على إعجابه بالفكر البوذى خاتم كونفشيوس..ولم يعلم التعس أننا لا نؤمن بما أتى به كونفشيوس وهذا كان سببًا لانكار معرفة كل ما أتوا لاستيفائه.

نظر الجميع إلى بعضهم البعض واندهشوا من وصول الخاتم إلى أيدى الألمان وتسائل دان سريعًا:

- ماذا تقول يا سيدى.؟ خاتم كونفشيوس.؟ هو أخضر اللون ذو ..
- (مُقَاطِعًا) نعم..هل تعلمه أنت أيضًا أم ماذا؟

- -لا أبدًا ولكن قرأت فى أحد الصحف الصينية أنه تمت سرقة هذا الخاتم منذ فترة قليلة.
- إذن سرقه بعض الأغبياء ظنًا منه أننا برؤية هذا الخاتم سيجعلنا نخر ساجدين أمامهم.
- -وأين هذا الخاتم الآن؟
- لم يأخذه راهب منا بل رددناه مرة أخرى إلى ذلك الرجل الألمانى البغيض والذى لم نفهم كلمة من صياحه المستمر.
- وهل رحلوا فى سكون؟
- بالطبع ولكن مع الوعد بزيارة قادمه لتوضيح تأييدهم لرغبه شعب التبت فى الإستقلال.

دان- كم أشكرك على وقتك الثمين يا سيدى ولكن أود سؤالك عن راهب من معبدكم أرسلنى الحكيم شونج إليه بسلام خاص.. أين يمكننى أن أجد السيد تسانج غيانج؟

- شونج.؟ أليس ذلك هو الحكيم الصينى الموجود بمعبد مينغ المقدس ؟ ألا يزال هذه الرجل حيًا؟

دان- نعم يا سيدى.

- إن تسانج غيانج لم يعد فى معبد السماء هذا بل يمكنكم أن تجدوه فى معبد سيرا الموجود على مسافة تبعد قليلًا عن هنا.

انصرف الجميع بعد أن ألقوا التحية على الرجل وهم فى طريقهم يسبقهم سونى حتى بدأ يلوح أمامهم معبد أصغر قليلًا من المعبد السابق..كان الجميع فى سكون وهم مندهشين عن كيفية وصول الخاتم للألمان وما الذى سيحدث خلال الأيام المقبلة..اقترب دان من نور قائلًا:

دان - لن أقول كيف سرق الألمان الخاتم بل كيف وصلوا إلى هنا وظنوا أنهم سيرشون به الدالاى لاما.

نور- إننا مراقبون أغلب الوقت يا دان..منذ أن وطأت قدماى ساحة القديس بطرس وأنا أشعر بذلك..قد تختلف الوجوه ولكن تبقى المراقبة دائمًا..لكنى أتسائل لماذل لم يذهبوا للراهب المقصود مباشرة؟

دان- لسببين يا نور أولهم أن الكل يظن أن الديانتين واحدة وأنا منهم..ويبدو أن هذا الراهب لسبب ما ليس بوذيًا كاملًا بل يعتنق الديانة الأخرى سرًا وإلا لم يكن ليرسلنى إليه شونج مباشرة بالخاتم.

نور- وثانى الأسباب؟

دان – أما ثانيهم فأنا لم أخبر أحدًا باسم هذا الراهب الموجود فى معبد سيرا إلا الآن.

نور- أتدرى معنى ذلك يا دان.؟ معنى ذلك أن بيننا خائن..أتفهم ذلك؟

صمت دان بينما اتجهت نظراته إلى روز وبن اللذان كانا يهمسان بدورهم.

- هناك أمرًا أخر يا نور..أعتقد أن بن حصل على سلاح نارى.
- ماذا.؟ أين ولماذا؟
- رأيته مع إحدى السائحات يأخذ شيئًا منها ويضعه سريعًا فى حقيبته وأنا كلى ثقة أنه سلاح نارى.

****

وبعد مسيرة نصف ساعة كان الجمع داخل معبد سيرا والذى ألزمتهم القوانين بعدم دخوله..فانتظر الجميع فى مكان قاصى فى باحة المعبد الخلفية منتظرين الراهب تسانغ غيانج والذى أرسلوا فى استدعائه.

كانت الساعة تقترب من الخامسة وبعدها بقليل سوف تغرب الشمس وهم يعلمون أن لا أثر للحياة فى الصين فى الليل..وكانوا على حيرة من أمرهم كيف سيستطيعون الهبوط ليلًا.

اقترب منهم أحد الرهبان والذى يبدو أنه ربما تجاوز عمره المائة عام يسند يده أحد شباب رهبان التبت والذى كان يرتدى نفس الزى

ألقى على الجميع التحية متسائلًا عن السبب الذى دعاهم فى استدعائه فى هذا الوقت طلب دان من رفاقه أن يختلى بالراهب وحده محاولًا أن يشرح له الموضوع منذ زيارة الحكيم شونج فتوصيته بمقابلته ثم سرقة الخاتم مرورًا بأسطورة كهف الشيطان..وعندما بدأ دان فى الحديث أسكته الراهب العجوز بإشارة من يده قائلًا اتبعونى.

خرج العجوز من المعبد سائرًا على مهل وهو يتأبط يد الشاب بينما كانت خطوط الليل تهبط على سماء التبت..اقترب العجوز من بيوت بعض الفلاحين الذين كلما رأوه ركعوا على الأرض حتى يمر..كان الجميع يسير من وراءه دون معرفة إلى أين يتجه بهم..لكن الراهب وقف أمام بيت خشبى الشكل على بابه وقف خادم يرتدى زى مُغَايِر بمجرد أن رأى العجوز فتح الباب..خلع الراهب حذائه خارج البيت فحذا الجميع حذوه..كان أثاث البيت بسيط من الداخل..بينما وصلت إلى أنوفهم رائحة طعام وما هى إلا دقائق حتى بدأ الجميع يشاركون الراهب طعام العشاء..كان الطعم من

أسوأ ما يكون..ولكن احترامًا لسيد المنزل حاول الجميع إكمال ما تذوقوه وعندما لاحظ ذلك ابتسم وأردف بتلك الإنجليزية غريبه النطق.:

- أرجو المعذرة فأنتم تتناولون طعامًا بوذيًا وهو بالكاد يكون مصنوعًا من حساء النباتات فقط.

تناول الجميع ما أمكنهم تناوله إلا نور الذى لم يقترب قط من الطعام واكتفى بمشاهدة من يتعذب به..وبعد أن رفع الطعام أشار لدان أن يتحدث أخيرًا.

نظر دان إلى رفاقه ولكنه طلب من الراهب أن يختلى به لكن الأخير رفض لأن ذلك يعتبر عيبًا كبيرًا فى تقاليدهم..تحدث دان بكل ما صادفوه وحلمه العجيب مع الحكيم كونفشيوس ليلًا وتوصية شونج بالذهاب إلى تسانغ غيانج بالذات لإخباره بهذه الرؤيا وإعطائه الخاتم ثم ما تلى ذلك من أحداث وسرقة الخاتم..وطلب منه دان أن يخبره بالأرض المجوفة ومدى إمكانية رؤيته لجوج وكيف الطريق إليهم وما هو كهف الشيطان..حتى أنه أخبره بالمفتاحين المقدسين الموجودان فى مكانٍ ما..

بدأ الراهب فى التقاط أنفاسه قائلًا:

- حسنًا فعل الحكيم شونج..بداية أنا أؤمن بأفكار كثيرة من مبدأ الإله كونفشيوس مع المعظم بوذا..وأرى أنه لا تعارض بينهما أبدًا..وكم كنت أود أن أخلق نوعًا ما من تقارب الأديان..وحاولت مِرَارًا أن أوضح وجهة نظرى تلك..لكن فى المعبد السماوى فى تشبونغ رفضوا ذلك وكان نتيجته أن تم استبعادى من أداء التراتيل المقدسة واستمرار خدمتى فى معبد سيرا.

دان - إننا نواجه صعوبات كلما تقدمنا يا سيدى..ولا أحد يريد أن يخبرنا ولو عن نصف الحقيقة حتى..وهذا الخاتم المقدس كنت أود أن أعطيه لك لتخبرنى حقيقة الأرض المقدسة ومملكة شامبالا وأين توجد تلك الأراضى وأين يختفى جوج.

- يا بنى إن ما تقوله يعتبر من الأسرار المقدسه فى التبت ومن المستحيل أن يخبرك أحدًا بأى شىء منه ولكن لكونك قطعت نصف الكرة الأرضية وأتيت لى بتوصية خاصة من الحكيم شونج فقد أخبرك ببعض الأشياء التى ستريحك..نعم هناك طريق سرى من أسفل عاصمتنا المقدسة بنفق ممتد إلى مملكه شامبالا الموجودة بالعالم الداخلى أىّ تحت الأرض..ومدخل هذا النفق محروس من قِبَل كهنة الدلاى لاما البوذيين الذين أقسموا على سرية هذا النفق وفدائه بأرواحهم..وكل من فى التبت والشعب البوذى والرهبان نؤمن بأن هناك مدينة فى جوف الأرض اسمها أغرثا..ويتصلون بها عن طريق عدة كهوف وأنفاق عملاقة..ولقد علمت أن الأمر الذى كان سريًا طوال مئات السنوات بدأ فى الظهور فقد بعث أحد رؤسائكم مندوبين للبحث عن تلك الأنفاق وتلك المدينة المختفية كما علمت مما حدث الأسبوع الماضى فى معبد السماء.

نور- لقد علمنا فعلًا أن ذلك حدث فى مقابلتنا مع أحد الرهبان.

- مع ملاحظة أننا لم نرى تلك المملكة وأن معظم أهل التبت لا يعلمون أين توجد تلك الأنفاق التى تؤدى إلى العالم الداخلى ولكنهم يعلمون أنها فى عاصمتنا المقدسة..ولا يعلمها إلا أصحاب الشأن والمراكز العليا من رهبان الدلاى لاما وعلمها عند الدلاى لاما الكبير.

روز- وهل هى بعيدة عن العاصمة لاسا؟

- هى تقع تحت سطح الأرض وبيننا مئات الأميال تقريبًا وتُعْرَف باسم شامبالا أو المملكة المفقودة وعاصمتها هى مدينة أغرثا العظيمة وكبار الرهبان الذين سبقونا كانوا يقولون لنا ونحن أطفال أنها جنة من جنات الأرض لم يُرَ مثيلها على الإطلاق.. كثيرة الغابات والأشجار..ولها بحيرات نقية عذبة وعلى شواطئ وضفاف البحيرات تستقر القصور والصروح والمعابد..كأنها الكريستال بل وأنقى من الكريستال..لا تشبهها قصور على وجه الأرض..وهى مدينة يبلغ سكانها عشرات الملايين من البشر ..ويسمونها بأرض الجنة التى توجد تحت الأرض...

دان - ولكن من المؤكد أنه يوجد طريق ما للوصول إلى تلك المدينة..

- تقول النصوص البوذية بأنه يمكن الوصول إلى مملكة شامبالا بعد رحلة طويلة وصعبة عبر الأنفاق المتشعبة تحت جبال التبت والتى لا نهاية لها..وتحذر بأن الذين سيصلون إليها هم فقط المحضرين روحيًا ذوى القلوب الصافية فهم من يستطيعون إيجادها أما الاخرين فسيجدون فقط العواصف الحاجبة للرؤية وكهوف الجبال خاوية..أو حتى الموت هو من سيجدونه فى نهاية المطاف.

بن - ولكن أعتقد عن طريق بعض الإكتشافات الحديثة معرفة مكانها.

- لا أظن فهى محاطة بحجاب طبيعى يخفيها تحت الأرض..بحيث قد يمر من فوقها أسراب من الطائرات ولا يرونها..جميع الجيوش حول العالم قد يمرون بجانبها لكنهم يجهلون بأنها موجودة يا سيدى..إنها بلاد واسعة وممتدة عبر مساحات شاسعة..هى ليست محروسة منا فقط..إنها محروسة من قبل أكثر الأجناس تطورًا..الذين يراقبون

البشر على سطح الأرض بصمت ويقبعون هناك فى مجلسهم..انتظارًا لشيءٍ ما.

بعد حوالى عشر دقائق بدأ الجميع فى الشعور بالنعاس مما أدى إلى ذهابهم جميعًا إلى أسرتهم فى تمام التاسعة تمامًا.. إلا دان فبعد أن انصرف زملائه عاد مرة أخرى إلى الراهب:

دان- وما كهف الشيطان يا سيدى؟

- إنها من الأساطير القديمة أيضًا يا بنى.
- ولكنى وصلت إلى أحد مفاتيحكم المقدسة..وأخرج مفتاح كنيسة القيامة مما جعل الراهب يهب من مكانه مفزوعًا ليقترب من المفتاح الذى كان بيد دان فمد يده بِهِ إليه فأخذه..وبدأ ينظر إليه فى ضوء الشموع الموجودة بالمكان.
- إن الضوء ضعيف يا ولدى وغدًا سوف أراه بوضوح..

أخذه دان من بين يديه وأخفاه فى حقيبته وذهب مع أحد الغلمان إلى مخدعه الموجود بغرفة كبيرة كان بها بن ونور ولى وحتى سونى أما روز فقد نامت وحدها فى غرفة مخصصة للنساء.

***

الفصل الثانى عشر

(ليس كل شيء سيء يحدث بحياتنا يكون سيء فقط فلابد أن هناك شيئًا ما مبهج بداخله ولكننا لا ندرى كنهه لوجود ما يتعبنا..وأيضًا كل شيء سارّ ومُبْهِج يحدث لنا يكون معه أيضًا ما هو سيء ولكننا لا نتذوق إلا الشيء السار فقط)

بعد عدة ساعات أفاق دان على يدٍ تَرُجُهُ بشدة..واليد الأخرى على فمه كي لا يحدث أيّ صوت..وعلى ضوء شمعة بسيطة جدًا وجد الراهب هو من يوقظه..مشيرًا إليه أن يتبعه..قام دان على الفور وأخذ حقيبته ولكنه شعر بالفزع من فكرة السير وراءه بمفرده فما كان منه إلا أن وخز نور سريعًا دون أن يشعر الراهب وخرج من الغرفة..كان الراهب منتظرًا دان فأشار إليه أن يقترب وبالفعل بدأ في المسير داخل المعبد..ومن وراءه نور الذى قفز بخفة وأخذ حقيبته هو الأخر.متابعًا من بعيد ولكنه لم يشعر أبدًابمن يسير خلفهم..

ظلَّا في المسير قرابة النصف ساعة من غرفة إلى أخرى بداخلها حتى وصلا أخيرًاإلى كوة في أرضية غرفة بباب خشبى..أشار له الراهب أن يرفعه دان وبالفعل دفعه وهو مسلوب الإرادة تمامًا..ليرى على ضوء الشمعة سُلَّم يهبط بهم لأسفل..اقترب الراهب من السلم وبدأ في النزول بخفة حسده عليها دان الذى خطرت له فكرة مُفْزِعَة من الأصل..هل ذلك هو الراهب البوذى الذى كاد يكون كسيحًا منذ عدة ساعات أم شيئًا ما أخر.؟وكيف سار معه كل هذه المسافة دون أن يتبادل معه كلمة واحدة..وأين نور الذى أيقظه قبل أن يخرج من الغرفة..أيكون كان قد عاد إلى النوم.؟ أم أنه في كابوس الآن.؟

كان الجو مظلم وشديد البرودة في طريق النزول الذى استمر لأكثر من خمس دقائق وكلما نزلوا أكثر كلما ازدادت البرودة..كان دان ينظر إلى تلك الفتحة البعيدة في العلية وخُيِّلَ إليه أن هناك العديد من الأشخاص ينظرون إليهم..ثم أغلق الباب الخشبى في الأعلى دون أن يلاحظ الراهب الذى بدا في ترتيل صلوات معينة بصوت أكثر حزنا..وأخيرًا لامست قدماه الأرض وأبصر دان على الضوء الضعيف وكأنه في ساحة فسيحة بها العديد

من الكهوف..توقف الراهب وبدأ ينظر إلى إحداها وبدأ فى التوجه إليها..نظر دان خلفه لم يُبْصِر جيدًا وخاف أن يَضِلُّ نور طريقه أثناء تتبعه..فأخرج منديله وألقاه على مدخل الكهف الذى شرعوا فى السير فيه..وهكذا ظلوا فى المسير حتى وصلوا إلى دَرَج حجرى منحوت فى الجبل..التفت الراهب إلى دان وأشار إليه أن يتبعه مرة أخرى..ولكن دان تجمد مكانه فعلى ضوء الشمعة المتراقصة كانت ملامح الراهب تكاد تكون مختلفة عن الجنس البشرى بأكمله..أغمض عينيه وفتحهما ولكن كان قد تحرك على الدَرَج الحجرى مستمرًا فى نزوله مستندًا على الجدار مُطلِقًا ذاك النحيب مرة أخرى فى صورة تراتيل.

وصل دان أخيرًا إلى أرضية بها العديد من الحشائش والرائحة المُمَيَّزة للمطر ونظر حوله ولم يجد إلا ثلاث كهوف..اقترب الراهب من أحدها لِيُقَرِّب الشمعة من مِشْعَل بجوار الكهف بينما بدأ خيالهم يتراقص على الجدار الأصَمّ أمامهم..جلس العجوز على الأرض أمام الكهف وبدأ فى الحديث.

- هنا فى أحد هذه الكهوف الثلاثة كان يعيش أحد رهبان التبت وكان يعتزل الناس فى هذه الصومعة..وكان من أشد المتشددين فى معرفة الطريق إلى الشيطان..أو إلى جوج كما تسمونهم..وبشكل ما توصل إلى أراضيهم أو إلى أحد تلك القبائل المنقرضة بداخل الأرض وأحدهم كان يبدوا كشيطان وتتبع الراهب حتى وصل بالقرب من هنا ولكن الراهب قضى عليه وقتله..كان يظنه الشيطان نظرًا لهيئته الغريبة..وبعد ذلك استطاع الراهب أن يغلق هذا الطريق إلى جهنم كما أطلق عليه..بحجر ضخم..وبعد ذلك أغلق الكهف بعد أن صنع له باب حديدى وقفلين كبيرين..أشار عليه أحد القساوسة الموجودين فى المعبد وقت زيارته له بعد أن أخبره بهذا السر لأنه كان يسأل عن وجود الشياطين فى

المسيحية فأشار عليه بأن هذان المفتاحان يجب إرسالهم إلى أهم كنائسهم لمنع الشر من الخروج وظل يشرح له المسيح والشيطان ونهاية العالم وكثير حتى أقنعه أن يرسل المفتاحين معه فى رحلة أبدية لإنقاذ العالم من كهف الشيطان..كان مقتنعًا أنه بوضع المفتاحين فى كنيستكم فإنه بذلك يغلق الكهف إلى الأبد..ولا أدرى ما حدث لهم بعد ذلك إلا عندما وجدت أحدهم معك..لم أتيقن من تلك النقوشات التى كانت مرسومة على مفتاحك جيدًا..لكن بظهور المفتاح نفسه فهذا نذير شؤم لدينا لأنك بذلك أيقظت الشيطان وسمحت له بالإقتراب من مدينتنا..تعال اقترب الآن ولا تخف وأرنى مفتاحك وهل يحمل نفس النقوش الموجودة على مدخل الكهف الموجود أمامى أم لا.؟

أخرج دان المفتاح من الحقيبة بينما اقترب الراهب من الشعلة الأخرى فى الجانب الأخر وأشعلها..وبعد إشعال النار وجد دان أنه فى ساحة حجرية فسيحه مثل التى رآها فى نينفشيا.. ويوجد بالمكان الكهف الذى يقف أمامه الراهب وعلى يمينه كهفان اخران أحدهما بنفس الحجم والأخر أصغر قليلًا.

أشار الراهب لدان أن يتقدم بالمفتاح مادًا يديه مشيرًا إلى النقوش الموجودة أعلى الكهف..اقشعر بدنه عندما لمح باب حديدى قديم جدًا يعلوه الصدأ بمدخل الكهف والذى لم يتبينه بسبب الضوء الباهت..كانت النقوش واحدة بين المفتاح والمرسومة بمدخل الكهف..اقترب الراهب وأخذ المفتاح من دان وبدأ فى وضعه بداخل القفل الموجود دون أن يفتحه..أشعل البخور وجلس راكعًا ينتحب.

كان الموقف غريبًا بكل الوجوه..وللحظات أدرك دان أنه بداخل كابوس..مكان كئيب مظلم أمامه..كهف مغلق ولا أحد يعلم تحديدًا ما

الموجود خلفه منذ مئات السنين..وراهب بوذى ينتحب وكأنه فى طريقه لانقضاء أجله..وأصوات وهمهمات تأتى من فوهات الزمن السحيقة ولا يدرى ما طبيعتها..ووسط هذه المأساة سمع صوتًا مألوفا لديه:

- كنت أظن أن المفتاح الثانى ليس بحوذتك يا دان.
- نور..تعال تعال واسمع كل ما قاله الراهب.
- أنا هنا يا عزيزى ولست وحدى..عندما ايقظتنى كان لى منتها فأتى معى هو وسونى..ولكنى لم أشعر أنى مُرَاقَب إلا بعد نزول المستر بن و روز.

وما هى إلا لحظات حتى كان الجميع موجودين بالمكان الفسيح وسط اندهاش دان من اجتماعهم بهذا الشكل.

نور- هيا ماذا حدث لما لا تتكلمون جميعًا.؟

كان الجميع مندهشين من المكان الموجودين به بينما بدأت روز فى السعال..فاقترب دان من حقيبته ليخرج منديله ليعطه لها..بينما كان الراهب لا يشعر بوجودهم وظل فى نحيبه..وفى خِفَّةٍ لم يشعر أحد بدان وهو يدس سلاحه النارى فى ملابسه.

اقترب نور أكثر من الراهب وفتح حقيبته وقتها وقعت المفاجأه على الجميع حين أخرج نور مفتاحًا طبق الأصل من المفتاح الذى كان مع دان واقترب أكثر ليضعه فى مكانه..وقتها صرخ الراهب عندما بدأ نور فى وضع المفتاح وإدراته لفتح باب الكهف حاول أن يمسك بذراعى نور وهو يصرخ حينها أخرج نور سلاحًا ناريًا من حزامه وهوى به على رأسه مزيحًا إياه من المدخل..

وكان تلك الإشارة ليحدث ما لم يتوقع أحد حدوثه..فأخرج بن مسدسه ليشهره فى وجه نور بينما أخرج لى وسونى اسلحتهم ليشهر فى وجه بن ودان..بينما أشهر نور سلاحه فى وجه بن..

اقترب دان من الراهب الذى كان الدم مغطى راسه ويبدو أنه فى النَزَع الأخير..اقترب من أذنيه بينما كان السُبَاب بين الجميع هو المسموع مع صراخ روز..وضع دان أذنه على فم الراهب الذى أمسكه من تلابيبه وهو يهمس إليه الكهف الأيسر..الكهف الأيسر..ولم تمض إلا لحظات وفارق الحياة..أخرج دان هو الأخر مسدسه فى وجه نور..واختبأت روز وراء دان الذى بدأ فى الصراخ وهو يشير لنور:

- نور ما أصابك؟ولماذا قتلت ذلك المسكين؟ومن أين جئت بالمفتاح..

بن- أو لم تدرك أيها الاحمق مَنْ نور حتى هذه اللحظة.

لى- باسم الحكومة الصينية أحذركم أن تخفضا أسلحتكم..أنتم على أرض صينية وأى رصاصة ستخرج فإننا جميعًا موتى..اخفضا أسلحتكما وإلا.....

نور- فلتخرس أيها الأبله...نعم يا دان قتلته لسبب أنه لابد من إزاحه ذلك العجوز من أمام الكهف..ذلك الكهف الذى نسعى إليه منذ فترة.

دان - تسعون إليه.؟ من أنتم الذى تسعون.؟

سونى – أخفضا أسلحتكما وإلا.....

ولم يكمل سونى فقد أصابه نور فى مقتل فى أقل من الثانية..ولم يتحرك بن أو دان..بينما هرعت روز على سونى لتحاول إنقاذه ولكنه كان قد فارق الحياة فصرخت :

- أفيقوا جميعًا ما الذى تفعلونه..؟

وانتهز نور هذه الفرصة التى أتت له على طبق من ذهب فاختطف روز واضعًا مسدسه على رأسها مُهَدِّدًا الجميع بأن يلقوا أسلحتهم وإلا قتلها على الفور..حاول لى أن يتقدم ناحيته ولكن علم أنه سيفشل فألقى بسلاحه على الأرض..وكذلك فعل بن..بينما جاءت الفرصه لدان أن يصيبه فى مقتل عندما أولاه ظهره..وفعلًا ضغط على الزناد.

*****

سمع نور صوت ارتطام أجزاء المسدس الفارغ من طلقاته فنظر على دان وركله بقدمه فى مسدسه مُلْقِيًا إياه بمدخل الكهف..نظر دان إلى لى الذى بدا عليه الندم لاضطراره إعطاءه مسدسًا دون طلقات خوفًا من سوء استخدامه.

أخرج نور حبلًا من حقيبته صارخًا على دان بأن يتقدم ويُقَيِّد أيدى بن ولى وروز.

روز- من أنت ولماذا تقيدنا هكذا يا نور؟

بن- إنكم جميعًا مُغَفَّلُون..كيف لا تدرون إلى الآن..منذ أول لقاء بيننا وأنا لم أسترح لهذا الشخص.

نور- هل لك أن تخرس أيها الكلب أم أُخْرِسُكَ بمعرفتى.؟

لى- صدقنى..سوف تدفع ثمن قتلك لسونى أيها التعس.

نور- من أنت يا لى.؟ وما الذى أقحمك فى ذلك؟

كان دان يقيد بن فأحكم وثاقه بينما لم يُقَيِّد لى بالقوة الكافيه ونظر فى عينية ليفهم لما فعل ذلك..انتبه لى على صوت نور فأجابه.

لى - أنا من ضباط الجيش الصينى وكذلك سونى..وأعتقد أن وجود بعثة بريطانية لتكشف عن آثار بعض القبائل المنقرضة فى أراضينا الصينية كان لابد أن أتحرى عن الموضوع وكان لابد أن يكون أحد عيوننا معكم وإلا وجدنا ما لا يحمد عقباه..لقد عانينا الويل بسبب حروبكم البغيضة وطمعكم الذى لا حدود له فلماذا تأتون إلى بلادنا لكشف ما هو مُقَدَّر أن يظل مختفيًا إلى أخر العمر.

نور- وجهة نظر منطقية جدًا ولذلك أنا لا أحمل لك أىَ ضغينة يا مستر لى..وكل ما تراه هو مجرد سوء تفاهم سوف يزول فى أقرب فرصة.

بن - (ضاحكًا) ..أنتم جميعًا أغبياء..إنه...

لم ينتظر نور أن يكمل بن بقية جملته وإنما اقترب منه واضعًا فوهة مسدسه على جبينه قائلًا:

- ألم أحذرك أيها الإنجليزى السمج.؟

وأعقبها بطلقة من مسدسه فى منتصف جبهة بن أوليفر الذى انفجر مخه أمام الجميع وسط صراخ روز التى كانت لم تُقَيَّد إلى هذه اللحظة وكانت هذه إشاره لتبدأ صراخها الهيستيرى.

اقترب منها دان سريعًا كاتمًا صوتها بدلًا من أن يُسْكِتَهَا نور إلى الأبد..فصمتت وهى تنتحب على ما صار إليه الوضع.

اقترب دان من نور الذى لا يزال يمسك مسدسه فَحَذَّرَهُ نور ألا يقترب ويجلس صامتًا فى مدخل الكهف..اقترب نور من باب الكهف وحاول أن يدير المفتاح لكنه وجد صعوبة شديدة.

دان- نور..أنت لا تفهم..هذا الباب لا يؤدى بك إلا للشيطان..هذا الكهف ليس وراءه أىّ مملكة فاضلة بل بعض القبائل البربرية المتوحشة..

- هل لك أن تصمت..أنا أحاول تجربة المفتاح ليس إلا.؟ أما من وراءه فتلك نتركها لوقتٍ أخر..سوف أعود إليه وقتًا ما مع فريق علمى مختص.
- كيف وصل لك المفتاح يا نور؟
- دان..أرجو أن تمسك أعصابك جيدًا ولتعذرنى عما أفعله أو سأفعله أو فعلته..أنت لو كنت مكانى ستفعل كل ما قمت به.
- ولكنك قتلت أمامى رجلان يا نور وإسلامك يَحْظُرُ قتل النفس على ما أعتقد.
- عزيزى أنا لست بمسلم بل مسيحى كاثوليك..ودينى يحرم القتل كما فى الإسلام الذى لم أدرى شيئًا عنه وأنتم لم تشكون لحظة أنى مسلم..بل إنك لا تدرى كم من الأرواح التى قمت بإزهاقها فى مهمتكم تلك ؟
- لا أفهم.
- سأبدًا معك من البداية..أنت لا تفهم لأنى لست من بلاد الشرق الأدنى أو كازاخستان بل اسمى هاينز جوكوف من ضباط جيش الرايخ الثالث بقسم الأبحاث العسكرية.
- روز- ماذا.؟ كيف؟ وأين نور إذن؟
- نور الحقيقى لقى مصرعه بعد تعذيبه داخل معسكراتنا النازية وأشرفت على تعذيبه بنفسى حتى أستخلص منه أىّ معلومات قد تشير إلى طبيعة الأبحاث التى يقوم بها ذلك الغبى الذى نجح فى خداعنا جميعًا وظننا فعلًا أنه لقى مصرعه فى تلك الليلة المشئومة فى المعسكر..وخاصة عندما وجدنا الجثة محروقة ومُقطَّعة لالاف

القطع.. ألقينا القبض على نور ولم نعثر معه على أىّ شىء ولكننا وجدنا رسالة من كلمتان لم نفهمها ملقاة بجوار المنطقة التى حاول أن يهرب منها..واجهناه بكل شىء ولكنه لم يعلم كما يبدو فكان علينا التخلص منه والبحث بمفردنا عن أبحاثه ومحاولة استكمال ما كان يقوم به معنا من تكوين الإنسان المُقَاوِم للأمراض..كخطوة لجعل الإنسان لا يقهر.

دان- وعندما فشلتم كان عليكم أن تخدعوا الجميع بإظهار نور وإعادته للحياة مرة أخرى..

- تمامًا وخاصة أن لا أحد يعلم نور الحقيقى إلا إدوارد..وكان لابد من إعادته للحياة..عندما بحثنا فى جامعة هارفارد وعلمنا أن ادوارد كان فى منحة مع زميل له..وعلمنا أن هذاالزميل على قيد الحياة وكان لابد من مقابلته لعل لديه ما يخفيه.

روز- وهكذا انضممت إلى البعثة.

- بسهولة لم أكن أتخيلها..وكل الأخبار كنت أنقلها إلى الجيش الألمانى يوميًا..كل ما كنا نقوم به أو أسمعه كان لابد من نقله سريعًا..
- نعم نعم..بداية من ذلك الرجل الذى اصطدم بك فى ساحة القديس بطرس كان أحد الألمان الذى طاردك بعدها.
- نعم يا دان كان لزامًا علىّ أن أخبرهم برحلتنا فى الغد من مقابلة الأب بوتشلينى وكنت أخبرهم بضرورة محاولة القبض علىّ وهروبى منهم حتى يتسنى لى إخبارهم بكل ما حدث.
- وكانت تمثيلية الهروب منهم والقبض عليك لتستغل أنت هذه الفرصة لسرقة المفتاح المقدس الذى أخبرنا بقصته الأب وقتها..وسرقت أيضًا

بعض النصوص الهامة والتى تُبَيِّن الدور السيء الذى يقوم به اليهود وسيقومون به فى المستقبل وفى أقرب وقت أرسلت كل تلك الأوراق الهامة إلى قيادتك واحتفظت بالخاتم لنفسك.

- تمامًا ولكنت نسيت أن الأب بوتشليفى لم يُيَسِّر لى إعطائى الأوراق فكان لابد من التخلص منه..ليلتها أرسلت الأوراق مع زملائى لعرضها شخصيًا على قائد وحدة الأبحاث العسكرية مع توصية منى بإرسالها إلى هتلر شخصيًا..وشرح الدور اليهودى الماسونى القذر فى الخفاء..أما احتفاظى بالخاتم فهذا سبق لى لم يصل إليه أىَ عالم فى الجيش الألمانى ولذلك سأستمر حتى أصل لتلك الشاطين خلف تلك الجدران.

دان - وبنفس المنطق سرقت الخاتم.

- كان لابد من سرقته يا دان..حتى أبعثه فورًا إلى قيادتى لإرساله مع مندوبين خاصيين من هتلر إلى الدلاى لاما كما علمتم ولكنى اندهشت بعد علمى أنهم لا يدينون بتلك الديانة أبدًا..هنا أدركت حجم الخطأ الذى قمت به وكان علىّ أن أُتَابِعُكَ فى كل خطوة تقوم بها.
- ولماذا كنت تريد التخلص من بن أغلب الوقت؟
- بغض النظر عن أنه بريطانى الجنسية فهو من رجال الجيش السابقين..هذا سبب رئيسى يجعله عدوًا لى منذ أن وقعت علىّ عيناه..وصدقنى إن لم أتخلص منه أولًا كان سيتخلص منى.

روز- ومحاولة تسميمك أهو من قام بها؟

- لا يا مس روز..تلك أخر مسرحية قمت معكم بها..فقد بلغنى وأنا فى الفندق عن عودة ادوارد إلى الحياة فى لندن وسفره إلى بكين ونزوله باسم مستعار فى الفندق ذاته..مستر أليكس رودفايدلر..أليس

كذلك؟فكان لابد من قتله وحتى لا ألفت الأنظار إليّ فقمت بأخذ قرص مُعيَّن أحتفظ به لهذه الأسباب وكانت أعراضه مُشابِهَة تمامًا للتسمم..حتى أختفى عن مقابلته في أول الأمر.

- وخرجت من المستشفى وقتلته.
- لا يا دان قتله أحدهم بناءًا على أوامرى..بم تفسر عندما تقع عيناه على ويفسد كل ما خططناه؟
- أنا لا أصدق يا..لقد نسيت اسمك..أقمت بكل هذه الجرائم من أجلِ مجدٍ زائف وهذا المفتاح الذى سيفتح لك وابلًا من الجحيم خلفه.؟
- هذا شأنى أنا..يكفى ما حققته من أمجاد.
- أىُّ أمجاد أيها الأحمق.؟ أمجادك بنيتها على جثث العديد من الأبرياء.
- لكل حرب ضحاياها يا دان..يكفى أننى كشفت أمام العالم كذب اليهود وادعاءاتهم وحركتهم الماسونية..يكفى أن كل مخططاتهم الآن فى مقر الرايختساج الألمانى.
- ألم تفكر فى عاقبة فعلك على اليهود المساكين الذى ليس لديهم أىّ نوازع استعمارية أو أىّ مطمع سوى العيش بسلام؟
- أنا لست أبله مثلك يا دان..يكفى دورهم القذر فى الحرب العالمية التى عصفت ببلادى..أنت لا تعرف ما الذى فعلوه وسيفعلوه..أنت مدافع عنهم لأنك إنجليزى..هل لو كنت عربيًا مثلًا كنتيجه لوعدكم المشئوم بلفور هل كنت ستدافع عنهم.؟ أليس للعرب نفس الحقوق ليحلموا بأن يعيشوا بسلام فى أراضيهم ؟ أم تناسيت ما فعله قرنائك؟
- إننا لسنا هنا لتدوال قضايا الأمم..إننا نريد الخروج من هذا المأزق بسلام جميعًا.
- جميعًا...أنت لا زلت أبله يا دان ..أنسيت ما فعلته بك تلك الحقيرة؟
- أنا لا أسمح لك بأى كلمة عن روز.

- سحقًا لك أيها التعس..واستمرى أيتها الحمقاء فى خداع هذا الغبى.
- روز- لا أسمح لك.
- دعونا من هذه الخزعبلات .. والآن يا دان هل لك أن تقترب وتحاول أن تفتح الباب المغلق.

لى - لا تنس أيها الغبى أن الباب مغلق منذ مئات السنين..فكيف تتوقع أن يفتح بهذه السهولة بالاضافة أن هناك العديد من الأحجار والطحالب وكنتيجة للزلازل لابد وأن مدخل الكهف ذاته تم ردم أغلبه.

اندهش هاينز من حديث لى فاقترب قليلًا من مدخل الكهف ليتأكد مما هو موجود..وهذا ما كان يتمناه لى الذى كان متحررًا من قيده وفى أقل من ثانية قفز على هاينز ليرطمه بكل قوة فى الباب الحديدى مما أفقده الوعى سريعًا.

وقتها شارك الجميع وفى أقل من دقيقة تم تقييده فى الباب المُغْلَق تمهيدًا لإحضار الشرطة لإلقاء القبض عليه لارتكابه جريمتى القتل التى اقترفهما أمامهم بالإضافة إلى سلسلة من الجرائم كان قد بدأ يعدها فى خياله..اقترب دان من الكهف الأيسر مُقَرِبًا الشعلة داخله فلم يجد سوى ممر يهبط به إلى أسفل..تسائل فى نفسه هل يهبط إلى الأسفل ولتستمر معاناتهم وضياعهم أم يضع حدًا لكل شيء الآن؟

لى- مستر دان.. مس روز هل لنا أن ننصرف الآن لإحضار الشرطه قبل أن يفيق هذا المختل.؟

دان- وكيف سنعرف طريقنا فى العودة يا لى.؟

لى- اثناء نزولى كنت اترك علامات معينه وإن تتبعناها فسنصل إلى حجرة القرابين..هيا بنا..

وبالفعل أخذ كل منهم حقيبته وألقت روز نظرة وداع على جثمان بن وهى تبكى..سار الجميع وراء لى الذى كان يقف برهة وينظر فى أرجاء المكان حتى يهتدى إلى الأثر الذى تركه..وهكذا حتى وصل الجميع أخيرًا إلى حجرة القرابين والتى بدأت منها رحلتهم الليلية.

خرج الجميع خارج المعبد..بينما كان لى يتحدث مع أحد المرشدين السياحين وأخر من رجال الشرطة الذى بدأ فى الصياح على العديد من قرنائه.

اقترب لى من دان و روز :

لى- ستهبطون حاليًا مع المستر جون ماكبث وهو مرشد سياحى لفوج أمريكى وأخبرته أنكم مفقودون منذ الأمس..وأننا نجحنا فى العثور عليكم..سيقوم بإيصالكم إلى الفندق ربما نحتاج منكم بعض الإيضاحات فى قسم الشرطة..وإلى هنا أعتقد أن رحلتى معكم قد انتهت..لقد مررنا بأوقاتٍ صعبة وأحيانًا أوقات سعيدة..لكن من فضلكم لا تتحدثوا عن أسرارنا المقدسة..لا نريد أن يأتى كل مهووسى العالم للبحث والتنقيب على مدينة لا توجد إلا فى خيال الرهبان فقط..فالمدينة الفاضلة لا توجد إلا فى الجنة..يكفى ما صار من ضحايا للبحث عن أسطورتكم المزعومة أتَعِدانى بذلك؟

دان- نعم يا مستر لى..لن نخبر شخصًا بالعالم على ما رأيناه أو سمعناه..يكفى ما للعالم من دمار وما سوف تقوم به النفس البشرية الأمّارَة بالسوء دائمًا..لن نخبر أحدًا بذلك..وأنا فى غاية الشكر.

لى- الشكر.؟ لماذا؟

دان –أتعلم يا لى..كنا نعتقد أننا البشر الوحيدون على الأرض ونطمع أن نُهَيْمِنَ على كافة المخلوقات بجبروتنا ونوازعنا الإنسانية المختلة فى بعض الأحيان..علمت أننا من أتفه ما يكون على هذا الكوكب..أتعلم أيضًا قبل أن أبدأ رحلتى للبحث عن أصول تلك القبائل كنت لا أدرى أنَّ هناك خالقًا أعظم للكون بأكمله..كنت أحاول أن أجد مبررات لأى شىء غامض وأنسبه إلى العلم..لكنى تعلمت منكم ومن الرهبان والقساوسة والتعاليم اليهودية والإسلام..أن هناك رَبًّا واحدًا لكل هذه الأديان وإن اختلفت الطرق للوصول إليه..لا يهم من أوصل اليك الفكرة ذاتها ولكن هناك إله واحد لكل تلك المخلوقات والتى خلقها وأوضع بداخلها سره الأبدى..الروح يا لى..هل يستطيع العلم خلق روح؟

لى- إن مكوثك فى الصين يبدوا أنه أضاف الروحانية إليك يا مستر دان..اعذرانى فعلىَّ النزول لإلقاء القبض على هذاالألمانى المجنون..خذا حذركما أثناء النزول..وأتمنى أن أراكم فى زيارتكم القادمة.

كانت الساعة تقارب الثامنة والنصف صباحًا عندما بدأ الجميع فى الهبوط على الدرج الحجرى المخصص للنزول من جبل كانفشينجونغا.

- لقد أصبحت شديد الرِقَّة يا دان.؟ لم أعلم فعلًا أن تلك الرحلة غَيَّرت قلبك وجعلته بهذه الشفافية.
- أنا نفسى لا أعلم كيف تغيرت بهذه الدرجة يا روزى..ولا أعلم كم كنت غبيًا فى الماضى للحكم على أشياء بطريقة سطحية..هناك شيئًا أخر تعلمته..ليس كل شىء سىء يحدث بحياتنا يكون سىء فقط فلابد أنَّ هناك شيئًا ما مبهج بداخله ولكننا لا ندرى كنهه لوجود ما يتعبنا..وأيضًا كل شىء سار ومبهج يحدث لنا يكون معه أيضًا ما هو سىء ولكننا لا نتذوق إلا الشىء السار فقط..
- لا أفهمك يا دان ..

كانا قد وصلا إلى أسفل الجبل وفى انتظار الحافلة للقدوم..وما أن أتت حتى اقترب دان من روز وأعطى لها حقيبتها التى كان يحملها لها قائلًا:

- هنا تنتهى رحلتنا سويًا يا روز.
- بمعنى؟
- لم أحب بحياتى شخصًا مثلك..ولم أتمنى أن أقضى بقية عمرى مع غيرك ولكن هناك أشياء كثيرة تبدلت بداخلى..لا أستطيع الإستمرار معكِ..ربما كنت مختلًا..ربما سألوم نفسى آلاف آلاف المرات..لكن الآن أصبح لدىَّ القدرة أن أوقف مشاعرى عند حَدٍّ مُعَيَّن..
- روز (وبدأت فى البكاء)- دان أنا أعتذر لك عن كل ضيق سببته إليك

وكل كلمة خرجت منى دون قصد..بالله عليك تعال معى فأنت صديقى الوحيد.. وبدأت فعلًا أشعر أن لك دورًا بحياتى القادمة فلا تتخلَّ عنى.

- أنا لا أتخلى عنك..إنما غشاوة فقط كانت على عيناى ولم تلبث إلا أن انزاحت..سأظل أحبك حتى أخر نفس بحياتى ولكنى لا أستطيع..

- فلتأت معى..لنكمل أبحاثنا سويًا..لقد وصلت إلى شوط هائل فى الأكواد الوراثية وهذا البحث سيغير وجه العالم المائة سنة القادمة..فلتأت معى وتشاركنى كل شىء.
- أنا على تمام الثقة أن العالم كله سيتذكر من البروفيسورة روزاليند فرانكلين..سأتابع أخبارك دائمًا وسأظل أدعو لك بقلبى..بلغى سلامى لألبرت وأخبريه أنى عرفت الله أخيرًا..
- أبلغ سلامك.؟ ألن تأتى معى حتى إلى بريطانيا.؟
- لا يا روزى لقد عشقت هذه الأرض..ووجدت روحى هنا وعن طريقها سأصل حتمًا إلى الله..سأبحث فى الأديان..سأقترب أكثر من المعابد والكنائس والمساجد..تلك هى الدعوة الثالثه التى كنت أنتظرها من مريم المقدسة..
- إنك تقول ألغاز يا دان..
- لا يا روز فقد كانت الدعوتان المتبقيتان أن أجد الله وأن.. أن.. أشفى منكِ..

أفاقوا على صوت المرشد الأمريكى يَحُثُّهم على الرحيل..اقترب دان من روز وأمسك بيديها وطبع قبلة على كفها مودعًا..ثم أولاها ظهره حتى لا ترى تلك الدموع إلى انفجرت بعينيه أخيرًا.

*****

كان لى يصرخ فى الجميع..ظل يبحث مرات ومرات على تلك الآثار التى تركها فى طريقه للنزول ولكنه لم يجد أىّ أثر..بدأ البحث مرة أخرى فى حجرة القرابين حتى وصل إلى الكوة الموجودة بإحدى الحجرات.. وعندما هبط الجميع فى الكوة..لم يجدوا سوى حوائط صَمّاء مما زاد من جنونه وأصَرّ على إعادة البحث منذ البداية حتى فطن الجميع إلى وجود فتحة فى مكان جانبى عن طريق أحد الرهبان البوذيين الذى أجبره دان على القدوم معه ليحمل جثة الراهب العجوز..دخل الجميع فى فتحة الكهف واستمروا فى الدخول حتى وصلوا جميعًا بعد فتره إلى مسرح أحداث الليلة الماضية..تحولت الغرفة إلى نهار كنتيجه للضوء الساطع للمصابيح التى كان يحملها الجميع واقترب الراهب من جثة زميله وقد بدأ فى النحيب..

واقترب لى أكثر إلى مدخل الكهف والباب المغلق لينظر ببلاهة إلى الباب الحديدى ويتجمد فى مكانه فقد كان الباب مفتوحًا من جزء صغير ولا أثر لهاينز ولا حقيبته ولا للمفتاحان.

*****

فرغ دان من بكائه وهو لا يزال جالسًا على كرسيه الرخامى ومد يده بجيبه ليخرج منديله..ولكنه لم يجده فتذكر أنه أعطاه لروز وهى تبكى..وبتلقائية مد يده إلى الجانب الأخر لكنه وجد ورقة ما مطوية..ولا يدرى متى ومن وضعها فى جيبه..كانت الورقة عليها آثار دماء فارتجف قلبه سريعًا وهو يتذكر الراهب العجوز الذى كان يمسكه أثناء احتضاره..فيبدو أنه وضع الورقة دون أن يدرى دان..

فتح الورقة ونظر فيها مَلِيًا لكنه لم يفهم ما هو موجود بها فقد كانت بالصينية وبها خريطة لمدينةٍ ما بالقرب من أحد الجبال والكهوف والتى تبدأ من مكانٍ ما قريب حيث رسم المعبد على يسار الورقة من أعلى..حاول أن يفهم أكثر ولكن اللغة كانت حائلًا أمامه قَلَبَ الورقة الناحية الأخرى فوجد كلمة بالإنجليزية لم يتبينها لأول وهلة ولكنها قلبت عقله رأسًا على عقب:

(شامبالا)

دق قلبه بعنف..وضع الورقة فى جيبه..استقر بضع دقائق مُفَكِّرًا..نظر إلى حقيبته والجبل الشاهق أمامه..وما هى إلا ثوانٍ حتى كان يصعد درجه الحجرى..

النهاية

****

الكتب والمراجع

- الكتاب المقدس...... الترجمة السبعينية
- تفسير سفر حزقيال.... رشاد زكرى
- تفسير سفر الرؤيا.... ناشد حنا الطبعة الثالثة 2004
- شرح الكتاب المقدس - القمص تادرس يعقوب
- أطلس الكتاب المقدس – هـ.هـ. رولى – دار النشر المعمدية 2001
- تاريخ الأمم والملوك... للطبرى
- فتوح البلدان ..أحمد بن يحيى البلاذرى - مكتبه الهلال بيروت 1988
- تاريخ الإنسانية وأبطالها..محمد رضا - دار أجيال المستقبل للطباعة والنشر 1985
- فك أسرار يأجوج ومأجوج – حمزة أبو اليزيد
- يأجوج ومأجوج قادمون..هشام كمال عبد الحميد.. دار الكتاب العربى للنشر والتوزيع
- يأجوج ومأجوج ...حسن زكريا فليفل - مكتبة ابن سينا، الطبعة الأولى
- الصين سيرًا على الأقدام..د/ أحمد عبد الهادى
- كفاحى ..أدولف هتلر
- الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ..عبد الوهاب المسيري

نبذة عن الكاتب

عمرو محمد مرزوق

كاتب وروائى مصرى من مواليد محافظة الغربية ومقيم بالقاهرة

ماجستير فى القانون الجنائى جامعة القاهرة ومُقَيَّد بالدكتوراة بجامعة عين شمس

له العديد من الأعمال فى أدب الجريمة :

دقات العاشرة..– طقوس..

لتحميل الروايتين بى دى إف موجودة فى مكتبة جروب عصير الكتب

- سيول الدم.

- ضحية الجنون..

أول الأعمال المطبوعة

- أناشيد الموت إصدار دار اكتب 2014 - ميدوم إصدار دار "ن"2015

* للتواصل مع الكاتب الأكاونت الشخصى..

https://www.facebook.com/amr.m.marzouk

*صفحة الكاتب على الجود ريدرز باسم : عمرو مرزوق

البيدج الأدبى للكاتب باسم : عمرو م. مرزوق

شكر خاص

وكالعادة لا يسعنى إلا أن أهدى هذه القصة لأشخاص كان لهم أكبر الأثر فى تشجيعى ووقفوا بجانبى فى كل الأوقات فعذرًا لكم ولكنى أود أن أشاركهم لحظات النجاح:

- أسرتى الكبيرة من دار ن.
- أختى الجميلة برديس محمد ومراجعتها النص مرات عديدة.
- أصدقائى المتميزين شكرًا لما أمدتمونى به من معلومات ولولاكم ما ظهر هذا العمل:

باسم محمود الشبراويشى .... د/ميرفت صلاح....محمد شادى

- أصدقائى الأدباء:

وائل الخطيب..رحمة أنور..الشيماء عبد العال..محمد مسعد.. شيماء حسن.

- أصدقائى الغاليين :

داليا غنيم ..مي مصطفي..شاهى حسين..زياد شحاتة..ريم الصياد

إيمان هاشم..هند البنا..لبنى إبراهيم..هيثم حسن.. عمروم. حسين

شوشو وجميع قططى..

شكرا لدعمكم المستمر ليل نهار.

إهداء خاص جدا

روح (ميرهان ياسين)..كنت تتمنى تكملة قراءة الرواية..لكن القدر كان أسبق منك وكنت أتمنى وجودك بجوارى فى هذه اللحظة ولكن....

روحك لن تفارقنى...أبدًا

روح صديقتى الغالية (د/ غادة نجيب)..سيظل مكانك فى قلبى دائمًا.

وأخيرًا وليس آخرًا أستاذنا ومعلمنا ووالدنا الروحى حسام حسين صاحب الفضل الأكبر.

أهديكم جميعًا هذا العمل المتواضع..

عمرو م. مرزوق

شامبالا

2016

شامبالا

اشار له الراهب ان يرفعه وبالفعل دفعه وهو مسلوب الإرادة تمامًا..ليرى على ضوء الشمعة سلم يهبط بهم لأسفل..اقترب الراهب من السلم وبدأ فى النزول بخفة حسده عليها دان الذى خطرت له فكرة مفزعة من الأصل..هل ذلك هو الراهب البوذى الذى كاد يكون كسيحًا منذ عدة ساعات أم شيئًا ما أخر..؟وكيف سار معه كل هذه المسافة دون أن يتبادل معه كلمة واحدة...؟

التفت الراهب إليه وأشار أن يتبعه مرة أخرى..ولكن دان تجمد مكانه فعلى ضوء الشمعة المتراقصة كانت ملامح الراهب تكاد تكون مختلفة عن الجنس البشرى بأكمله..أغمض عينيه وفتحهما ولكن كان قد تحرك على الدرج الحجرى مستمرًا فى نزوله مستندًا على الجدار مُطْلِقًا ذاك النحيب مرة أخرى.



تصميم الغلاف : أسامة علام

